

جيش التحرير الوطني الجزائري

بسام العسيلي







جيش التحرير الوطني الجزائري

بسّام العسليّ

دار النفائس

جَمِيعُ الحقوق مَحفُوظَة

الطّبعَة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م
الطّبعَة الثّانيَة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

© دار النفائس

بيروت - ص.ب : ١١/٦٣٤٧ - هاتف : ٨١٠١٩٤ - برقيًا : دانفايسكو

الإهداء

إلى أرواح الشهداء :

مختار ، وعميروش ، وعيسات ايدير ، وأحمد نصيب ، وأحمد بن عبد الرزاق ، وعبان رمضان ، وزيغوت يوسف ، وديدوش مراد . . وإلى أرواح مليون ونصف المليون من الشهداء المجاهدين الذين ماتوا لتعيش أمتهم من بعدهم ،على طريق الحرية والكرامة والعزة .

﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾

المقدمة

تلك هي قصة (جيش التحرير الوطني الجزائري) في ولادته ونشأته وتطوره . ولقد ولد هذا الجيش وتطور من خلال الصراع المرير وعبر التضحيات والآلام التي لا تقدر ولا توصف . ولقد كان هذا التطور مثيراً بحق لاتساعه وشموله . فقد انتقل جيش التحرير من عصر (الأسلحة الفردية وبواريد الصيد) إلى عصر (الجيوش الحديثة) خلال سنوات قليلة ، وزاد في حجمه عشرات الأضعاف عما كان عليه في يوم انفجار الثورة ، ورافق هذا التطور (الكمي) تطور (نوعي) مماثل ، رافقه ، تطور في التنظيم وإدارة الحرب على مستوى القيادات ، فكانت تجربة (بناء جيش التحرير الوطني) تجربة مثيرة وفريدة في العصر الحديث .

لقد نشأت جيوش كثيرة وتطورت من خلال الحرب ، فجيش الولايات المتحدة كان وليد ثورة الاستقلال ، وجيش نابليون كان وليد لثورة الإفرنسية أيضاً ، وحتى الجيش الأحمر لم يكن إلا وليداً للثورة الشيوعية (أكتوبر ـ ١٩١٧) ، وحتى جيش الهند الصينية (الڤييتنامي) ولد من خلال الثورة وتطور بتطورها . . . ولكن ، وعلى الرغم من هذا التشابه في ظروف الولادة والنشأة والتطور ؛

فهناك فوارق جذرية لا يمكن إسقاطها أو تجاوزها ، وهذه الفوارق هي التي تعطي (جيش التحرير الوطني الجزائري) خصائصه المميزة ، والتي كان من أهمها :

١ ـ أنه لم ينشأ على أنقاض جيش سابق ، فجيش جورج واشنطن نهض على أنقاض الجيش الإنكليزي ، والجيش الروسي قام على أنقاض الجيش القيصري ، حتى جيش نابليون وجيش الثورة الإفرنسية ، قد نهضا على أنقاض الجيش الملكي . وكانت أجهزة الجيوش السابقة وحتى قادتها وأسلحتها هي عماد الجيوش الجديدة . في حين لم يكن لدى الجزائر إلا بعض الأفراد الذين اكتسبوا خبرات محدودة أثناء خدمتهم في الجيش الإفرنسي ، وهي خبرة تكتيكية وتقنية لا تصل أبداً إلى مستوى العمليات أو إدارة الحرب .

٢ ـ إن جيش التحرير الجزائري كان يفتقر للخبرات القتالية ، وللتقاليد العسكرية . وقد كان في حاجة لمثل هذه الخبرات وتلك التقاليد وهو يواجه جيشاً له تقاليده العريقة وتجاربه الوفيرة ، وهو إلى ذلك مجهز بأحدث الأسلحة القتالية التي وصل إليها التطور التقني حتى تلك الحقبة التاريخية .

٣ ـ لقد تطور جيش التحرير بسرعة مذهلة تجاوزت كل الحدود . وكان مثل هذا التطور قميناً بإثارة الاضطراب في أكثر الجيوش أصالة ، وأعمقها التزاماً بالتقاليد الموروثة، فكيف الأمر بالنسبة لجيش ولد وتطور من خلال الصراع . ليست هذه كل الفوارق ، وإن كانت من أبرزها .

ولكن ، وإذا كان جيش التحرير في ولادته وتطوره يفتقر إلى الخبرات المتوافرة للجيوش الحديثة ، فقد كان لجيش التحرير

تقاليده الثورية التي تمتد بجذورها إلى أعماق تاريخ العرب المسلمين في المغرب العربي ـ الإسلامي . وكانت تجارب الحروب الثورية الحديثة (عبد القادر ، والمقراني ، والحداد ، وأحمد باي قسنطينة ، وسواهم) كافية لتشكيل قاعدة ثابتة وصلبة .

وإذا كان لكافة الجيوش قادتها ـ جنرالاتها ـ فقد كان لجيش التحرير قادته المتخرجون من صفوف الشعب الجزائري ؛ والذين يمثلون فيه كل الطموحات والمثل العليا والفضائل الحربية . وكان الإيمان العميق بالله وبالشعب هما المعاوض الطبيعي ، ومصدر الإلهام للقادة في سلوكهم وممارساتهم .

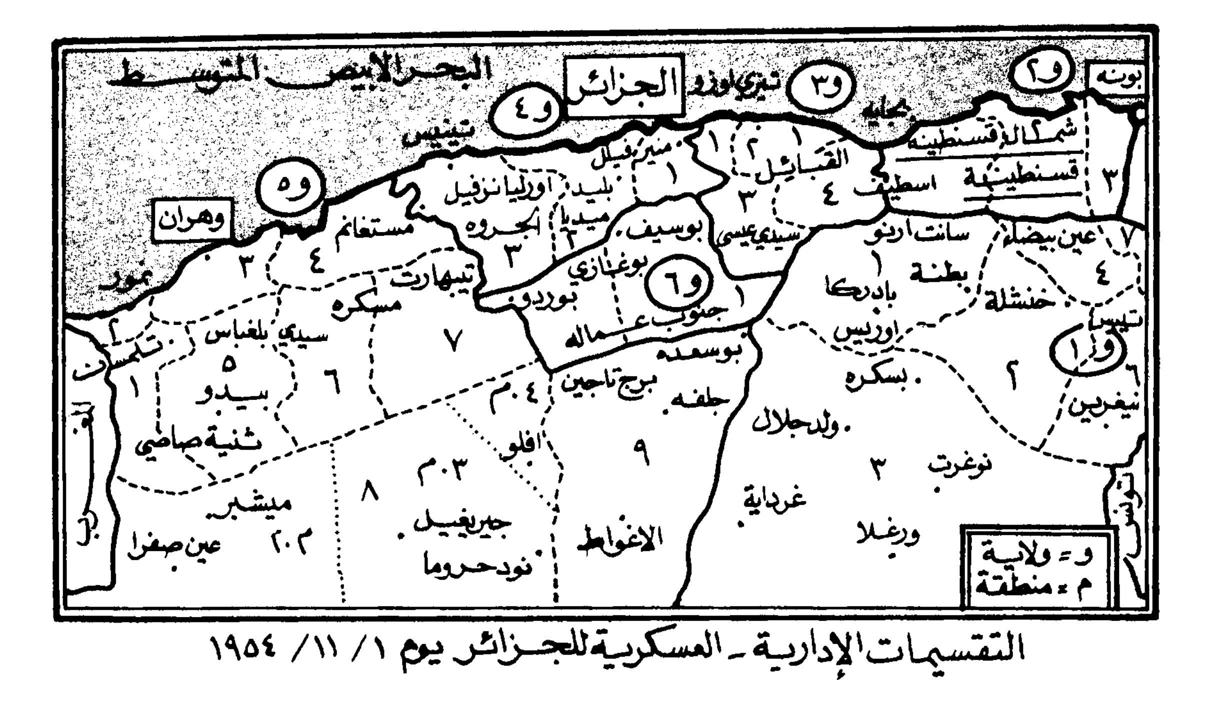
لقد كانت (حرب الجزائر) مدرسة حقيقية صقلت مواهب القادة وأكسبتهم خبرة غير محدودة في إدارة الحرب وقيادة الأعمال القتالية .

وكانت (حرب الجزائر) مدرسة حقيقية أعدت الشعب الجزائري كله لاحتمال أهوال الحرب بقدر ما دفعت مجاهديه لتطوير خبراتهم القتالية ، واكتساب المهارات الضرورية للحرب . ومن (مدرسة الحرب الجزائرية) ظهرت قدرة (جيش التحرير الوطني الجزائري) الذي أمكن له في النهاية أن ينتصب عملاقاً في مواجهة أحدث جيوش العالم وأفضلها تسلحاً وأوفرها خبرة ، علاوة على ما كان يتلقاه الجيش الإفرنسي من دعم عالمي حشدت له الدوائر الإمبريالية والإستعمارية كل قدراتها وإمكاناتها .

وخاض (جيش التحرير الوطني الجزائري) حروبه ومعاركه منطلقاً من قاعدة الإيمان الصلبة والإسلام المتينة ، فكانت حروبه نموذجاً (لحروب الإيمان) وتبقى قصة (جيش التحرير الوطني الجزائري) قصة (التجربة التاريخية الفردة) التي لا تبلى جدتها مع

تقادم الزمن ، إنها تجربة الحياة ، ما دامت الحياة متدفقة في مسيرتها على أرض العرب المسلمين عامة ، وعلى أرض (الجزائر المجاهدة) بصورة خاصة . وستبقى هذه التجربة التاريخية خالدة في القلوب ، يعتز بها كل من عاشها وكل من عرفها وكل من انتسب إليها ؛ ولو لم يكن له شرف الإسهام بصنعها ، من أمة العرب المسلمين .

بسام العسلي



التقسيمات الإدارية - العسكرية للجزائر يوم ١/ ١١/ ١٩٥٤

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ ، وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً . يَعْبُدُونَنِي ، لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً ، وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ﴾

(سورة النور ـ الآية ٥٥)

الفصل الأول

١ ـ الوجيز في أحداث الثورة .

٢ ـ سنوات الصراع .

٣ ـ جيش التحرير الوطني الجزائري .

٤ ـ تطوير الصراع المسلح .

٥ ـ صراع مسلح في وهران ، وصراع سياسي في الأمم المتحدة .

٦ ـ الفدائيون في المدن ، وحل مشكلة التسلح .

٧ ـ هجوم الخريف وجبهة الصحراء (١٩٥٧) .

٨ ـ مجزرة قرية ميلوزة .

٩ ـ الصراع على الحدود .

١ ـ الوجيز في أحداث الثورة

١١ نوفمبر (تشرين الثاني)

وقع في ليلة الفاتح من نوفمبر (تشرين الثاني) نحو من ثلاثين هجوماً قامت بتنفيذها الوحدات الثورية الأولى ، وذلك في أكثر من ثلاثين نقطة في مختلف أنحاء الجزائر ، وخاصة في شمال ولاية قسنطينة ، وفي ولاية (الأوراس) ، واستخدم الثوار في هجماتهم القنابل المحرقة . ثم أخذوا في الانسحاب إلى قواعدهم في الجبال . وأخذت القوات الافرنسية باتخاذ ما أطلقت عليه اسم (إجراءات الأمن) ، وكانت قوات الثوار تقدر آنذاك ببضعة آلاف . وبدأت القوات الافرنسية تتلقى تعزيزات عسكرية ، كما بدأ الجنرال (جيل) بتنفيذ العمليات التي أطلق عليها اسم (عمليات التطهير) . وأصدرت القيادة الافرنسية في نهاية شهر نوفمبر ، بلاغاً اعلنت فيه أنها قتلت (٤٢) رجلاً من رجال المقاومة . أما عمليات الاعتقال فقد تجاوزت الألفين في هذا الشهر ، وأطلق (الجنرال جيل) على عملياته الحربية ـ كعادة الافرنسيين ـ اسم (عملية الغلاقة ـ العصاة) .

عندما اندلعت الثورة ـ كان (مانديس فرانس) هو الذي يترأس

الحكومة الافرنسية وكان (فرانسوا ميتران) وزير الداخلية ، وكانت شؤون الجزائر بكاملها تابعة له . وقد صرح (ميتران) أمام المجلس الوطني : « **بأن الجزائر هي فرنسا ، وأن الأراضي الممتدة من حدود فرنسا الشمالية إلى إقليم الكونغو جنوب خط الاستواء ، تخضع كلها لقانون واحد ولبرلمان واحد وتشكل أمة واحدة ، ذلك هو دستورنا . وتلك هي إرادتنا وأن المفاوضة الوحيدة هي الحرب** » وعلى أثر ذلك ، أصدرت الولاية العامة بالجزائر أوامرها بإلقاء القبض على الزعماء الوطنيين المعروفين ، وحل (حركة انتصار الحريات الديموقراطية) ، ومنع صحفها من الصدور .

١٢ ديسمبر (كانون الأول) .

قامت القوات الافرنسية بعمليات قمع في (جبال الأوراس) و(بلاد القبائل). وأعلن الأوروبيون معارضتهم للحكومة « لأنها متهاونة في مقاومة الثورة »، على حد زعمهم . وأعلن النواب المسلمون معارضتهم لعمليات (القمع الجماعي) غير أن ذلك لم يمنع السلطات الافرنسية من تطوير عملياتها القمعية ، وألقت القبض على جميع القادة السابقين (لحركة انتصار الحريات والديموقراطية) وزجت بهم في السجون ، ومعهم عدد كبير من المواطنين المسلمين . وظهرت الملفات الأولى التي تشهد بالتعذيب المسلط على المعتقلين السياسيين أثناء التحقيق معهم . وأثناء ذلك جرت مناقشة في (المجلس الجزائري) رفض فيها كل من السيدين (قارة) و (بن جلون) فكرة استقلال الجزائر .

١٩٥٥ - 1955

١ - جانفي - كانون الثاني .

في يوم ٥ منه : قدم (ميتران) مشروعاً لتطبيق قانون (١٩٤٧) وذلك للاسراع بدمج الجزائر في فرنسا ، وأبدى المعمرون في الجزائر معارضتهم لهذا المشروع .

في يوم ١٩ منه : قامت القوات الافرنسية بعمليات واسعة النطاق في جبال الأوراس ، شارك فيها أكثر من خمسة آلاف جندي ، مدعمين بالمدرعات والطائرات .

في يوم ٢٠ منه : طالب (٤٦) نائباً من المجلس الجزائري بتطبيق برنامج (ميتران) بسرعة لتحقيق المساواة أمام القانون الإفرنسي في الحقوق والواجبات في نطاق الديموقراطية الافرنسية .

في يوم ٢٥ منه : عين (جاك سوستيل) والياً عاماً بالجزائر . فقابله الافرنسيون بتخوف شديد ، وطالب رؤساء البلديات بالجزائر بإرسال إمدادات عسكرية ضخمة ، وخاصة من فرق اللفيف الأجنبي - الليجيون ايترانجير - وعارضوا في إجراء أي إصلاح .

٢ - فيفري - شباط .

*** أوقفت السلطات الافرنسية القائد الأول لولاية (الأوراس - النمامشة) الزعيم مصطفى بن بو العيد ، على الحدود التونسية - الليبية ، ونقلته إلى سجن قسنطينة .**

* بلغت القوات الافرنسية العاملة بالجزائر (٨٠) ألف جندي ، بعد أن كانت (٤٩,٧٠٠) جندي يوم انفجار الثورة .

* وصل الى عاصمة الجزائر الحاكم العام الجديد (جاك سوستيل) الذي عينه (مانديس فرانس) بدلاً من الحاكم السابق

(روجيه ليونارد) الذي أعيد إلى فرنسا . وقد ألقى (سوستيل) خطاباً أمام المجلس الجزائري جاء فيه : « **إن فرنسا لن تغادر الجزائر ، ومن المحال عليها مغادرتها مثلما هو محال مغادرة مقاطعة - بروفانس - أو - بريتانيا - أو سواهما من الأقاليم الافرنسية . لقد اختارت فرنسا سياستها وهذه السياسة هي الدمج** » .

* - عقد المؤتمر الافرو- آسيوي الأول - عدم الانحياز - بباندونغ ، وأعلن عن تأييده لحق شعوب الجزائر والمغرب وتونس في الاستقلال وتقرير المصير (**في إبريل - نيسان**) .

٣ - وفي ٣١ آذار: صادق البرلمان الافرنسي على قانون (حالة الطواريء في الجزائر) وهو القانون الذي يخول السلطات الافرنسية حق اتخاذ إجراءات الإبعاد (النفي) والإقامة الجبرية وإغلاق المحلات العامة - الخ . . . وقد حددت المدة بستة أشهر .

٤ - **افريل - نيسان** . أيضاً : شرع في تطبيق (حالة الطواريء) في نواحي القبائل الكبرى والأوراس وشرقي مقاطعة قسنطينة . وتشكلت الوحدات الأولى من الميليشيا وهي تضم الأوروبيين المسلحين الذين يمارسون عمليات القمع ضد مسلمي الجزائر لحسابهم الخاص . وأصبحت حالة الطواريء تشمل مع نهاية شهر نيسان - ابريل - نواحي بسكره ، والواد .

٥ - **ماي - أيار** - أفرج بصورة مؤقتة عن (١٤) فرداً من قادة (حركة انتصار الحريات والديموقراطية) .

* - قررت الحكومة الافرنسية رفع عدد جنودها بالجزائر إلى (١٠٠) ألف جندي . ودعمت الحكومة هذه القوات بنجدات جديدة من الطائرات المقاتلة والطائرات العمودية .

* ـ أصبحت (حالة الطواريء) عامة في كل مقاطعة قسنطينة ، كما شملت بعض نواحي مقاطعتي الجزائر ووهران .

في ٢٦ منه : وجه (بورجيس مونوري) وزير الداخلية الجديد في حكومة (ادغارفور) والتي خلفت حكومة (مانديس فرانس) بياناً أعلن فيه : « **لا يوجد من يمكن التفاوض معهم لا داخل الجزائر ولا خارجها** » .

٦ جوان ـ حزيران : عرف الرأي العام لأول مرة منذ قيام الثورة ، بأن قادة الثورة قد قسموا الجزائر إلى (٦) مناطق حربية ، تحمل كل منطقة منها اسم (ولاية) .

* ـ أقامت الحكومة الافرنسية مقاطعتين جديدتين هما : (عنابة) و(تيزي أوزو) .

٧ تموز ـ جويليه ـ : إضراب تجار العاصمة بمناسبة ذكرى احتلال فرنسا للجزائر (يوم ٥ جويليه) .

* ـ كشف بعض النواب ـ أثناء مناقشة طويلة داخل المجلس الوطني الافرنسي (البرلمان) حول تطبيق (حالة الطواريء) ـ كشفوا النقاب عن أساليب التعذيب المستخدمة ضد المعتقلين الجزائريين ، وبرهنوا على تعميم عمليات القمع الجماعية والاغتيالات التي تجري من غير محاكمة .

* ـ (لجنة التنسيق الافرنسية لشؤون شمال افريقيا) ـ في باريس ـ تعالج الموقف العام في الجزائر ، وتسجل تصريحاً لسوستيل يؤكد فيه (تقهقر الأعمال الإرهابية) .

* ـ المجلس الوطني الافرنسي (البرلمان) يقرر تمديد حالة الطواريء لمدة ستة أشهر اخرى .

* ـ أعلن الجنرال ديغول عن تصميمه بشأن عدم التدخل في

الأمور العامة ، غير أنه اقترح اتباع سياسة إصلاحية تجاه أفريقيا الشمالية ، وأوصى بإقامة علاقة فيديرالية (اتحادية) بين فرنسا من جهة وبين المغرب وتونس من جهة أخرى ، أما بالنسبة للجزائر فقد اقترح دمجها بمجموعة اكبر من فرنسا . كما اقترح السماح للجزائريين بالمشاركة السياسية والإدارية لإدارة الأمور المتعلقة بهذا الدمج عندما يكون صادقاً .

*** ـ عقد الطلاب المسلمون الجزائريون مؤتمراً تأسيسياً في باريس .**

٨ **أوت ـ آب ـ** . هجوم جيش التحرير الوطني الجزائري ، وقيام القوات الافرنسية بعمليات انتقامية من المواطنين المسلمين .

* (جاك سوستيل) يقرر تطبيق (حالة الطواريء) في كامل القطر الجزائري .

* (جاك سوستيل) يقوم بجولة في شمال (قسنطينة) و (جبال الأوراس) ثم يعلن « بأن تغييراً عميقاً سيظهر قريباً ، وأن الثقة ستعود من جديد » .

٩ **سبتمبر ـ أيلول ـ** المجندون الافرنسيون يتظاهرون في باريس احتجاجاً على إرسالهم إلى الجزائر .

*** تعاظم العمليات القتالية ، وظهور جند جيش التحرير الوطني في ثيابهم العسكرية النظامية .**

* فرنسا ترسل قوة جديدة من (١٢٠) ألف جندي لدعم قواتها في الجزائر .

* ـ الإدارة الإفرنسية في الجزائر تنظم مكاتب الشؤون الأهلية (الساس) في كل عمالة قسنطينة .

* سوستيل يطالب بتطبيق قانون. (١٩٤٧) لدمج الجزائر بفرنسا .

* (ادغار فور) يعلن أن سياسته قائمة على الدمج مما يثير غضب النواب المسلمين في (المجلس الجزائري) والمجالس الافرنسية الأخرى ، فيشكلون جماعة (الواحد والستين نائباً ـ ٦١) ويعلنون رفضهم لسياسة الدمج ، ويؤكدون تعلقهم بسيادتهم الوطنية .

* ـ هيئة الامم المتحدة تناقش تسجيل القضية الجزائرية في جدول أعمالها ، وتقرر تسجيلها بأغلبية (٢٨) صوتاً ، وامتناع (٥) عن التصويت . ووزير الخارجية الافرنسي (بيني) يغادر قاعة اجتماعات هيئة الأمم المتحدة احتجاجاً على هذا القرار .

* ـ إضراب جديد لتجار العاصمة (الجزائر) بمناسبة افتتاح دورة هيئة الأمم المتحدة .

* ـ نشرت صحيفة (اوبسرفاتور) تحقيقاً للصحافي (روبير بار) عن نظام جيش التحرير وأساليب الصراع المسلح ، وحياة الثوار في جبال الجزائر ، كما نشر كاتب التحقيق الأحاديث التي أجراها خلال مقابلاته لقادة الثورة . ومنها قول القادة : « إننا نطلب إيقاف عمليات القمع والعمليات العسكرية وإطلاق سراح المعتقلين في معسكرات الحشد . كما نطلب من الحكومة الافرنسية الإعلان عن تخليها عن خرافة ـ الجزائر الافرنسية ـ والاعتراف بمبدأ حق الشعب الجزائري في الحرية والاستقلال ـ . . . إننا واقعيون ، ونعتقد أن الاستقلال يجب أن يتحقق على مراحل وبطريقة ديموقراطية » وعلى أثر ذلك ، صادرت السلطات الأفرنسية عدد هذه الصحيفة ، واعتقلت كاتب المقال ، وألقت به في السجن .

١٠ ـ اكتوبر ـ تشرين الأول ـ امتداد الثورة إلى عمالة (وهران) . وقيام مظاهرة قوية في (تلمسان) ، والاتصال مع جيش التحرير المغربي الذي كان يقوده (علال الفاسي) في الريف . وإعلان علال الفاسي عن تشكيل (جيش التحرير المغربي الموحد) .

١١ ـ نوفمبر ـ تشرين الثاني ـ (٢٦ منه) ـ سحب القضية الجزائرية من جدول أعمال هيئة الأمم المتحدة ، بعد أن وعدت فرنسا بتسويتها .

*** ـ القائد (مصطفى بن بو العيد) يفر من سجن قسنطينة ، ومعه (١٩) من المحكوم عليهم بالاعدام .**

١٢ ـ ديسمبر ـ كانون الأول ـ . اعترفت الحكومة الافرنسية بأنه من المحال إجراء الانتخابات التشريعية في الجزائر .

* ـ بلغ عدد الجنود الافرنسيين بالجزائر (١٩٠) ألف جندي .

* ـ استقال الاعضاء الجزائريون (التابعون للاتحاد الديموقراطي للبيان الجزائري) من جميع المجالس الافرنسية ، واعلنوا عن أملهم في تكوين (جمهورية جزائرية ديموقراطية واجتماعية) . كما أعلنوا استنكارهم لأساليب القمع الوحشية (في ٢٣ ديسمبر) .

* ـ بدأت الحملة الانتخابية لانتخاب أعضاء المجلس الوطني الافرنسي ـ البرلمان ـ وكانت الجزائر هي محور الصراع وكان في جملة ما صرح به ـ لاكوست ـ خلال هذه الحملة : «يجب أن تتوقف هذه الحرب . وعلينا أن نختار بين حل القوة العسكرية مع كل ما يتطلبه من تضحيات وآلام ودماء . وبين حل سلمي شريف عادل عن طريق التفاوض»

١٩٥٦ - 1956

١ - جانفي - يناير

في ١٣ منه: سوستيل يدافع عن (سياسة الدمج) .

(غي موليه) يصرح في حملته الانتخابية : «لم يعد بالمستطاع ترك الحالة في الجزائر لتتزايد خطورة» .

* وصرح أيضاً : « بأن حكومته تعترف بالشخصية الجزائرية ، وهي تقترح إجراء انتخابات حرة » .

في ١٧ منه : طالبت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين رسمياً : « بالاعتراف صراحة بوجود الأمة الجزائرية وبشخصيتها الذاتية وبحكومتها الوطنية وبمجلسها التشريعي » .

*** فيما بين ١٧ و ٣١ منه (نصف الشهر للتضامن مع ضحايا القمع) والذي نظمه (الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين » .**

* - صرح الاستاذ عباس فرحات - في القاهرة - : « إنني ، أنا وحزبي ، نؤكد وبصورة واضحة عزمنا على دعم قضية جبهة التحرير الوطني الجزائري » .

٢ فيفري - شباط - (في ٣ منه) أعلنت جبهة التحرير استعدادها للتفاوض من أجل وقف القتال وحل المشكلة الجزائرية .

* في ٦ منه - انهار (غي موليه) أمام مظاهرات الأوروبيين المستوطنين بالجزائر ، ووافق على إخراج (كاترو) من حكومته .

* في ٩ منه - تعيين (روبير لاكوست) وزيراً مقيماً في الجزائر ، وقد صرح هذا فور تعيينه : « إن فرنسا ستحارب من أجل البقاء في الجزائر ، وستبقى هناك » . وبينما كان (لاكوست) يصرح في الجزائر : « أن الوضعية العسكرية خطيرة ، وأن المتطرفين سيعلمون

أن ضربات فرنسا قوية وشديدة » ـ كان (غي موليه) يصرح في فرنسا : « يجب إسكات البنادق » .

*** ـ الطلاب الجزائريون المسلمون يقيمون مهرجاناً خطابياً في قلب باريس ، ويرفعون العلم الجزائري . وذلك في يوم (٢٣ ـ فيفري) .**

* في ٢٤ منه ـ تأسيس الاتحاد العام للعمال الجزائريين .

* في ٢٧ منه ـ (غي موليه) يعلن ثلاثيته : إيقاف القتال ، فالانتخابات ، فالمفاوضات .

٣ ـ مارس ـ آذار ـ (في ٢ منه) فرنسا تعلن استقلال المغرب .

* في ١٢ منه ـ المجلس الوطني الافرنسي يوافق على منح الحكومة سلطات خاصة .

* ـ في ١٧ منه ـ السلطات الافرنسية تعترف بتدهور وضعيتها العسكرية ، وبامتداد الثورة الى ثلثي الجهات الآهلة من الجزائر . والاعلان عن قرارات جديدة تتعلق باعادة تنظيم القيادة العسكرية .

*** ـ في ٢٠ منه ـ فرنسا تعلن استقلال تونس .** وفي هذا اليوم ذاته ، يعلن سفير أمريكا في باريس (ديللون) مساندة أمريكا الكاملة للسياسة الافرنسية في الجزائر .

* ـ الاتحاد العام (للطلاب الجزائريين المسلمين) يعقد مؤتمره الثاني ، ويعلن أن : « كفاح الشعب الجزائري هو كفاح عادل وشرعي ويساير تيار التاريخ » .

*** ـ بلغت القوات الافرنسية العاملة في الجزائر (٢٥٠) ألف جندي .**

٤ أفريل ـ نيسان ـ وزعت جبهة التحرير بياناً ـ « دعت فيه شعب الجزائر بكامله للتجند ومواصلة الحرب .

*** ـ في ١١ منه ـ إلغاء المجلس الجزائري ـ والحكومة الافرنسية تصدر قراراً بارسال سبعين ألف مجند جدد للجزائر .**

* ـ استقالة كتلة النواب الجزائريين (٦١ نائباً) من كل المناصب النيابية التي كانوا يشغلونها .

* عقد السادة فرحات عباس وأحمد فرنسيس وتوفيق المدني مؤتمراً صحفياً في القاهرة . واعلنوا انضمامهم إلى جبهة التحرير الوطني الجزائري .

٥ ـ **ماي ـ أيار** ـ (في الأول منه) فشل الاتصالات السرية بين جبهة التحرير الوطني وبين فرنسا ، وتقدم ممثل الجبهة في القاهرة (سعد دحلب) بعرض للحكومة الافرنسية من أجل التفاوض لإحلال السلام . وقد جاء في التصريح الذي أعلنه سعد دحلب « بأن الحل الوحيد لا يمكن إيجاده إلا في نطاق الاعتراف الرسمي بحق الشعب الجزائري في الاستقلال ، ومباشرة السيادة الوطنية من قبل كافة الشعب ـ من غير تمييز ديني أو عنصري » . وقيام القوات الافرنسية باعتقال عدد كبير من مسيري « الاتحاد العام للعمال الجزائريين » .

٦ ـ **جوان ـ حزيران** ـ (في ٩ منه) ظهور أول عدد من صحيفة (الأمل الجزائر ـ بالافرنسية) وهي الناطقة باسم الافرنسيين التقدميين بالجزائر .

٧ ـ **جويليه ـ تموز** ـ (في ٢ منه) الاتحاد العام للعمال الجزائريين ، يقبل عضواً في الرابطة العالمية للنقابات الحرة ، وذلك بالرغم من معارضة النقابات الافرنسية .

* ـ أعلن السيد (فرحات عباس) عن استعداد الجبهة للتفاوض مع فرنسا بشأن وقف إطلاق النار ، وذلك تنفيذاً للتوصيات التي أقرها

(مؤتمر الحزب الاشتراكي) والتي تطلب من (غي موليه) التفاوض مع جبهة التحرير لإيقاف القتال عوضاً عن متابعة الحرب . غير أن (غي موليه) تجاهل تلك التوصيات ، كما رفض (الاقتراح الجزائري) وذلك بتأثير أوروبيي الجزائر وزعيمهم (لاكوست) .

* ـ انعقاد ندوة بريوني (من ١٧ إلى ١٩ جويليه) والتي ضمت زعماء الحياد الايجابي (نهرو وعبد الناصر وتيتو) . وقد وجهت جبهة التحرير مذكرة عن القضية الجزائرية إلى ـ زعماء الحياد ـ الذين عبروا عن تعاطفهم (مع قضية الشعب الجزائري الراغب في السلام) .

* في ٢٦ منه ـ جمال عبد الناصر يعلن (تأميم القناة) فيتخذ (لاكوست) و (مجرمو الحرب) هذا التأميم ذريعة لإعلان الحرب على مصر ، بحجة أن مصر (هي مفتاح المشكلة الجزائرية) وأن تحطيم القاهرة قمين بالقضاء على الثورة الجزائرية .

٨ ـ أوت ـ أغسطس ـ . (في ٢٠ منه) انعقاد المؤتمر التاريخي الأول لقادة الثورة في (وادي الصومام) ووضع أول ميثاق تفصيلي للجبهة ، وتعيين أعضاء (لجنة التنسيق والتنفيذ ـ من خمسة أعضاء) وتكوين (المجلس الوطني للثورة الجزائرية من ٣٤ عضواً) .

* ـ استشهاد قائد الولاية الأولى (المرحوم مصطفى بن بوالعيد) .

٩ ـ سبتمبر ـ أيلول ـ . (غي موليه) يزور الجزائر ، ويدرس مع (روبير لاكوست) نظاماً سياسياً جديداً للجزائر . وظهر في فرنسا والجزائر ـ مشروع افرنسي جديد لتسوية المشكلة الجزائرية يحمل اسم (مشروع باي) إلا أنه دفن قبل ظهوره إلى الوجود .

* ـ أعلنت جبهة التحرير ، في تصريح جديد الى صحيفة لوموند ،عن استعدادها لوقف القتال والتفاوض لايجاد حل سلمي .

*** ـ المؤتمر العالمي السادس للطلاب ، يعترف (بالاتحاد العام للطلاب المسلمين الجزائريين) كاتحاد وطني .**

* ـ ميلاد (الاتحاد العام للتجار الجزائريين) الذي طالب بالتفاوض مع جبهة التحرير باعتبارها (**الممثل الوحيد للشعب الجزائري**) . وصرح السيد (عبد الرحمن فارس) الرئيس السابق للمجلس الجزائري بأن (**الجبهة**) هي المفاوض الوحيد باسم الشعب الجزائري .

* ـ الكتلة الافريقية ـ الآسيوية تطلب من الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة تسجيل القضية الجزائرية على جدول أعمالها .

*** ـ في ٢٥ منه ـ استشهاد قائد ولاية الشمال القسنطيني (البطل يوسف زيغوت) .**

* ـ البحرية الافرنسية تحتجز الباخرة (لاتوس) وهي في عرض البحر الأبيض المتوسط .

١٠ ـ اكتوبر ـ تشرين الأول ـ الجمعية الوطنية الافرنسية تمنح حكومة (غي ـ موليه) الثقة بأغلبية (٣٣٠) صوتاً ضد (١٤٠) صوتاً . وقد قال غي ـ موليه في نهاية المناقشة : « إننا لن نقبل أبداً بأي وسيط » . وينادي بوقف القتال ، ويرفع الستار عن محادثات روما السرية .

* ـ انضمام النائب الاشتراكي (السيد بنبا أحمد) إلى صفوف جبهة التحرير ، وانتقاله من فرنسا إلى سويسرا ومنها إلى مصر .

* اقترح الرئيس التونسي (الحبيب بورقيبة) تكوين مجموعة مغربية من أقطار شمال أفريقيا الثلاثة (تونس والجزائر ومراكش ـ المغرب) .

* في ٢٠ منه : استقبل جلالة محمد الخامس عدداً من زعماء

الجزائر في قصره بالرباط .

*** في ٢٢ منه : (لاكوست) يأمر باختطاف الطائرة المغربية التي كانت تحمل إلى تونس زعماء الثورة : أحمد بن بيللا ، وخيضر ، وآيت أحمد ، وبوضياف ، والأشرف .**

* في ٢٣ منه : إضرابات عامة وهيجان يجتاح المغرب وتونس وبقية أنحاء العالم العربي احتجاجاً على عملية القرصنة الافرنسية .

* في ٢٣ منه أيضاً : غي ـ موليه يعلن : « ستبقى فرنسا بالجزائر مهما حدث » .

* في ٣١ منه : العدوان الثلاثي (البريطاني ـ الافرنسي ـ الاسرائيلي) في مصر .

١١ ـ نوفمبر ـ تشرين الثاني ـ : ـ الاضراب العام بالجزائر ، بمناسبة ذكرى الثورة ، بأمر من الجبهة ، وبمساهمة (الاتحاد العام للعمال الجزائريين) و (الاتحاد العام للتجار الجزائريين) .

* في ٢٠ منه : الوزير المقيم بالجزائر ـ روبير لاكوست ـ يعلن : « **اننا في الربع الساعة الأخيرة ، لذلك فانه من الأفضل لنا ألا نتسرع في عرض إصلاحات سياسية** » . وأخذت الدعاية الافرنسية اعتباراً من هذا التاريخ بخداع الرأي العام ، والقول : « **بأن جبهة التحرير هي على وشك الإنهيار ، وأن الحزب الشيوعي يريد أن يحتل مكانها** » .

١٢ ـ ديسمبر ـ كانون الأول : إلقاء القبض على مسيري (الاتحاد العام للتجار الجزائريين) .

* ـ حل (المجالس البلدية) بكامل القطر الجزائري ، تمهيداً لاجراء الانتخابات . ونظراً لتعذر إجراء هذه الانتخابات ، فقد أمر (لاكوست) بتعيين ممثلين عن الأهالي لدى المجالس البلدية

الخاصة . ولما تعذر تنفيذ هذا الإجراء أيضاً ، شنت القوات الافرنسية حملة قمع جديدة ، وقامت بحصار عدد من النواحي (الدواوير) .

* ـ الفدائيون يعدمون (فروجي) رئيس مشايخ المدن الجزائرية ، وأحد كبار (المعمرين) .

* ـ جمعيات الطلاب لتونس والمغرب والممتلكات الافرنسية تقطع علاقاتها مع (اتحاد الطلاب الافرنسي) احتجاجاً على موقفه من (الاتحاد العام للطلاب المسلمين الجزائريين) .

* ـ تعيين قائد المظليين (الجنرال ماسو) مسؤولاً عن الأمن في العاصمة وضواحيها .

* ـ الشعب الجزائري يعلن الاضراب العام لمدة اسبوع ، بمناسبة عرض القضية الجزائرية في هيئة الامم المتحدة ـ وتعاظم الاعمال القتالية واعمال الفدائيين في عمالة (قسنطينة) و (بلاد القبائل) ووهران .

1957 ـ ١٩٥٧

١ ـ جانفي ـ كانون الثاني ـ * ـ شرعت الاذاعة الوطنية السرية (صوت الجزائر الحرة المجاهدة) في تحضير الإضراب الاسبوعي العظيم .

* ـ تكليف (الجنرال ماسو) باحباط الإضراب .

٢ ـ فيفري ـ شباط :

* ـ استمرار المناقشات لقضية الجزائر في هيئة الأمم المتحدة طوال أحد عشر يوماً . وتم التصديق بالاجماع على توصية «تعرب عن الأمل في إيجاد حل سلمي وعادل للمشكلة الجزائرية » . ورافق ذلك

قيام السلطات الافرنسية بالجزائر (المظليين) بأعمال قمع وحشية ، وتعذيب التجار والمواطنين الجزائريين المعتقلين .

*** ـ في ٢٥ منه ـ اعتقال (العربي بن المهيدي) عضو لجنة التنسيق والتنفيذ بالجزائر . وتعذيبه على أيدي المظليين ـ وباشراف الكولونيل بيجار حتى لفظ الزعيم الجزائري أنفاسه .**

* ـ السلطة الافرنسية تنظم فرق الميليشيا وتسلحها . وقد بلغ عدد أفراد هذه الفرق بعاصمة الجزائر وحدها (١٥) ألف مقاتل .

* ـ الحكومة الافرنسية تلقي في السجن (٢٠) ضابطاً جزائرياً من الذين يخدمون في الجيش الافرنسي ، وذلك لأنهم طالبوا رئيس الجمهورية الافرنسية بالتفاوض مع جبهة التحرير .

٣ ـ مارس ـ آذار ـ

* ـ عقد (الدكتور الأمين دباغين) والسيد (فرحات عباس) مؤتمراً صحفياً بتونس ، وأعلنت الجبهة « تمسكها بشرط الاعتراف بالاستقلال ، ورفضها للانتخابات التي اقترحها غي موليه » .

* في ٢٤ منه : المحامي (علي بو منجل) يلقي حتفه في سجون الجزائر بسبب ما تعرض له من التعذيب .

* ـ ظهور مجموعة من الوثائق التي تبرهن على انتشار التعذيب والقمع بالجزائر . وقد نشر (جاك شرايبير ـ جان) مجموعة من المقالات في مجلة (الاكسبرس) . كما نشر (موليير) ملف (الجندي الافرنسي الذي قتل في معركة)، كما نشر كتاباً (ضد التعذيب) . وأعلن الاستاذ (كابتان) أستاذ القانون بجامعة باريس ، أنه يوقف دروسه احتجاجاً على (اغتيال علي بو منجل) ، ونشر أخيراً كراس (المجندون يشهدون) .

٤ ـ افريل ـ نيسان :

* ـ في ٣ منه : (ماكس لوجان) يصرح : « تجتاز الحدود التونسية ـ الجزائرية في كل يوم ألف قطعة سلاح ، وهي في طريقها الى الثوار .

* ـ بيان (مجلس الأساقفة والكرادلة الافرنسيين) وفيه يعبر المجلس عن حيرته تجاه موجة التعذيب والقمع في الجزائر .

* ـ حكومة (غي موليه) تعين (لجنة إنقاذ الحقوق والحريات الفردية) في محاولة لإيقاف الإحتجاجات ضد أعمال التعذيب .

٥ ـ ماي ـ أيار :

* ـ في ٢٠ منه ـ الحكومة الافرنسية توقف إعانتها المالية (لتونس) .

* ـ في ٢٦ منه ـ إعدام الخائن (علي شكال) .

* ـ المظليون الافرنسيون يعودون إلى العاصمة الجزائرية لاستئناف عمليات القمع والتعذيب والإرهاب .

* ـ (غي موليه) يقدم استقالـة حكومته (منذ يوم ٢١ أيار ـ ماي) .

* ـ استشهاد قائد الولاية السادسة (الصحراء) ـ المرحوم (علي ملاح) .

٦ ـ جوان ـ حزيران :

* ـ في أوائل الشهر ـ وجه مندوب الحزب الاشتراكي في باريس (سيكالدي) رسالة الى (غي ـ موليه) أكد فيها ما يتم ارتكابه تحت إشراف (لاكوست) من أعمال التعذيب والقمع والاغتيال والقتل من غير محاكمة .

* ـ في ٤ منه ـ هجوم فدائي على (تلمسان) .

* ـ في ١٠ منه ـ انفجار قنبلة في (كازينو الكورنيش) في العاصمة .

٧ ـ جويليه ـ تموز :

* ـ أعلنت جبهة التحرير أن كل مفاوضة مع الحكومة الافرنسية ، لا بد لها وأن تجري على أساس (الاعتراف المسبق باستقلال الجزائر) .

* ـ في ٥ منه ـ الاضراب العام في الجزائر استجابة لأوامر (جبهة التحرير الوطني) .

* ـ في ١٣ منه ـ الفدائيون يدمرون المركز الكهربائي في مدينة (الأغواط) .

* ـ في ١٥ منه ـ مؤتمر النقابات العالمية الحرة يطالب فرنسا بالاعتراف (بالأمة الجزائرية) .

* ـ بلاغ رسمي في المغرب : « **يؤكد أن المغرب ملكاً وحكومة وشعباً متضامن مع الشعب الجزائري** » .

٨ ـ أوت ـ أغسطس ـ .

* ـ صدر أول عدد من مجلة (المجاهد) خارج الوطن الجزائري ، بعد أن صدرت أعداده السبعة الأولى داخل الجزائر على شكل نشرات صغيرة .

* ـ عقد في القاهرة من (٢٠) إلى (٢٨) اوت ـ اغسطس ـ أول مؤتمر يضم قادة الثورة ، الذين جاءوا من الداخل ، والقادة الذين يعملون بالخارج . وقرر هذا المؤتمر زيادة أعضاء (لجنة التنسيق والتنفيذ) من ٥ الى ٨ أعضاء . كما أذيعت أسماؤهم لأول

مرة . أما مجلس الثورة فقد زيد عدد أعضائه أيضاً من (٣٤) الى (٥٤) عضواً .

٩ ـ سبتمبر ـ أيلول ـ .

* ـ وقوع عدد من حوادث الاعتداء على الحدود التونسية ـ الجزائرية ـ (في يوم ٦ منه وقع حادث عين الدراهم) وذلك تنفيذاً لما أعلنه وزير الدفاع الافرنسي (أندريه موريس) عن (حق المطاردة ـ التتبع) لمطاردة الثوار الجزائريين حتى لو لجأوا إلى حدود البلاد المجاورة .

* ـ في ١٥ منه ـ الاعلان عن إنهاء بناء (خط موريس المكهرب) لعزل الجزائر عن المغرب .

* ـ إنتهاء إضراب الطلاب الذي أمر به (الاتحاد العام للطلاب المسلمين الجزائريين) منذ شهر جوان ـ حزيران ـ **١٩٥٦** .

* ـ إعتقال (ياسف سعدي) قائد الفدائيين بعاصمة الجزائر .

* ـ في ٣٠ منه ـ مؤتمر حزب التجمع الديموقراطي الافريقي في (باماكو) يطالب بإيقاف القتال في الجزائر .

١٠ ـ اكتوبر ـ تشرين الأول ـ

* ـ في الأول منه ـ عدوان افرنسي على الحدود التونسية قرب (ساقية سيدي يوسف) .

* ـ في الرابع منه ـ مظاهرات شعبية في تونس ، تطالب بجلاء القوات الافرنسية .

* ـ إستقالة ثلاثة أعضاء من (لجنة المحافظة على الحريات) .

* ـ في ٨ منه ـ الافرنسيون يفجرون بعض القنابل في (حي القصبة) بالجزائر ، فيقتلون (٢٤) مواطناً جزائرياً من بينهم (علي

لابوانت) أحد أعضاء تنظيم (ياسف سعدي) .

* - (حزب ميتران) يؤيد قيام دولة جزائرية متحدة مع الجمهورية الافرنسية .

* - في ٣١ منه - لجنة التنسيق والتنفيذ تعيد التأكيد على شرط (الاعتراف باستقلال الجزائر) قبل كل محاولة للتفاوض .

١١ - نوفمبر - تشرين الثاني -

* - في ٦ منه - (ابن لونيس) يعلن تعاونه مع فرنسا واشتراكه معها في الحرب ضد جيش التحرير الوطني .

* - في يوم ١٣ منه - حكومة (غايار) تصادق على المشروع الجديد (للقانون الاطاري) .

* - في ١٤ و ١٥ منه - تسليم الأسلحة الانكليزية والأمريكية الى (تونس) يتسبب في إثارة غضب فرنسا التي ترد على ذلك بسحب وفدها من المؤتمر البريطاني لحلف شمال الأطلسي .

* - في ٢٢ منه - ندوة تونسية - مغربية بين رئيس جمهورية تونس - الحبيب بورقيبة - وملك المغرب - محمد الخامس - يتقرر فيها قيام الزعيمين العربيين بالوساطة مع فرنسا لحل (القضية الجزائرية) على أساس (الاعتراف بالسيادة الجزائرية) . وفي اليوم ذاته تعلن الجبهة موافقتها على هذه الوساطة .

* - في ٢٩ منه - رئيس الوزارة الافرنسية (غايار) يرفض الوساطة التونسية - المغربية .

١٢ - ديسمبر - كانون الأول -

* - الجمعية العامة للامم المتحدة تصادق على التوصية بتسجيل (عرض الوساطة التونسية المغربية) وتدعو (إلى حل سلمي ديموقراطي وعادل للمشكلة الجزائرية) .

١٩٥٨ ـ 1958

١ ـ جانفي ـ كانون الثاني ـ

* ـ في ٢٣ منه ـ حل (الاتحاد العام للطلاب المسلمين الجزائريين . وقيام مظاهرات احتجاجية في باريس .

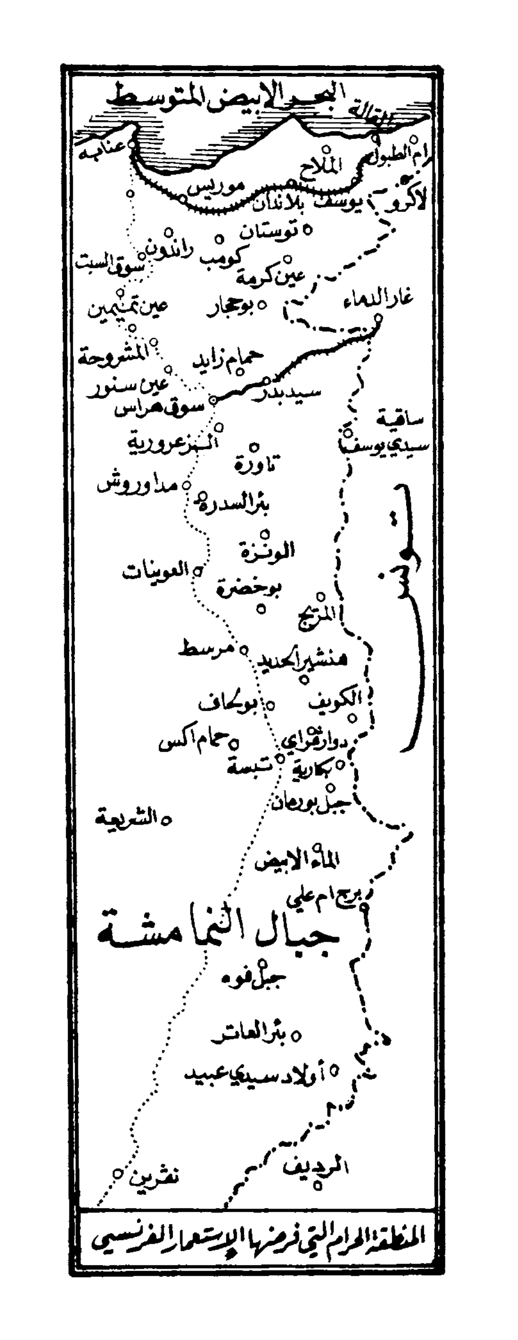
٢ ـ فيفري ـ شباط ـ .

* ـ في ٨ منه ـ عدوان إفرنسي على ساقية سيدي يوسف ـ بتونس (٧٢ قتيلاً و ٨٧ جريحاً) . وصدور احتجاجات عالمية على هذا العدوان السافر . وحدوث هيجان عالمي .

* ـ في ١١ منه ـ طرحت قضية العدوان الافرنسي على تونس ، في البرلمان الافرنسي وأعلن (غايار) أن الحكومة لا علم لها بالحادث الذي دبره العسكريون في الجزائر ، ولكنه أكد على تضامنه معهم .

* ـ في ١٩ منه ـ الحكومة الافرنسية تقرر إقامة منطقة محرمة على امتداد الحدود التونسية الجزائرية ـ وبعمق سبعين كيلو متراً .

* ـ في ٢٦ منه ـ أمريكا وبريطانيا تعرضان مساعدتهما لتسوية الخلاف بين فرنسا وتونس . وظهور خلاف أساسي في موضوع الوساطة بين فرنسا وتونس : فبينما كانت فرنسا ترى أن مهمة الوساطة هي فتح باب المفاوضات المباشرة بين باريس وتونس من غير التعرض لمشكلة (بنزرت) أو (الجلاء التام عن تونس) أو (مشكلة الجزائر) . كانت تونس ترى أنه لا فائدة من الوساطة ان هي لم تتعرض الى (مشكلة الجزائر) لان الحرب هي سبب حادث الساقية .



المنطقة الحرام التي فرضها الإستعمار الفرنسي

٣ ـ مارس ـ آذار ـ .

* في ٦ منه : ملك المغرب ورئيس الجمهورية التونسية يدعوان إلى إقامة اتحاد (فيديرالي) وإلى حل للمشكلة الجزائرية على أساس (تحقيق المطامح الوطنية) من شأنه أن يفتح آفاق التعاون بين فرنسا والمغرب العربي ، وبين فرنسا وأفريقيا .

*** ـ في ٧ منه : (فيليكس غايار) يقترح مشروعاً دفاعياً يضم دول البحر الأبيض المتوسط .**

* ـ في ٢٤ منه : تصريح آخر (للاكوست) يقول فيه : « لن تمنعنا الأحلاف والوساطة ، ولا أي أحد ، من بناء الجزائر الجديدة » .

٤ ـ افريل ـ نيسان ـ

* ـ من ٢٧ الى ٣٠ منه : عقد مؤتمر طنجة ، الذي ضم جبهة التحرير وحزب الاستقلال المغربي وحزب الدستور التونسي ، والذي تم فيه بحث مواضيع : « حرب الجزائر ، تصفية مخلفات الاستعمار بتونس والمغرب ، وإقامة وحدة المغرب العربي » ، وأوصى البيان الختامي للمؤتمر بإقامة (اتحاد المغرب العربي (فيديرال) وبتنظيم مكتب دائم للمؤتمر .

* ـ سقوط حكومة (فيليكس غايار) بعد أن وقعت اتفاقاً مع الحكومة التونسية بشأن الجلاء عن القواعد العسكرية ـ باستثناء بنزرت ـ وذلك في نطاق (الوساطة البريطانية ـ الأمريكية) .

* ـ من ١٦ الى ٢٢ منه : عقد مؤتمر الدول الأفريقية المستقلة في (أكرا) ، وأعلن أن الجبهة هي (الممثل الوحيد للشعب الجزائري) . وقد شكل المؤتمر ثلاثة وفود للقيام بجولة في أوروبا

الشمالية وأمريكا اللاتينية وآسيا للدعوة من أجل دعم القضية الجزائرية في هيئة الأمم المتحدة . كما طلب البيان الختامي للمؤتمر من فرنسا الجلاء عن أرض الوطن الجزائري .

٥ ـ ماي ـ أيار ـ .

*** ـ الجنرال ديغول يتولى سلطات رئيس الجمهورية ، ويقبل بتشكيل الحكومة .**

٦ ـ جوان ـ حزيران ـ .

* ـ في ٤ منه ـ ديغول يزور الجزائر ، ويلقي خطاباً في ساحة (الفوروم) يعلن فيه عن القسم الانتخابي الموحد ، ثم يزور قسنطينة ، ويحاول الحصول على دعم الجيش لمخططاته .

* ـ مجلس الأمن يناقش شكوى تونس ضد فرنسا .

* ـ تعاظم نشاط الفدائيين الجزائريين .

٧ ـ جويليه ـ تموز ـ .

* ـ ديغول يعود لزيارة الجزائر ، في أول الشهر ، ويجري مجموعة من الاتصالات مع الجيش الافرنسي .

٨ ـ اوت ـ أغسطس .

في ٢٠ منه : الحكومة الافرنسية تصدر قراراً بحل (الرابطة العامة للعمال الجزائريين ـ الودادية) والتي كانت تابعة (للاتحاد العام للعمال الجزائريين بفرنسا) .

*** ـ في ٢٥ منه : قيام الفدائيين الجزائريين ـ من جبهة التحرير ـ بعملياتهم في فرنسا ، وذلك بهدف تدمير المنشآت الاقتصادية والعسكرية .**

* ـ الوفود الديبلوماسية التي شكلها (مؤتمر أكرا) تبدأ جولتها في أوروبا الشمالية وأمريكا اللاتينية وذلك بهدف دعم (القضية

الجزائرية) عند عرضها على هيئة الامم المتحدة .

٩ ـ سبتمبر ـ ايلول ـ

*** ـ في ١٩ منه ـ الاعلان عن تشكيل (الحكومة الجزائرية المؤقتة) في كل من القاهرة وتونس والرباط .**

*** ـ في ٢٦ منه ـ الحكومة الجزائرية المؤقتة تعلن أول بيان سياسي لها ، وتعرض فيه بصورة علنية فتح باب المفاوضات مع فرنسا .**

* ـ القيادة الافرنسية بالجزائر ، تشن حملة عسكرية واسعة النطاق في (ناحية القبائل) يشترك فيها (**٣٥**) ألف جندي افرنسي .

* ـ جيش التحرير الوطني يطور أعماله القتالية في (جبال الهوقار ـ بالصحراء الكبرى) .

١٠ ـ اكتوبر ـ تشرين الأول ـ .

* في ٣ منه ـ الجنرال ديغول يعلن في (قسنطينة) عن مشروعه الاقتصادي لتنمية الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الجزائر .

* ـ الحكومة الجزائرية تعلن العفو عن (أسرى الحرب الافرنسيين) وتطلق سراح المساجين والاسرى .

* ـ في ١٦ منه ـ القوات الافرنسية بقيادة (١٤) جنرالاً تقوم بتنفيذ (عملية بريمير) . وهي العملية الكبرى التي شملت جبال (اكفادور) و (وادي الصومام) وجبال (قرقور) بناحية (سطيف) . وقيام قوة من (١٠) آلاف جندي افرنسي بقيادة (الجنرال فور) بمحاولة محاصرة (الكولونيل عميروس) .

*** ـ في ٢٣ منه ـ الجنرال ديغول ـ يعرض في مؤتمره الصحفي بباريس ـ على جبهة التحرير ما أطلق عليه اسم (سلم الشجعان ـ أو**

سلم الأبطال) ويدعو (قادة المنظمة الخارجة على القانون) بالمجيء إلى باريس .

* - في ٢٥ منه - الحكومة الجزائرية ترفض عرض (سلم الأبطال) ولكنها تترك الباب مفتوحاً أمام كل مفاوضة جديدة .

١١ - نوفمبر - تشرين الثاني -

* في ٣ منه - جيش التحرير يشن هجوماً عاماً على الخط المكهرب (على الحدود التونسية) .

* في ٧ منه - هيئة الامم المتحدة تقرر مساعدة اللاجئين الجزائريين بتونس والمغرب .

*** في ١٧ منه - الماريشال (جوان) يعلن : « أن الحرب على وشك الانتهاء » .**

* في ٢٦ منه - القائد عز الدين - كومندان - يقع في أسر القوات الافرنسية بناحية (بني عمران - الأخضرية) - .

١٢ - ديسمبر - كانون الأول -

* - في ٥ منه - القوات الافرنسية تهاجم مخيماً للاجئين الجزائريين - فوق التراب المغربي .

* في ٧ منه - الجنرال ديغول يلقي خطاباً في عاصمة الجزائر ، يشير فيه (الى الشخصية الجزائرية) .

* في ٨ منه - الامم المتحدة تفتتح مناقشة القضية الجزائرية .

* في ٨ منه - أيضاً - افتتاح مؤتمر الشعوب الافريقية في (أكرا) . واشتراك جبهة التحرير الوطني في هذا المؤتمر بارسال وفد هام لتمثيلها .

* في ١٥ منه ـ كتلة الدول الافريقية ـ الآسيوية ، تتقدم بنص ختام مناقشة القضية الجزائرية ، أوصت فيه « بالاعتراف بحق الشعب الجزائري في الاستقلال . وطلبت بالحاح فتح باب المفاوضات بين الطرفين » وحصل هذا النص على (٣٥) صوتاً . وامتنعت أمريكا عن التصويت .

1959 ـ ١٩٥٩

١ ـ جانفي ـ يناير ـ .

* في الثالث منه ـ معركة عنيفة بين جيش التحرير وقوات المظليين (الجنرال ماسو) في البرواقسية ، على بعد خمسين كيلو متراً من العاصمة ـ الجزائر ـ .

* قيام (١١) كتيبة يدعمها الطيران بهجوم تحت قيادة (الجنرال فور) ضد نواحي (تيزي اوزو) و (منايل) و (ذراع الميزان) .

* في ١٥ منه ـ لبنان يعترف بالحكومة الجزائرية .

* الجنرال ديغول ، يرسل (غيوما) و (الجنرال ايلي) الى الجزائر ، لدراسة الموقف في الجيش الافرنسي على أثر تطور الأعمال القتالية .

* من ٢٧ الى ٢٩ جانفي ـ معارك عنيفة في جبال (الظهرة) قرب (الونزة) .

* نصب كمائن في (الميليه) و (سان شارل) و (العزازقة) يقتل فيها (٢٦) جندياً افرنسياً من بينهم (الكولونيل ماري) .

٢ ـ فيفري ـ شباط ـ .

* ـ في ١٢ منه ـ المحكمة العسكرية بوهران تصدر أحكاماً

بإعدام (٢٤) مواطناً جزائرياً .

* في ٢٢ منه ـ قائد الأمن بالعاصمة (الكولونيل غودار) يصرح : « إننا قادرون على خنق الثورة في الأشهر القادمة ، وقبل موفي السنة الحالية على كل حال » .

٣ ـ مارس ـ آذار ـ .

في ٢٩ منه ـ القائدان (عميروش) و (أحمد بن عبد الرزاق ـ سي الحواس) يستشهدان في معركة بجبل تامر جنوب بو سعادة) .

٤ ـ افريل ـ نيسان ـ .

* ـ جيش التحرير يمارس نشاطاً واسعاً في (ناحية الأغواط) بالصحراء (في ١٣ ـ افريل) .

* ـ في ٢١ منه ـ (الجنرال شال) يصرح لصحيفة (لوموند) : « إنه في الإمكان إيجاد حل عسكرى للمشكلة الجزائرية » .

٥ ـ ماي ـ ايار ـ .

* ـ الاوروبيون يحتفلون بذكرى تمردهم في جو من الحزن . احتجاجاً على عدم تحقيق أهدافهم ، وذلك في (يوم ١٣ ـ ماي) .

* ـ إلقاء القبض على (١٤) مجاهداً جزائرياً في (حاسي مسعود) .

٦ ـ جوان ـ حزيران ـ

* في ٤ منه ـ مؤتمر الشعوب الافريقية بتونس .

* في ٢٤ منه ـ معركة حامية في (عنابة) وضواحيها .

٧ ـ جويليه ـ تموز ـ

* في اليوم الأول منه ـ تنفيذ حكم الاعدام في الضابطين الجزائريين (رزقي بغدادي) و(مولاي محمد) .

* وقوع معارك عديدة (في الأطلس الصحراوي) وفي عمالتي (الجزائر) و (قسنطينة) ، واعتراف فرنسا بخسائرها الفادحة في هذه المعارك .

* في ٦ منه ـ اكتشاف خلايا لجبهة التحرير في المراكز الاجتماعية التي تشرف عليها السلطات الافرنسية ، وإقالة رئيسها الافرنسي من منصبه .

* في ٩ منه ـ غانا تعترف بالحكومة الجزائرية .

* في ١٠ منه ـ الكتلة الافريقية ـ الآسيوية ، تقدم بياناً إلى الامم المتحدة عن (تطور المشكلة الجزائرية) .

* في ١١ منه ـ (الجنرال شال) يشن الهجوم على جبال (الحضنة) تنفيذاً للمخطط الذي حمل اسم (عملية الشرارة) .

* في ٢٠ منه ـ جيش التحرير ينظم هجوماً قوياً على (عين الزانة) وعدة مراكز افرنسية اخرى في (خط موريس) .

* في ٢٢ منه ـ (الجنرال شال) يشرع في تنفيذ (عملية جوميل) ببلاد القبائل ، ويشترك فيها اكثر من (٢٠) ألف جندي افرنسي .

* قيام عدد من الشخصيات البريطانية بتكوين لجنة في لندن مهمتها (إغاثة اللاجئين الجزائريين) .

* في ٢٩ منه ـ الزعيم النقابي (عيسات ايدير) يلقى حتفه بالمستشفى إثر التعذيب الذي تعرض له طوال أشهر عديدة .

٨ ـ اوت ـ اغسطس ـ .

* في ٣ منه : احتراق (٥٤) جندياً افرنسياً في غابة (بجبال الاوراس) .

* ـ اشتراك الحكومة الجزائرية المؤقتة في مؤتمر (مونروفيا) للدول الافريقية المستقلة ، ورفع العلم الجزائري بهذه المناسبة الى جانب أعلام الدول المستقلة الأخرى .

* غينيا تعترف بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية .

* في ٨ منه : قيام (١٦) نائباً ديموقراطياً بالكونغرس الأمريكي ، بمطالبة حكومتهم للتدخل لدى فرنسا للتفاوض مع الحكومة الجزائرية .

* ـ في ٢٥ منه ـ الممثلون الديبلوماسيون العشرة للدول العربية يطلبون من وزير خارجية أمريكا بذل جهود أخرى لتسوية المشكلة الجزائرية .

٩ ـ سبتمبر ـ ايلول ـ .

* الجامعة العربية تعقد جلساتها (بالدار البيضاء) وتتخذ عدداً من القرارات بشأن الجزائر .

* نقابات (أفريقيا السوداء) تطالب الامم المتحدة بارسال لجنة تحقيق الى الجزائر .

* في ١٦ منه ـ (الجنرال ديغول) يعلن اعتراف فرنسا (بحق الجزائر في تقرير مصيرها) .

* في ١٩ منه ـ الحكومة الهندية تعلن أنها تؤ يد كل اقتراح تتقدم به الأقطار الأفريقية ـ الآسيوية بشأن الجزائر الى هيئة الامم المتحدة .

* في ٢٨ منه ـ رئيس الحكومة المؤقتة يلقي في تونس بياناً على الصحفيين ، يتضمن جواب الحكومة الجزائرية على خطاب الجنرال ديغول . ويعلن عن قبولها لمبدأ تقرير المصير ، واستعدادها للتفاوض المباشر في الشروط السياسية والعسكرية لوقف القتال ، وفي الضمانات الضرورية لتطبيق مبدأ (حق تقرير المصير) .

١٠ ـ اكتوبر ـ تشرين الأول ـ .

* في ١٢ منه ـ رئيس الوزراء الافرنسي ـ كوف دي مورفيل ـ يدلي ببيان أمام التلفزة الامريكية ، يعلـن فيه أن حكومته مستعدة للتفاوض مع جبهة التحرير بشأن وقف القتال .

* في ١٣ منه ـ وزير الخارجية الافرنسي ـ دوبريه ـ يلقي بيانه بشأن الجزائر أمام البرلمان الافرنسي .

* في ١٥ منه ـ المجلس الوطني الافرنسي ـ البرلمان ـ يمنح الثقة لبرنامج ديغول بأكثرية (٤٤١) صوتاً ضد (٢٣) صوتاً .

١١ ـ نوفمبر ـ تشرين الثاني ـ .

*** جيش التحرير الوطني يطور ضغطه المتعاظم ضد قوات الاحتلال الافرنسي ، وتزايد نشاط جميع المناطق العسكرية في وسط البلاد ، مع تركيز نشاط خاص في الولاية الخامسة (حيث جبال الونشريس وجبال سيدي بلعباس) والتي دارت فيها معارك طاحنة تكبد فيها الجيش الافرنسي خسائر فادحة ـ لا سيما في يوم ١٠ نوفمبر ثم في يوم ١٥ نوفمبر ـ ١٩٥٩ . كما بقيت منطقة (الونشريس) قلعة**

قوية لجيش التحرير الوطني وذلك على الرغم من (عملية كورون) . وكانت فيالق الولايتين الرابعة والخامسة تكبد كل اسبوع قوات العدو أفدح الخسائر . وكذلك فقد بقيت (منطقة القبائل) بالرغم من (عملية جوميل) مسرحاً لاشتباكات كثيرة لا سيما في نواحي (اكفادو) والمثلث (مايو ، وتازمالت ، وأقبو) . كما كانت الولاية السادسة مسرحاً لاشتباكات كبيرة في شمال الأغواط . وحول (بو سعادة) وجنوب (بخارى) وقرب (توقرت) .

* في ١٠ منه ـ الجنرال ديغول يعلن في ندوة صحفية : « ليأتي ممثلو المنظمة الخارجة على القانون والمتمردون الى فرنسا » .

* في ٢٠ منه ـ الحكومة الجزائرية المؤقتة تكلف الزعماء الجزائريين الخمسة (ابن بيللا ورفاقه) والمعتقلين في سجون فرنسا ، بإجراء المفاوضات حول (تقرير المصير) . ورفض الجنرال ديغول الدخول في مفاوضات مع هؤلاء ، وقال : « إنه يتوجه من جديد الى المقاتلين » .

١٢ ـ ديسمبر ـ كانون الأول ـ

* تطور كبير في عمليات الفدائيين بالمدن الكبرى .

* ـ فرنسا تحشد (١٠) الاف جندي لتنفيذ عملية (الأحجار الكريمة) ومسح الشمال القسنطيني . ووقوع عدد من الاشتباكات العنيفة في ناحية وهران (جبال فرندة وسعيدة) وفي شمال شرق (بيشار) . مع استمرار إزعاج المراكز الافرنسية على الحدود الشرقية ، وعبور الخط المكهرب ـ وكذلك تخريب الخطوط المكهربة في (الغرب) عدة مرات . واصطدام الوحدات الافرنسية بقوات جيش التحرير الوطني التي أخذت في الظهور وهي على درجة

عالية من الكفاءة القتالية ، والتسلح الحديث .

* من ١ الى ١٥ ديسمبر ـ إعتقال عدد من مناضلي جبهة التحرير في فرنسا .

* في ١٦ منه ـ اجتماع المجلس الوطني للثورة الجزائرية بطرابلس .

* في ١٩ منه ـ الاتحاد العام للعمال الجزائريين يرفض نتائج التحقيق الذي قامت به السلطات الافرنسية حول اغتيال (عيسات ايدير) .

1960 ـ ١٩٦٠

١ ـ جانفي ـ يناير ـ .

* في ٤ منه ـ نشر تقرير الهلال الأحمر حول المحتشدات في الجزائر .

* في ٢٠ منه ـ تصريح المجلس الوطني للثورة الجزائرية في ختام اجتماعه بطرابلس ، حيث أكد موقف الحكومة المؤقتة المعلن في ٢٨ سبتمبر ـ ايلول ـ ١٩٥٨ حول (حق تقرير المصير) واعتبار هذا الحق هو وسيلة الشعب الجزائري لنيل استقلاله .

* ـ في ٢٤ منه ـ مظاهرات صاخبة في الجزائر احتجاجاً على الأعمال الوحشية لجيش الاحتلال .

* في ٢٥ منه ـ برقية للجنرال ديغول ، يقول فيها : « **إن المظاهرات التي بدأت في الجزائر قد ألحقت ضربة مشينة بفرنسا** » .

* ـ قامت الوحدات الخاصة لجيش التحرير الوطني بتدمير ٩ قطارات خلال هذا الشهر .

٢ ـ فيفري ـ شباط ـ .

* ـ صرح الناطق باسم قيادة الجيش الافرنسي بالجزائر ، أمام مراسلي الصحف الأجنبية بقوله : « نأسف لأن أجهزتنا ومؤسساتنا لن تنشر بعد الآن نتائج العمليات ، نظراً لاستغلال الصحافة الأجنبية لهذه النتائج ، واستثمارها بشكل غير لائق » .

*** في ١٣ منه ـ فرنسا تفجر أول قنبلة ذرية لها في (رقان) رغم احتجاج دول العالم بأسره .**

* في ١٧ منه ـ اشتباكات دموية عنيفة في (قطاع الأخضرية) .

* في ٢٧ منه ـ إدارة أمـن الجزائر ـ تعلن عن اكتشاف شبكة للتضامن مع جبهة التحرير الوطني ،وتتكون من افرنسيين .

٣ ـ مارس ـ آذار ـ .

* في ٣ منه ـ (الجنرال ديغول) يزور الشمال القسطنطيني .

* في ١٤ منه ـ صرحت الحكومة المؤقتة : « **بأن خطاب ديغول بالشمال القسنطيني قد أوصد الطريق أمام مفاوضات السلام** » .

٤ ـ افريل ـ نيسان ـ .

*** ـ فرنسا تفجر قنبلتها الذرية الثانية في الصحراء .**

*** ـ الحكومة المؤقتة تقرر الانضمام الى اتفاقيات جنيف ، وتعلن عن قبول المتطوعين الأجانب دون تمييز (في ١١ نيسان ـ افريل ـ ١٩٦٠) .**

* في ١٢ منه ـ ندوة الشعوب الافريقية في (كونا كري) .

٥ ـ ماي ـ أيار ـ .

* ـ الجيش الافرنسي يستخدم قنابل النابالم في جنوب (عين

الصفراء) وشرق (فيقيق) بجبال (أمزي) . وتطور الهجمات اليومية في الشرق على المراكز والدوريات العسكرية الافرنسية ، واسقاط (٩) طائرات .

* في ٤ منه ـ بيان من الحكومة المؤقتة يدين المساعدات المادية التي تقدمها أمريكا الى فرنسا .

٦ ـ جوان ـ حزيران ـ .

* من ٢٥ الى ٢٩ جوان ـ محادثات مولان .

٧ ـ جويليه ـ تموز ـ .

* في الخامس منه ـ الحكومة المؤقتة تعلن ـ على أثر فشل (مفاوضات مولان) أنها لن تتفاوض في المستقبل إلا على أساس اتفاق مشترك .

٨ ـ أوت ـ اغسطس ـ .

* ـ في ٢٢ منه ـ الحكومة المؤقتة تطلب استفتاء الشعب الجزائري (بشأن مصيره) على أن يتم هذا الاستفتاء تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة .

* ـ افتتاح ندوة وزراء الخارجية العرب في لبنان ، حيث أدرجت القضية الجزائرية على رأس القضايا المطروحة للبحث من قبل الوفود العربية .

٩ ـ سبتمبر ـ ايلول ـ .

* في ٥ منه ـ (الجنرال ديغول) يعلن في مؤتمر صحفي : « بأنه ليس من حق الأمم المتحدة أن تتدخل في شؤون هي من اختصاص فرنسا وحدها » .

* في ١٦ منه ـ الحكومة المؤقتة تصدر مذكرة تدين فيها (دمج الجزائر في حلف شمال الأطلسي) .

* في ٢٢ منه ـ مكتب هيئة الأمم المتحدة يوصي بتسجيل (القضية الجزائرية) وتم التسجيل من غير اعتراض أو مناقشة .

١٠ ـ اكتوبر ـ تشرين الأول ـ .

* ـ في ٢٣ منه ـ الفدائيون يهاجمون (٥) مراكز للحراسة في باريس .

* ـ في ٢٥ منه ـ فرار (٦) أفراد من أعضاء جبهة التحرير الوطني من سجن (سانت ـ بيار ـ بفرساي) .

١٢ ـ ديسمبر ـ كانون الأول ـ .

* في ١١ منه ـ مظاهرات شعبية تجتاح القطر الجزائري بكامله .

* من ٢٤ الى ٢٧ ـ ديسمبر ـ المؤتمر الثاني لاتحاد طلاب المغرب العربي بالرباط .

1961 ـ ١٩٦١ .

١ ـ جانفي ـ كانون الثاني ـ .

في ١١ منه ـ استشهاد (سي الزبير) قائد منطقة الجزائر ـ العاصمة ـ

٢ ـ فيفري ـ شباط ـ .

* في ١٨ منه ـ مالي تعترف بالحكومة الجزائرية المؤقتة .

* في ٢١ منه ـ عمليات عسكرية عنيفة على الحدود الجزائرية ـ التونسية .

٣ ـ مارس ـ آذار ـ

* من ٢٥ الى ٣١ منه ـ اجتماع الندوة الثالثة للشعوب الافريقية ـ بالقاهرة ـ .

* من ٢٦ الى ٣٠ منه ـ المؤتمر الاستثنائي للكتاب الافرو ـ آسيويين ينعقد بطوكيو .

٤ ـ افريل ـ نيسان ـ .

* ـ عمليات عسكرية فدائية ضد مراكز الشرطة بباريس .

* ـ من ١٣ الى ١٥ منه ـ مظاهرات شعبية في الجزائر .

* **٢٢ منـه ـ تمرد عسكري في الجزائر ، وتصريح قادة التمرد ـ الجنرالات ـ باذاعة الجزائر .**

* ـ في ٢٣ منه ـ التحاق الجنرالان (صالون) و (قورو) بقادة التمرد .

* في ٢٥ منـه ـ تفجير قنبلة ذرية ثالثة (برقان) .

* في ٢٦ منـه ـ مظاهرات عنيفة بالجزائر .

٥ ـ ماي ـ أيار ـ .

* في ١٠ منه ـ الحكومة الجزائرية المؤقتة ، والحكومة الافرنسية ، تعلنان في وقت واحد عن الشروع في (محادثات ايفيان) .

* في ٢٠ منه ـ بدء محادثات (ايفيان) .

٦ ـ جوان ـ حزيران ـ

* ـ ايفيان ـ مواصلة دراسة (مشكلة الصحراء) .
* في ١٣ منـه ـ تأجيل ندوة ايفيان .
* في ٢٠ منـه ـ الحكومة المؤقتة تعلن عن رغبتها في استئناف محادثات ايفيان .

٧ ـ جويليه ـ تموز ـ

* في ١ ـ منـه ـ الاضراب العام في العاصمة .
* في ٢ حتى ٥ منه ـ مظاهرات كبيرة في وسط البلاد ، وأحداث دامية في شرقيها .
* في ١٩ منه ـ اضطرابات دموية في (بنزرت) .
* في ٢٠ منه ـ استئناف المحادثات بين جبهة التحرير الوطني وفرنسا في (لوقران) .
* في ٢٣ منه ـ إيقاف القتال في (بنزرت) .

٨ ـ اوت ـ آب ـ

* ـ فرنسا تعترف بحق الجزائر في الصحراء .
* ـ في ١١ منه ـ المجموعة (الأفرو ـ آسيوية) تطالب بطرح قضية الجزائر على المناقشة في هيئة الأمم المتحدة ـ.
* في ٢٧ منه ـ تعديل الحكومة الموقتة للجمهورية الجزائرية .

٩ ـ سبتمبر ـ ايلول ـ

* في ١٧ حتى ٢٠ منه ـ مظاهرات للجزائريين بباريس .
* في ١٨ منه ـ إضراب عام عن الطعام للمعتقلين الجزائريين في سجن (بومات) بمرسيليا .

* في ٢٢ منه ـ مظاهرات في الجزائر .

١٠ ـ اكتوبر ـ تشرين الأول ـ .

* في الخامس منه ـ حظر التجول على الجزائريين بباريس ـ ابتداء من الساعة الثامنة مساء .

١١ ـ نوفمبر ـ تشرين الثاني ـ .

* في اليوم الأول منه ـ مظاهرات شعبية بمناسبة اليوم الوطني للمطالبة بالاستقلال .

* في ٢ منه ـ إضراب عام للمناضلين الجزائريين المعتقلين في جميع سجون فرنسا .

* في ١٨ منه ـ مظاهرات صاخبة ضد منظمة الجيش السري الارهابي ـ اوس ـ

١٢ ـ ديسمبر ـ كانون الأول ـ .

* في ١١ منه ـ إحياء ذكرى مظاهرات (١١ ديسمبر ـ ١٩٦٠) في العاصمة وقسنطينة وعنابة .

* ـ من ١٩ حتى ٢٣ منه ـ حركة إضراب عامة ضد منظمة الجيش السري الارهابي .

* ـ في ٣١ منه ـ الحكومة المؤقتة تطلق سراح سجينين افرنسيين .

1962 ـ ١٩٦٢

١ ـ جانفي ـ كانون الثاني ـ .

* في ٢ منه ـ بيان الشخصيات الأدبية والسياسية والصحافية الافرنسية ، في موضوع (احترام حقوق الانسان في الجزائر) .

* في ٥ منه ـ خمس منظمات افرنسية تتخذ مواقف ضد الأعمال الاجرامية لمنظمة الجيش السري الافرنسي ، تلبية لنداء منظمة حقوق الانسان .

* ـ المحادثات بين جبهة التحرير الوطني وفرنسا تجابه مأزقاً جديداً .

* ـ في ١٢ منه ـ الحكومة المؤقتة تؤكد رغبتها في التفاوض على أساس تقرير المصير .

* في ١٥ منـه ـ اجتماع سري للغاية في (قصر الاليزيه) بهدف اتخاذ إجراءات لحفظ النظام في كل من فرنسا والجزائر .

* في ١٦ منـه ـ إضراب المعلمين بالجزائر .

٣ ـ مارس ـ آذار ـ .

* ٧ منه ـ بدء جولة جديدة من مفاوضات (ايفيان) .

* ١٨ منه ـ **التوقيع على اتفاقية (وقف القتال) .**

* ١٩ منه ـ إيقاف الاقتتال .

٤ ـ جويليه ـ تموز

في اليوم الأول منه ـ الاستفتاء على استقلال الجزائر ، وظهور النتيجة بنسبة (٩٧ , ٣) بالمائة لصالح الاستقلال .

في ٥ منه ـ اعلان استقلال الجزائر(*) .

(*) المرجع للوجيز في الصفحات السابقة :

١ ـ نشرة صادرة عن وزارة الاعلام الجزائرية .

٢ ـ صحيفة (الشعب) الجزائرية ـ الخميس 5 جويليه 1979 ص 5 .

٣ ـ جريدة (المجاهد) الجزائرية ـ ١٩٥٨/١١/١ ص ٤ و٥ و١٠ .

٢ ـ سنوات الصراع

استمرت الثورة الجزائرية منذ أن انطلقت رصاصاتها الأولى وحتى جلاء القوات الاستعمارية عن الأرض الطهور ، أرض الجزائر المحروسة ، زهاء سبعة أعوام وثمانية أشهر وخمسة أيام (أو ٩١ شهراً وخمسة أيام ، أو ٢٨٠٣ يوماً تقريباً) ودفع شعب الجزائر خلال هذا الصراع المرير حياة مليون ونصف من مواطنيه ، أو ما يعادل ٥٣٥ فرداً مع شروق شمس كل يوم .

طوال (٢٨٠٣) يوماً والشعب الجزائري المجاهد يقدم كل يوم على مذبح حريته وكرامته وسيادته زهاء (٥٣٥) فرداً . أي ما يعادل ٢٦ حتى ٢٧ شهيداً في كل ساعة من ساعات النهار والليل ، تقريباً . وهو ثمن فادح ربما لم يقدمه شعب من شعوب الأرض في مثل ظروف الصراع الذي عاشه شعب الجزائر عبر محنته الرهيبة . فإذا ما أضيف إلى ذلك ما قدمه شعب الجزائر طوال سنوات الصراع الذي رافق الاستعمار الافرنسي طوال مائة واثني وثلاثين عاماً ، فسيظهر بوضوح قدر تلك التضحيات الضخمة التي دفعها شعب الجزائر المجاهد ، مع ما رافق هذه التضحيات من معاناة مريرة ، وآلام دفينة . وتعجز الكلمات عن وصف جوانب المأساة التي عاشها

الشعب المجاهد طوال ليل الاستعمار .

يظهر من خلال هذه الصورة القاتمة أن كل ساعة من ساعات عمر الثورة الجزائرية الأخيرة ـ ثورة التحرير ـ كانت حافلة بالأحداث المثيرة ، ومن هنا ، فالوجيز الذي سبق عرضه لا يمثل أكثر من صورة عامة لأحداث الثورة ، غير أن هذا الوجيز ـ على قصره ـ يبرز **الملامح الرئيسية لمسيرة الصراع وتطوره** . وهي الملامح التي تعطي للثورة الجزائرية ، خصوصيتها ، ولعل من أهم هذه الملامح :

١ ـ تحديد الهدف بوضوح منذ بداية الثورة وحتى نهايتها وهو (حق تقرير المصير المؤدي إلى الاستقلال الكامل) ، والثبات عند الهدف في كل الظروف .

٢ ـ التكامل في استخدام طرائق الصراع السياسي والمسلح ، من غير إهمال لإحدى الطريقتين ، أو الاعتماد على إحداهما على حساب الأخرى .

٣ ـ التوازن في توجيه الصراع على المستويات الداخلية والعربية والدولية . والاعتماد على جناحي الجزائر ـ الجغرافيين ـ المغرب وتونس ، والاستناد بصورة طبيعية إلى الأرضية الصلبة والثابتة (الأرضية العربية ـ الاسلامية) من غير إهمال للظروف الدولية .

٤ ـ تطوير الصراع المسلح وتصعيده بصورة مستمرة بما يتناسب وثقل الهجمة التي كانت تعمل فرنسا الاستعمارية على تطويرها بصورة ثابتة .

٥ ـ البدء قبل كل شيء بدعم أرضية الثورة ، وذلك بالقضاء على أعداء الثورة في الداخل وتدمير المتعاونين مع فرنسا ، وعزل النظام الاستعماري وتطويقه .

٦ ـ نقل الحرب بكل أبعادها السياسية والعسكرية إلى فرنسا ذاتها . وتوجيه التهديد الى قلب فرنسا الأمر الذي خلق في فرنسا انقساماً خطيراً . وهكذا وبينما كانت الجبهة الجزائرية تتزايد تلاحماً يوماً بعد يوم ، كان استمرار الصراع يمزق الجبهة الداخلية لفرنسا بصورة متزايدة ، وكان ذلك هو العامل الحاسم في تقرير مصير الصراع .

٧ ـ الافادة من الأخطاء السياسية والعسكرية للاستعماريين الافرنسيين ـ وهي أخطاء متلاحمة في صلب النظام الاستعماري ذاته ـ واستثمار هذه الأخطاء الى أبعد الحدود .

٨ ـ تطبيق استراتيجية رائعة من قبل (القادة التاريخيين للثورة) وتجنب الوقوع في الأخطاء الخطيرة ، والتحرك بحذر شديد على كافة مستويات الصراع .

تلك هي أبرز الملامح ـ لا كلها ـ وعودة إلى قصة الثورة .

استطاع الثوار التاريخيون إثبات وجودهم على المسرح القتالي ، وتمكنوا من تجاوز مرحلة الخطر طوال السنة الأولى من الصراع المسلح ، وامتد لهيب الثورة مع بداية سنة ١٩٥٦ ليشمل كامل تراب الوطن الجزائري تقريباً . وتحرك المغرب العربي (مراكش) وحصلت تونس على استقلالها الذاتي ، وخاضت فرنسا معركة الانتخابات التي فاز فيها الاشتراكيون ، وأصبح (غي موليه) رئيساً للوزراء ، وبات لزاماً عليه تنفيذ وعده لناخبيه بتحقيق (السلم في الجزائر) . غير أنه لم يكن يعرف ما يتضمنه هذا السلم ، ولا ما يعنيه . وعند وصوله إلى السلطة سافر إلى الجزائر العاصمة . فاستقبله الأوروبيون بنفور ظاهر ، وهاجموه بالطماطم الفاسدة (البندورة) . ثم قام بزيارته للجزائر كلها ، واستشار العسكريين

فيها . وكان كل ما عرفه أو تعرف عليه ، جديداً بالنسبة إليه . فالمسألة مختلفة كل الاختلاف عما كان يتصوره . وفجأة ، غير (غي موليه) سياسته ، وعين (لاكوست) وزيراً مقيماً في الجزائر ، وأعطى للادارة الافرنسية في الجزائر سلطات خاصة ، واستدعى قرعات جديدة من الجنود ، ودعم قوات حفظ الأمن (الجندرمة والبوليس) في الجزائر حتى بلغ تعداد أفراد القوات المقاتلة (٤٠٠) ألف رجل .

لقد زجت هذه الاجراءات فرنسا في طريق لا نكوص عنها ولا تراجع فيها : فإما الانتصار السريع والحاسم وإما التخلي عن الجزائر . وكان هذا الجهد العسكري بمثابة السد الذي لا يسمح بأية تسوية سياسية . هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية ، فقد كان من المحال على فرنسا الاستمرار في تقديم مثل هذا الجهد العسكري لمدة طويلة جداً ، في حين ظهر بوضوح أن عملية إخماد الثورة في الجزائر ـ عسكرياً ـ حتى من وجهة نظر الافرنسيين تتطلب مهلة زمنية لا تقل عن العشر سنوات .

حاول (لاكوست) ومعه (الجنرال لوريو) استخدام التعزيزات الضخمة في محاولة لانتزاع المبادرة من قبضة قيادة جبهة التحرير . ونفذ في محافظة قسنطينة منهجاً للقضاء على الثورة ، والسيطرة على مناطق متميزة بصورة قوية . وفي منطقة القبائل ، حاول الجنرال (أوليه) القيام بعمل سياسي على مستوى (الكومونات البربرية) وتطويره وردت جبهة التحرير على ذلك بعنف ، فوقعت مذبحة (باليسترو) الرهيبة . ثم دعمت جبهة التحرير وحدتها ومناهج عملها بالمؤتمر الذي عقدته في (وادي الصومام) وطورت الارهاب المضاد للارهاب الافرنسي في العاصمة (الجزائر) حتى بات المناخ

المعادي لفرنسا صعباً للغاية .

أعد (غي موليه) عملية الهجوم على قناة السويس ، وأوصى بالقيام بها ضد مصر ، معتقداً بأن هذه العملية ستصيب الثورة الجزائرية في جذورها وأصولها . ولكن العملية الافرنسية ـ البريطانية ـ الاسرائيلية كانت سيئة الإعداد جداً من الناحية السياسية ، كما أخضعتها القيادة البريطانية من الناحية العسكرية لخطة بطيئة جداً ، وانتهت هذه المغامرة على ما هو معروف بسبب تدخل الامريكيين والسوفييت معاً ، وكانت فشلاً سياسياً مثيراً ، انعكس على صفحة الثورة الجزائرية بصورة فورية ، فزال التوتر الذي سيطر على الموقف خلال اليوم الأول للانزال في السويس ، وانطلقت الثورة بقوة دفع جديدة ، بعد أن اكتسبت هيبة مؤكدة .

بدأت الثورة مرحلة جديدة مع بداية سنة ١٩٥٧ ، فقد عرفت قيادة جبهة التحرير الوطني ما تتمتع به ثورتها من أهمية دولية . كما أدركت بعمق ضعف السياسة الافرنسية في قلب العاصمة الافرنسية . فتابعت نشر عملها السياسي على امتداد الصفحة الجغرافية للجزائر ؛ وأخذ جهدها يتركز الآن على ثلاثة اتجاهات : ١ ـ استخدام الجزائر العاصمة ميداناً للاثارة ، فضاعفت أعمال الارهاب المضاد للارهاب الافرنسي . ٢ ـ إبراز الكيان السياسي للجزائر على المسرح الدولي ، واتخاذ جبهة التحرير صفة الحكومة الشرعية . ٣ ـ ممارسة العمل السياسي والعسكري في فرنسا بهدف إحداث انقسام في الرأي العام الافرنسي تجاه قضية (الحرب الجزائرية) . وإزاء هذا العمل ، حاولت الحكومة الافرنسية التي عينت (الجنرال سالان) في الجزائر ، حل المسألة الجزائرية بالوسائل العسكرية ، وبإعطاء العسكريين السلطات التي تتمتع بها قوات الأمن . وتلقت فرقة

المظليين العاشرة التي عادت من عملية السويس مهمة إعادة الأمن في الجزائر العاصمة ، وقسمت البلاد إلى مربعات ، وجمعت المسلمين في القرى . وقد برهنت هذه التدابير على عقمها وعدم جدواها . إذ تزايدت الصعوبات أمام الفلاحين ودفعتهم أعمال الارهاب لتطوير جهادهم وكفاحهم . وكان هذا العمل غير الكامل ، غير كاف بنفس المقدار أيضاً ، لأنه أهمل الطابع الدولي للصراع إهمالاً تاماً . وكان الوهم السياسي الذي أصرت عليه فرنسا هو : « أن الجزائر جزء لا يتجزأ من الأرض الوطنية الافرنسية » وأن منظمة الأمم المتحدة ، أو أية منظمة دولية أخرى لا علاقة لها بهذه الحرب « باعتبارها مشكلة داخلية تخص فرنسا وحدها » . وبذلك لم تجد فرنسا من يدافع عنها في الخارج . واستثمرت قيادة جبهة التحرير الوطني هذا الموقف إلى أبعد الحدود ، فانفردت بكل الامتيازات التي يتطلبها التحرك على المستوى الدولي .

في هذا الوقت بالذات تركز الاهتمام السياسي على الجزائر العاصمة حيث نشبت معركة قاسية بين مجاهدي جبهة التحرير ومظليي (ماسو) . وأعطى وجود الصحافة الدولية في الجزائر لكل ما جرى أصداء دولية واسعة ، إذ كان لا بد لأساليب التعذيب الوحشية ، وطرائق القمع البربرية من أن تستنفر الرأي العام العالمي وتستفزه ، وقد وصلت الاستثارة حداً قسمت فيه الرأي العام الافرنسي ذاته . واعتباراً من هذه اللحظة ، أصبح لجبهة التحرير الوطني أنصارها ومؤيدوها في الأوساط الافرنسية . وتمزقت الوحدة الوطنية الافرنسية تمزقاً رهيباً لم يلتئم حتى بعد انتهاء الحرب . ومع هذا فقد ربح المظليون معركة الجزائر العاصمة ، وأعادت عمليات (سالان) بوسائله التي عززت في ذلك الوقت درجة معينة من الأمن في الريف .

وظهر بعض الاضطراب في عمل جبهة التحرير ، فظن الافرنسيون أن ذلك بداية الهزيمة للثورة . لكن الجبهة كانت في هذه الفترة قد أخذت في تطوير عملها في تونس والمغرب . وسمحت لها معونة الحكومتين المستقلتين لهذين البلدين الشقيقين ، بأن تشكل نواة جيش نظام ـ هو جيش التحرير الوطني ـ والعمل على تطويره بفضل الأسلحة التي تسلمتها الجبهة من تشيكوسلوفاكيا والاتحاد السوفييتي . وانتقل الاهتمام العسكري من جديد إلى الحدود التي حاولت فرنسا تحويلها إلى حدود مغلقة بإحكام بواسطة تجهيزات دفاعية تجمع بين الشبكات الكهربائية ورادارات الكشف . وتم إنشاء خط موريس في الشرق ، وخط آخر لم تطلق عليه أية تسمية في الغـرب ، كانا يقومان بتحديد تسلل قوات جيش التحرير الوطني . وأصبح هذان الخطان مسرحين لمعارك دموية ضارية . وكان الإغراء يدفع الافرنسيين للتحرك الى تونس والمغرب لتدمير قوات جيش التحرير الوطني . ولكن ضغط الرأي العام الدولي منعهم من القيام بهذا العمل . وتطور جيش التحرير في حمى هذه المحرمات إلى أن شكل قوة هامة أصبحت فيما بعد أداة سيطرة جبهة التحرير الوطني على الجزائر ، ومصدر سلطة العقيد (الهواري بومدين) . وفي الوقت ذاته ، شكلت جبهة التحرير الوطني حسب سياق (نقلته عنها الفيتكونغ فيما بعد) حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية . وهكذا حصلت جبهة التحرير على كل الواجهة الدولية للثورة ـ كما حصلت على الجهاز الضروري لادارة البلاد .

خلق هذا التدهور في الموقف ، بالرغم من النجاحات الواضحة جداً في المجال العسكري ، استياء متزايداً في وسط الجيش الافرنسي الذي أحس بحرمانه من جهوده التي بذلها . ووقعت في

غضون ذلك حوادث خطيرة ، مثل حادثة (بازوكا الجزائر)(*) و (قضية فور)(**) فكشفت عن وجود شر يستفحل أمره . وفي (أفريل ـ نيسان ـ ١٩٥٨) أدت بعض الرمايات التي قام بها جيش التحرير الوطني من الأراضي التونسية ـ على حد زعم السلطات الافرنسية ـ إلى قيام القوات الافرنسية بإغارة جوية على (ساقية سيدي يوسف) الواقعة على الحدود التونسية . وأثارت هذه القضية ، التي أثيرت بصورة رائعة ، انفعالاً خطيراً في منظمة الأمم المتحدة وفي فرنسا ذاتها .

وتقدمت الولايات المتحدة الأمريكية بعرض وساطتها (للتدخل الودي والمصالحة) وأرسلت سفيرها (مورفي) إلى تونس . فهب الجيش الافرنسي ، وثار الرأي العام الأوروبي في الجزائر ، وتحولت الجزائر العاصمة الى مسرح للتظاهرات الشعبية العنيفة . ولم يتمكن الجيش من السيطرة عليها إلا بعد جهد مضن . وفي العاصمة الافرنسية ، تحركت الحكومة بلا خطة أو هدف ، وهي على ما هي

(*) وقع هذا الحادث في ١٦ جانفي ـ كانون الثاني ـ ١٩٥٨ ، إذ أطلق الافرنسيون المستوطنون في الجزائر قنبلة بازوكا من أحد السطوح في ميدان (ايسلي) على مكتب (الجنرال سالان) فقتل أحد مساعديه (المقدم روديه) وجرح العقيد (بوسيه) . وقد اتهمت جبهة التحرير الوطني بالحادث في بداية الأمر ، غير أن تحقيقات الشرطة الافرنسية أثبتت أن العمل هو من صنع الافرنسيين المستوطنين .

(**) قضية (الجنرال فور) هي قضية مشهورة في الصحافة الافرنسية . وتتلخص بإقدام (الجنرال فور) على مفاتحة (تيتجن) مفتش بوليس محافظة الجزائر بانقلاب يعتزم القادة ـ الجنرالات ـ الافرنسيون القيام به في الجزائر . وأعلم (تيتجن) رئيسه (شوساد) الذي أخبر بدوره (لاكوست) الوزير الافرنسي المقيم في الجزائر . وتم تسجيل حديث (فور) ثم استدعي الى فرنسا واعتقل . وتسرب الحادث إلى الصحافة الافرنسية ، فهاجم بعضها (تيتجن) واعتبره بعضها بطلاً وطنياً .

عليه من احتمال تدخل الجيش الافرنسي في الجزائر ضدها . وانهارت الجمهورية الرابعة .

* * *

تم استدعاء الجنرال ديغول لاستلام السلطة في الجمهورية الخامسة ، وكان (ديغول) يظن أن باستطاعته حل (القضية الجزائرية) بتسوية ليبيرالية مشرفة . غير أنه كان يمتلك من الإحساس السياسي ما حمله على رفض الصيغة التي ختمت (١٣ ماي ـ أيار) بصورة عفوية وتلك الصيغة هي أن (الجزائر افرنسية) . وكان (ديغول) يعرف أن (هضم الجزائر وتمثلها) الذي ربما كان ممكناً قبل عشرين عاماً ، قد تجاوزته الأحداث الآن ، وأن على فرنسا أن تقدم تنازلات واسعة ؛ ولكي يحصل على التسوية التي يتصورها ، فإنه اعتمد على الضغط العسكري للعمليات ، فعاد من جديد لممارسة الاستراتيجية السابقة . إلا أن (١٣ ماي ـ أيار) قد أعطى كل السلطات المدنية لجيش الجزائر . وكانت نتيجة هذا الموقف الجديد بالنسبة لمعظم القادة ـ الجنرالات ـ هي تحول عملهم عن المهام العسكرية .

عين ديغول (الجنرال شال) مكان (الجنرال سالان) على أمل الحصول على نصر عسكري حاسم ، يسمح له بتنفيذ التسوية السياسية . وأعلن عن هذه التسوية بتصريحات واضحة جداً عن (حق تقرير المصير الذاتي) و (سلم الشجعان) وذلك في (سبتمبر ـ أيلول ـ وأكتوبر ـ تشرين الأول ١٩٥٨) . وبدأ الجنرال شال سلسلة من العمليات العسكرية الكبرى ، التي طارد فيها الفلاحين حتى مخابئهم وملاجئهم . ووجدت قيادة جبهة التحرير

صعوبة كبرى في المحافظة على قواعدها ، والاحتفاظ بقوات ضخمة ، فقسمت قواتها إلى مجموعات صغرى انتشرت في كل الولايات . وظن ديغول أنه بات يسيطر على (٩٥) بالمائة من الجزائر . ووقف ينتظر استسلام الحكومة المؤقتة لإرادته . وكان انتظاره هذا مشابهاً تماماً لانتظار نابليون على أبواب موسكو سنة ١٨١٢ . فقد رفضت حكومة الجزائر الخضوع لمنطق القوة ، واستمرت في إصرارها التام على رفض عروض ديغول . ووقف الرأي العام العالمي إلى جانبها ، يدعمها ويشد أزرها . وهكذا حصل ديغول على النصر العسكري غير أنه لم يحقق أبداً هدفه السياسي .

لقد أدى هذا التطور إلى وضع ديغول أمام مأزق حرج ، فقد بدأ القلق ينتاب الرأي العام الافرنسي في الجزائر ، وجزءاً من الجيش الافرنسي ، بسبب السياسة الليبيرالية التي حاول ديغول تحقيقها بطرائق ملتوية لاخراج فرنسا من الوحل على حد زعمه . ونجم عن هذا الوضع سليسلة من الحوادث التي تفاقمت حدتها وخطورتها : فالحواجز أو المتاريس التي أقيمت في العاصمة ـ الجزائر ـ تشير إلى طلاق (الجزائر الافرنسية) من الحكومة . ووجدت الحكومة الافرنسية نفسها وهي مرغمة على مهادنة جبهة التحرير الوطني ، أو حتى دعمها ، للقضاء على التظاهرات التي اجتاحت المدن ، الأمر الذي عزز من هيبة الجبهة ودعم من مكانتها . وأعيد (الجنرال شال) إلى فرنسا بعد أن انتهت مهمته العسكرية . وسمحت هذه الضمانات أخيراً بالبدء في مفاوضات (مولان) وأعقبها خطاب ألقاه (ديغول) تحدث فيه عن (الجمهورية الجزائرية). وكان التطور قد أصبح الآن تاماً . بيد أن ديغول لا زال يأمل أيضاً بأن تسمح التسوية السياسية

النهائية بإنقاذ ما يمكن إنقاذه لتحقيق بعض المكاسب ، والمحافظة على المصالح الافرنسية كما كانت من قبل .

كانت هذه السياسة ليبيرالية بأكثر مما كان يتوقعه الافرنسيون من ديغول ، ولهذا فقد خابت آمالهم في الجزائر ، كما خابت آمال الجيش الذي جعل من جبهة التحرير الوطني وجيشها الهدف الأساسي لعدائه ، واشتد التوتر في الجزائر . وانفجر المأزق عن الانقلاب الذي دبره القادة ـ الجنرالات في الجزائر العاصمة . وكانت عملية هذا الانقلاب قد أعدت بصورة سيئة . ونفذت باستخفاف ورعونة ، فكان الفشل الحتمي مصيرها . غير أنها نجحت في شيء واحد ، وهو تمزيق الجيش الافرنسي تمزيقاً لم يعرفه من قبل . وزاد الموقف سوءاً بظهور حركة (منظمة الجيش السري) التي لم تكن في واقعها إلا ترجمة سيئة ورديئة لطرائق الحرب الثورية . وقد شنت هذه الحركة حملة إرهاب عنيفة وحمقاء ، زادت من تدهور الموقف بين الافرنسيين والمسلمين الجزائريين. ووجدت حكومة ديغول نفسها مرغمة على وضع حد نهائي للفوضى والاضطراب ، فعادت إلى استئناف المفاوضات (في إيفيان) . واعترفت باستقلال الجزائر ، وسيطر جيش التحرير الوطني على البلاد ، وتجمعت القوات الافرنسية في الموانيء والمطارات ، وبدأت بتنفيذ عملية الجلاء . كما غادر الافرنسيون المقيمون في الجزائر البلاد ، على أمل إرباك البلاد الجزائرية وهي في فجر استقلالها . غير أن حكومة الجزائر تمكنت من تجاوز العقبات .

وانهار البناء الذي عملت فرنسا على إقامته طوال (١٣٢ عاماً) . وباشر أبناء الجزائر في تضميد جراحهم وبناء حياتهم

الجديدة . وعادت المآذن مضيئة ترتفع فيها دعوات الخير - والله أكبر .

***

لقد حاول الكتاب الغربيون - والافرنسيون منهم خاصة - تحليل التجربة الجزائرية ، وتعليل أسباب (الفشل الافرنسي) وجاؤوا بافتراضات كثيرة ، منها - على حد زعمهم - ضعف القوات الافرنسية في بداية الثورة ، وسوء إدارة الحرب ، وفشل القيادات السياسية في معالجة المواقف المتتالية ، ولكن الحقيقة الأولى التي كانت سبب الفشل في الواقع هي أنَّ « الاستعمار ذاته هو الذي يحمل في جوف نظامه بذور مصرعه » أما الحقيقة الثانية والتي لا تقل في أهميتها عن الأولى فهي « تصميم شعب مؤمن بالله الواحد القهار ، وبحقه في الحرية والكرامة والسيادة . واستعداده لتقديم التضحيات مهما بلغت للدفاع عن دينه والذود عن حياضه ؛ فكان في ذلك نصره وهزيمة أعدائه .

٣ ـ جيش التحرير الوطني الجزائري

لقد ولد جيش التحرير الوطني الجزائري مع ولادة الثورة ، وتطور مع تطورها ، واكتسب قوته من قوتها . فصلب عوده من خلال الصراع المسلح . وبقي هو العمود الفقري للثورة ، فلولاه لما كان لأي مجهود سياسي جدواه أو فائدته . وقد بدأ جيش التحرير عمله في بداية الثورة على شكل مجموعات منعزلة،لا تنسيق بين عملياتها، وكانت تفتقر إلى الأسلحة والذخائر والأعتدة القتالية ، الأمر الذي دفعها إلى تركيز هجماتها ضد القوات الافرنسية بحثاً عن الأسلحة والذخائر ، وقد دفعت ثمن ذلك غالياً من دماء مجاهديها وأرواحهم . وبقي الأمر على ذلك حتى شهر آب (أغسطس) ١٩٥٦ حيث أعيد تنظيم الجيش وفقاً لمقررات مؤتمر (وادي الصومام) . فقسمت الجزائر إلى ست ولايات ، طبقاً لتقسيماتها الإدارية السابقة ، مع بعض الاختلاف في الحدود أحياناً بين التقسيمين ، وتبعاً لاختلاف النشاط في كل منطقة . وقد ضمت إلى الولايات الخمس الأصلية ، ولاية الصحراء الجديدة . كما اعتبرت مدينة الجزائر منطقة مستقلة ضمن الولاية الرابعة ، بسبب وضعها الخاص . وتم في العام ١٩٥٧ تنظيم قاعدتي الشرق والغرب على كل من الحدود التونسية

والمغربية ، بهدف تأمين وصول الأسلحة والرجال من المنطقتين وإليهما .

قضى مؤتمر الصومام بتقسيم كل ولاية إلى مناطق ، والمنطقة إلى أقاليم ، والإقليم إلى قطاعات . وفي كل مركز قيادة للجيش (قائد سياسي - عسكري) يعاونه ثلاثة مساعدين ، أحدهم للشؤون السياسية والثاني للعسكرية والثالث للمخابرات والارتباط . ويكون القائد على صعيد الولاية برتبة عقيد (كولونيل)(*) . وهي أعلى الرتب العسكرية التي سيستخدمها الجيش حتى الاستقلال . وتم في مؤتمر وادي الصومام تقسيم وحدات الجيش إلى أفواج يضم الواحد منها أحد عشر جندياً ، وفرقاً تضم الواحدة منها خمسة وثلاثين جندياً ، وكتائب تضم الواحدة مائة وعشرة جنود ، وفيالق تضم ثلاثمائة وخمسين جندياً . وقرر المؤتمر أن يتبنى الجيش نظام الدرجات العشر الموجودة بين المجاهدين في القبيلة ، وهي تبدأ بالعريف وتنتهي بالعقيد . وتم تنظيم الرواتب على درجات تبدأ بألف فرنك في الشهر للجندي العادي ، وتنتهي بخمسة آلاف للعقيد . ولكن ثمة كثيرين من المجاهدين لا يتقاضون رواتب. وقرر المؤتمر أيضاً ، تخصيص علاوات للعائلات ، ومنح رواتب لأسر الشهداء ، أو في حالات الأسر .

كتبت صحيفة « المجاهد » في نوفمبر - تشرين الثاني - ١٩٥٧

(*) بقي هذا النظام متبعاً طوال ربع قرن بعد الاستقلال ، ولم يحمل الرئيس هواري بومدين أكثر من رتبة عقيد . وفي ١٩٧٩/٧/١ ، أصدر الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد مرسوماً رفع بموجبه وزير الدفاع (القاصدي مرباح) الى رتبة عميد . فأفسح بذلك المجال أمام ترفيع القادة إلى رتب أعلى تتناسب مع حجم التشكيلات التي يقودونها والأعمال التي يمارسونها أسوة ببقية جيوش العالم .

(وهي الناطقة باسم جبهة التحرير ، عن الجيش ، فأكدت المخطط العام الذي وضعه مؤتمر (وادي الصومام) ثم قالت : « إن جيش التحرير هو جيش منظم ومسلح على أحدث طراز . لكن سر قوة الجيش وفعاليته ، تقوم بصورة رئيسية في العون غير المشروط الذي يتلقاه من الشعب » .

وهناك ثلاث فئات من المتطوعين في الجيش وهم : ١ ـ المجاهدون . ٢ ـ المسبلون(*) . ٣ ـ الفدائيون وهم الذين يحاربون في المدن . وهناك في بعض المناطق فئات « المغاوير ، أو فدائيو الموت » ويعمل هؤلاء بصفة مستقلة عن القيادات المحلية ويتولون القيام بمهام خطرة .

وكان الجيش قد أقام في العام ١٩٥٧ ، عدداً من الخدمات المركزية ، كالخدمة الطبية بما تشتمل عليه من عيادات ومستشفيات وخدمات الاتصال مع القيادات الأخرى ، والخدمات الاجتماعية لأسر الضحايا والشهداء ، والدعاية والاعلام والثقافة ، كما وسع نشاط المفوضين السياسيين . وفي غضون العام ١٩٥٨ ، تحول جيش التحرير الجزائري بصورة طبيعية وتدريجية إلى جيش نظامي عامل ، من غير أن يفقد روحه الثورية .

(*) المسبلون (جمع مُسْبِل ـ بضم الميم وتسكين السين وكسر الباء وإسكان اللام) والمسبلون هو اصطلاح جزائري يقصد به الأنصار الذين يتطوعون للعمل في مناطقهم ، فيقومون بتدمير طرق المواصلات ، وتفجير أعمدة الهاتف والقدرة الكهربائية ، وينقلون المعلومات لجيش التحرير عن تحركات العدو وقواته ، كما يعملون على نقل الذخائر والأسلحة ومساعدة الجرحى وإخلائهم من ميادين القتال ، ويستدرجون العدو إلى الكمائن المنصوبة . ويؤمنون حراسة قطعات جيش التحرير خلال توقفها ، ويعملون أدلاء لها في تحركها ، الخ . . .

كانت القيادة تقبل في صفوف الجيش ، عند بداية الثورة ، كل من يقبل على التطوع ، ولكن هذه الفئات الأولى لم تلبث أن اختفت تحت وطأة ما تكبدته من الخسائر الفادحة . وغدا التطوع يقوم على أساس الانتقاء ، مع إعطاء الأفضلية لمن اكتسبوا من قبل خبرة قتالية ـ عسكرية ـ . وكان التدريب العادي على أساليب القتال والنظام يجري ضمن الوحدات نفسها . أما الإعداد العسكري العالي للضباط والجنود ، فكان يتم في المسعكرات الخاصة بذلك في القطرين المجاورين (تونس والمغرب) . وكان يتم إرسال بعض الشبان للتدريب على الأعمال الخاصة (كأعمال الفدائيين ، أو قيادة الطائرات النفاثة ، أو الهندسة العسكرية ، أو قيادة القطع البحرية) إلى القاهرة أو بغداد أو ألمانيا الشرقية أو دمشق .

كان من أبرز مظاهر (تنظيم الجيش) وضع القوانين العسكرية للانضباط والقضاء العسكري التي أصبحت سارية المفعول في الولايات اعتباراً من شهر (أفريل ـ نيسان ـ ١٩٥٨) وحدد القانون الجديد العقوبات للجنح والجرائم (**أنظر قراءات ١ و ٢ في آخر الكتاب**) .

شهد عام **١٩٥٨** تحسناً أيضاً في وسائل المواصلات ، على الرغم من أن التنقلات ظلت على الغالب مقصورة على السير (المشي) ، أو امتطاء البغال ، أو ركوب السيارات المدنية في المناطق الأمينة . وتم تنظيم شبكات الاتصالات السلكية واللاسلكية ، وأصبح بإمكان القيادة في كل ولاية أن تتصل في كل يوم اتصالاً مباشراً ، عن طريق اللاسلكي ، مع القيادة العامة خارج الجزائر . وغدا الجيش في الداخل غير مفتقر إلى صحفه الداخلية

ووسائله الترفيهية . وكانت الصحف المحلية توزع يومياً لتنقل إلى الجنود وصف الضباط ، صورة عن المعارك في كافة الأقاليم ممتزجة بالأحداث الطريفة والمثيرة .

تطور جيش التحرير الوطني الجزائري تطوراً مستمراً من خلال الصراع المسلح ، ولهذا فقد بقي من الصعب تحديد حجمه بدقة ، وكذلك الأمر بالنسبة لتسلحه . وتشير أرقام الجيش ذاته إلى أنه بدأ في العام ١٩٥٤ ، بمئات من المتطوعين ، ثم أصبح يضم ثلاثة آلاف مع بداية سنة ١٩٥٥ . وارتفع عدده إلى (٤٠) ألفاً في سنة ١٩٥٦ ، ثم إلى (١٠٠) ألف في سنة ١٩٥٨ ووصل إلى (١٣٠) ألفاً في سنة ١٩٥٩ . أما الإفرنسيون فقد قدروا عدد أفراد جيش التحرير في سنة ١٩٥٦ بـ (١٥) ألفاً من الجنود النظاميين و (١٠) آلاف من المتطوعين الاضافيين - وفي سنة ١٩٥٧ كانت تقديراتهم تشير إلى أن جيش التحرير بات يضم (٣٥) ألفاً من النظاميين و (٣٠) ألفاً من المتطوعين الاضافيين . وعلى كل حال ، فإن السبب في بقاء الجيش محدود العدد ، يعود إلى قلة السلاح وليس إلى عدم توافر الرجال .

وكانت أسلحة الجيش الأولى في مستهل الثورة ، عبارة عن بنادق الصيد والمدي والأسلحة البدائية الأخرى التي كان الجزائريون من أبناء الجبال يملكونها . وقد سقطت بعض مخابىء الأسلحة التي كانت مطمورة (مدفونة) منذ أيام الحرب العالمية الثانية في أيدي جيش التحرير . وقد تمكن جيش التحرير في السنة الأولى من القتال ، من الحصول على بعض الأسلحة الحديثة التي جاءته من الخارج ، أو من الاغارات على المستودعات العسكرية للافرنسيين . وتحسنت وسائل تسلح الجيش قبيل نهاية العام ١٩٥٥ ، ووصلت إلى الجزائريين بعض المدافع من الأنواع التي استخدمت في الحرب

العالمية الثانية ، إما من بعض الدول العربية (مثل سورية) وإما من أسواق السلاح الأوروبية . وكان الجيش حتى (نوفمبر - تشرين الثاني - ١٩٥٧) يؤكد أن ثلاثة أرباع سلاحه ، جاءت من الإغارات التي كان يقوم بها على مستودعات الافرنسيين . وأصبحت بنادق الصيد التي استخدمت في الأيام الأولى للثورة مجرد ذكرى من الذكريات القديمة ، واستعيض عنها ببنادق ومدافع رشاشة خفيفة وثقيلة ومدافع البازوكا والهاون . وانتشرت أقوال في سنة ١٩٥٨ تؤكد أن جيش التحرير سيحصل على بعض الطائرات الخفيفة لتأمين الارتباط والاستطلاع . ولكن هذه الطائرات لم تظهر حتى مطلع العام (١٩٥٩) . واستمر السلاح في التدفق على جيش التحرير ، عن طريق البر والبحر ، من تونس ومراكش (المغرب) . وكانت البلاد العربية هي المصدر الرئيسي للأسلحة ، كما وصلت أسلحة أخرى من أوروبا ، أما الأموال فمن بلاد عديدة . ولم يعثر في الجزائر على أسلحة من صنع الكتلة السوفييتية منذ عام ١٩٥٤ ، وإن عثر فيها على أسلحة تشيكية من إنتاج الحرب العالمية الثانية ، اشتراها الجزائريون من الأسواق الأوروبية . وإذا قدر لشحنات من الأسلحة الشيوعية أن تصل إلى البلاد ، فإنها ستأتي حتماً من الصين الشيوعية .

اعتمدت الثورة الجزائرية في أساليبها الاستراتيجية وطرائقها التكتيكية على أصالتها الثورية وتجاربها القتالية الخاصة في مختلف الثورات التي سبقتها . غير أن قادة الثورة حاولوا الافادة من تجارب الآخرين - مثل تلك التي طبقها (ماوتسي - تونغ - الزعيم الصيني) وشرحها في كتبه . وقد زودت حرب المقاومة الافرنسية ضد الاحتلال النازي ، الثورة الجزائرية بالكثير من تعابيرها واصطلاحاتها . ويظهر أن التجربة السوفييتية لم تفد الجزائر ولم تطبق في الجزائر.

أما حروب العصابات اليوغوسلافية إبان الحرب العالمية الثانية ، فقد أوحت للجزائريين الثوار بالكثير من الدروس . ولعل السبب في ذلك هو التشابه في الطبيعة الجغرافية والتماثل في موقف (القوى المتصارعة) . كما أن قادة الثورة استوحوا من أعمال الجيش الجمهوري الايرلندي ، على ما يظهر ، الكثير من وجهات النظر العسكرية والآراء السياسية . غير أن معظم الأساليب التي تم اتباعها هي تلك التي سار عليها المجاهدون الجزائريون طوال السنوات التي سبقت الثورة ، والتي تعتمد على أصالتهم الثورية الذاتية وتجاربهم القتالية الخاصة ، وتطوير تلك الأساليب وفق مبادرات القادة . ولقد اعتمدت الخطة الاستراتيجية العامة للجيش على تصعيد الصراع المسلح بصورة منتظمة وبمعدل متزايد . وقد تحدث العسكريون ـ من وقت إلى آخر ـ عن معركة من نموذج معركة (ديان بيان فو) ينوون شنها ضد الافرنسيين ، ولكن ما لم تظهر الأسلحة الجديدة ، وتحدث تبدلاً أساسياً في قوة النار ، فستظل الخطة العامة مرتكزة على بث الشعور بعدم الطمأنينة للافرنسيين في كل موقع ، وفي أي مكان ، من أرض الجزائر . ولا ريب في أن الظروف المحلية وقوة الجيوش الافرنسية العاملة في الجزائر ، واحتمالات التموين ، قد احتلت كلها المكان الأول في الاعتبارات المتعلقة بهذا الموضوع .

يظهر ذلك ، أن جيش التحرير الوطني الجزائري قد اكتسب منذ بداية عهده الشكل الحقيقي والمضمون العملي للجيش النظامي المحارب ، ولم يكن أبداً ، لا في انضباطه ، ولا في أساليب عمله ولا في طريقة عمله ، مجموعة من العصابات (أو الفلاقة) أو (العصاة) كما أطلقت عليهم فرنسا حتى آخر عهدها بالجزائر . ولم

يكن هذا الانكار لحقيقة وجود جيش التحرير ، إلا من أجل ممارسة الإرهاب ، وإهدار دم الثوار ، وتطوير أعمال الإبادة باعتبارهم (خارجين على القوانين ـ الافرنسية) فوق أرض (الجزائر الافرنسية) كما كان يزعم دهاقنة الاستعمار ورجاله وأجهزته .

لعل من أدعى خصائص جيش التحرير الجزائري ، المدهشة ، هي أنه تكوَّن في بداية عهده بمنتهى التواضع من بضع مئات من الرجال ، فلم يلبث أن تطور بسرعة تكاد تكون خيالية . ولقد وطًّن هذا الجيش نفسه على مستلزمات النضال التحرري ، وأخصها حرب العصابات ، فكان بذلك جيشاً ثورياً من الأنصار ، وجيشاً نظامياً في آن واحد . وقد ظهر ذلك واضحاً من خلال تنظيمه وكيانه الحقوقي . فتقسيم البلاد ، إلى ولايات ومناطق ، وتعيين المسؤولين العسكريين والمدنيين في كل منطقة ومديرية وقسمة ، ونظام التسلسل العسكري ، ونظام التجنيد ، وصدور قانون للجيش (المجاهد) . وظهور المصالح المتخصصة في الجيش (كالخدمات الصحية والادارية والتعليمية الخ . . .) . كل ذلك ينفي عن جيش التحرير صفة (العصابات) . ويؤكد صفة جنوده كمحاربين ، نظاميين ، لهم هويتهم الوطنية والقومية ، ولهم قيادتهم المسؤولة ، ولهم شاراتهم المميزة ، وهم يحملون السلاح علناً ، ويتقيدون في حروبهم ومعاركهم بالقوانين والأعراف الدولية .

٤ ـ تطوير الصراع المسلح

وقعت في يوم (٢٠ ـ أوت ـ آب ـ ١٩٥٥) معركة حاسمة كانت نقطة تحول في حياة الثورة . فعلى الرغم من وصول إمدادات افرنسية كبيرة ، وعلى الرغم أيضاً من إعلان (حالة الطوارىء) فقد تابع جيش التحرير الوطني الجزائري تطوير أعماله الثورية . وخلق حالة من الفزع وعدم الطمأنينة في المزارع الفردية وفي مخازن الغلال ، وفي قطع طرق المواصلات . ونجحت مقاطعة المنتجات الافرنسية نجاحاً منقطع النظير (مثل مقاطعة الأطباق أو الصحون) .

وجاءت معركة العشرين من أوت ـ آب ـ ١٩٥٥ تتويجاً لهذه المجهودات كلها ، فبعد أشهر طويلة من الإعداد ، قام جيش التحرير بمجموعة من الهجمات المنسقة والتي تم تنفيذها في وقت واحد ، ضد أهداف محددة في منطقة قسنطينة . وكان القتال أشد ما يكون في (كولو) و (سكيكده ـ أو فيليب فيل كما كان يسميها الافرنسيون) و (غويلمة) و(قسنطينة) . وفي هذا الوقت ذاته ، قام المغاربة (المراكشيون) بالهجوم على قرية (وادي زم) في المغرب ، وقامت اضطرابات أخرى فى أماكن أخرى بمناسبة الذكرى الثانية لقيام السلطات الافرنسية بخلع السلطان (مولاي محمد الخامس) . وفي

الجزائر أوقع جيش التحرير بالمستوطنين الافرنسيين خسائر فادحة . وقام الجيش الافرنسي ، تدعمه القوات الجوية ، بمجموعة من الاجراءات الانتقامية الرهيبة . وقد كتبت (جبهة التحرير) عن هذه المعركة ـ ما يلي :

« **لقد تحطمت قبضة العدو ، وتنفس الشعب الصعداء ، وعادت الثقة إلى النفوس . وقد ربحنا معركة الولاية بصورة مؤكدة . وأقمنا الدليل على الصعيد القومي بأن في استطاعتنا ، عندما نريد ، أن نهز إرادة العدو وجهازه العسكري ، ونعرضه للخطر». «وفي واشنطن ، حيث عرضت القضية الجزائرية للمرة الأولى ، تمكن العالم من أن يكون لنفسه صورة عن إمكانياتنا وتصميمنا** »(*) .

كان لهجمات العشرين من (أوت ـ آب) نتائج كثيرة ، فقد شن الافرنسيون هجمات عنيفة على قوات جيش التحرير ، وارتفعت الأصوات وهي تطلب النجدات من فرنسا . وأخذت الصحافة الافرنسية في توجيه النقد العنيف ضد الأساليب التي يستخدمها الجيش في محاولاته للقضاء على الثورة . وشجع ذلك (الإمّعات) أو (المترددين) من الجزائريين الذين كانوا من أنصار التعاون مع فرنسا في الجمعية الجزائرية ، دراسة الاصلاحات التي اقترحها (سوستيل) لدمج الجزائر بفرنسا . وقد استنكر هؤلاء الجزائريون ، المذعنون عادة لإرادة الافرنسيين ، أعمال العنف العمياء ، وحملوا على مبدأ المسؤولية الجماعية ، وأجبروا على القول : « **بأن سياسة التكامل التي لم تطبق أبداً بإخلاص ، قد غدت عتيقة لا تصلح . وأن الغالبية العظمى للشعب باتت متعلقة بالفكرة القومية** » . وفجأة أمرت

(*) سيرد في القسم الثاني من هذا الكتاب صورة حية عن هذه المعركة وسواها .

السلطات الافرنسية بتعليق جلسات الدورة الطارئة للجمعية الجزائرية .

وكان لانتصار (٢٠ أوت - آب - ١٩٥٥) دوره في تشجيع جبهة التحرير على قبول أول اتصال مع الصحافة الافرنسية الليبيرالية . فقد أجرى (عمارنة) القائد الثوري في منطقة القبائل ، مقابلة صحفية مع صحيفة (فرانس أوبزرفاتور) اليسارية نشرت في الخامس عشر من سبتمبر - أيلول - ١٩٥٥ ، أكد فيها : « مواقف جبهة التحرير المعروفة الواضحة تجاه الطبيعة الوطنية وغير الشيوعية وغير الأجنبية للثورة . وأكد عدم وجود أية قوة لمصالي الحاج وحركته الوطنية في الجزائر ، وتمسك الجبهة تمسكاً صادقاً بقوانين الحرب » . وقال : « إن الجبهة تتلقى طلبات تطوع كثيرة ، وقد بدأت في قبول أولئك الذين سبق لهم أن مروا بفترات من التدريب العسكري . وقد نشأت قوة جيش التحرير عن طبيعة الأرض المؤاتية ، ومن الحقيقة الواقعة بأن الجيش يعمل في أرضه ، ويحظى بتأييد الشعب . ومع ذلك ، فقد أدرك جيش التحرير أنه لا يستطيع الانتصار في الحرب بهذه الوسائل وحدها » ، وقد أكد « عمارنة » أن جيش التحرير كان يضم في سنة ١٩٥٤ ما لا يزيد عن ثلاثة آلاف مقاتل ، فأصبح يضم الآن اثني عشر ألفاً ، وسيصبح بعد بضعة أشهر مائة ألف بكل سهولة . وحدد عمارنة الشروط التي لا محيص عنها لوقف إطلاق النار ، وهي : إنهاء جميع الحركات العسكرية ، ووضع حد لأعمال العنف ، وإطلاق سراح المعتقلين السياسيين ، وصدور بيان إفرنسي يعترف بحق الشعب الجزائري في الحرية والاستقلال ، ثم مضى يقول :

« لقد تحدثنا عن مبدإ الحق في الاستقلال . إننا واقعيون ،



وأصبح جيش التحرير جيشا حديثاً

فالاستقلال يمكن تحقيقه على مراحل وبصورة ديموقراطية ، ومن الضروري والحالة هذه ، أن ننظم بعد بضعة شهور من عودة الهدوء ، انتخابات حرة لجمعية تأسيسية تنبثق عنها حكومة جزائرية تتفاوض مع الحكومة الافرنسية حول الوضع السياسي المقبل للجزائر ، والعلاقات الجديدة التي ستربط الجزائر بفرنسا » .

وأكد (عمارنة) أن جبهة التحرير الوطني لا تضم أحداً من المصابين بعقدة (كره الأجانب) وأضاف قائلاً : « وعليك أن تفهم أننا لن نقبل أبداً الدمج أو التكامل ـ مع فرنسا ـ فنحن جزائريون . وهذه قضية كرامة بالنسبة لنا . والخطيئة الكبرى التي يقع فيها معظم الساسة عندكم ، هي محاولة تفسير ـ المأساة الجزائرية ـ على أنها نتيجة الجوع والشقاء والافتقار إلى المدارس ، بينما تقوم جذورها على التعطش إلى الشرف وإلى العدالة والحرية . ونحن نعرف أنه لا أمل لنا في المجلس الوطني الافرنسي الحالي ـ البرلمان ـ لأنه لا يستمع إلينا ، ولذا فنحن نعد أنفسنا لصراع طويل وشاق . وقد حققنا حتى الآن الكثير من أهدافنا العسكرية . فبعد مرحلة الثورة العامة المدهشة في الفاتح من نوفمبر ـ تشرين الثاني ـ ١٩٥٤ . وبعد مرحلة نشر عدم الطمأنينة في المنطقة (يوم ٢٠ أوت ـ آب ـ ١٩٥٥) سنبدأ حالما تسمح لنا ظروفنا المادية بذلك ، في تنفيذ المرحلة الثالثة ، وهي تكوين منطقة محررة في منطقة كاملة من البلاد ، نعلن فيها استقلالنا ، ونقيم حكومة مؤقتة تطلب مساعدة من الخارج ، وتعمل على تدويل القضية الجزائرية . أما متى سيتحقق هذا ؟ فنحن أنفسنا لا نعرف . . . ولكننا نأمل أيضاً في أن يتطور الشعب الافرنسي ـ سياسياً ـ أيضاً » .

* * *

ووردت في مقابلة صحافية تالية ، مع زعيم آخر من زعماء جبهة التحرير في الواحد والعشرين من سبتمبر ـ أيلول ـ ١٩٥٥ ، تفاصيل أخرى ، وإيضاحات إضافية . فقد أوضح هذا الزعيم إيضاحاً كاملاً أن الشروط التي ذكرها (عمارنة) هي « **لوقف إطلاق النار ، لا لوضع السلاح ، إذ أن جبهة التحرير لن تلقي سلاحها إلا إلى حكومة جزائرية** » وقد علق الزعيم الجزائري على التدريب السياسي والعسكري لجنود جيش التحرير فقال : « لا يسمح لأي فرد بالتطوع في جيش التحرير الوطني إلا بعد أن يكون قد تطوع في الجبهة نفسها ، وهو يتطوع في الجبهة على الصعيد السياسي . ويقوم التدريب السياسي على أسس فريدة من العقائدية القومية ، **فنحن قبل كل شيء جزائريون . وليس في وسع الاسلام أن يزدهر بالتأكيد في ظل الاستعمار . وهذا ما يشكل حافزاً للعمل** . ولكننا لا نسأل أي عضو من أعضائنا عن دينه ، وعما إذا كان مسلماً . . . وقد حارب الطلاب والفلاحون والعمال جنباً إلى جنب في جيش التحرير » .
وتحدث الزعيم الجزائري عن الشيوعية ، فقال : « لن يشترك الشيوعيون كحزب في الحرب التحررية . أما إذا أراد شيوعي أن يشترك في جبهة التحرير كأي مناضل سياسي ، فعليه أن يستقيل من حزبه أولاً ، وأن يتبنى برنامج الجبهة » وسيتعرض أنصار (مصالي الحاج) وحدهم للهجوم المباشر ، أما الوطنيون المعتدلون ، فلن يساء إليهم ما داموا يسهمون في النضال ضد الاستعمار ، على الرغم من استخدامهم وسائل غير صالحة . **وأشار الزعيم الجزائري إلى أبطال الجزائر في الماضي (كالشيخ الحداد والمقراني في ثورة عام ١٨٧١ وقال عنهم : إنهم مصدر إيحاء للثورة** » . ثم رسم خطاً يفصل بين ثورتي الصين والجزائر فقال :

« إن المشكلة التي تواجهنا ليست مشابهة للمشكلة التي واجهت الصين ، فقد حمل الصينيون لواء المقاومة الوطنية والثورة الاشتراكية معاً . أما نحن فنقف في نصف الطريق بالنسبة إليهم . فالمشكلة الثانية لا تعرض لنا في الوقت الحاضر . لقد حملنا السلاح لتحقيق غرض محدد بدقة وهو : التحرر الوطني » .

* * *

لا ريب أن هذا الاعتدال الذي يظهر في موقف جبهة التحرير من خلال الحديثين الصحفيين ، هو أمر مدهش للغاية . لا سيما وأن موقفها العسكري في سبتمبر ـ أيلول ـ عام ١٩٥٥ . كان لا يزال في منتهى الضعف . فأين تكمن القدرة على إجراء تسوية سياسية ؟ إنها في مكان ما بين الدمج والتكامل ، وهما أمران مرفوضان رفضاً كاملاً من قبل الثوار الجزائريين . ومقابل ذلك فقد اشترطت الجبهة لمثل هذه التسوية : « إعلان الحكومة الافرنسية اعترافها بمبدإ ـ حق تقرير المصير واستقلال الشعب الجزائري » وهو الأمر الذي كانت ترفضه السياسة الافرنسية . ولقد كان الوضع ـ إذا ما تم استثناء هذا الشرط (بالاعلان) الذي لم تحدد مدته ـ قابلاً للتفاوض بين الحكومة الافرنسية وبين حكومة جزائرية تنبثق عن انتخابات حرة تجري في ظل الحكم الافرنسي . ولا شك في أن هذا الاعتدال مذهل أيضاً ، عند تذكر مضمونه الدولي . فقد كانت تونس والمغرب على وشك الاستقلال الذي تحقق فعلاً بعد بضعة أشهر . ويظهر أن (عمارنة) قد شعر بأن جبهة التحرير لم تكن آنذاك على ثقة تامة من قدرتها على رفض السيادة إذا ما قررت فرنسا منحها لها . لكن هذه هي المرة الأخيرة التي قبلت فيها جبهة التحرير إجراء انتخابات تحت الإشراف الافرنسي ، وكانت المرة الأخيرة أيضاً التي أظهرت فيها الجبهة

تفاؤلاً بصدد التفاهم مع فرنسا . وقد بلغ هذا الأمل في الاتفاق مع فرنسا ذروته عند زعماء جبهة التحرير من ذوي الادراك السياسي ، إبان الحملة الانتخابية الافرنسية في جانفي (كانون الثاني) ١٩٥٦ ، عندما تكاتف الاشتراكيون الافرنسيون والراديكاليون في الدعوة إلى برنامج (لإقامة السلام في الجزائر) . ولكن ما إن وصل زعيم الاشتراكيين (غي موليه) إلى السلطة ، وأخذ في ممارسة دوره على المسرح السياسي ، حتى انهارت كل احتمالات التسويات السلمية .

٥ ـ صراع مسلح في وهران
وصراع سياسي في الأمم المتحدة

اقترن الصراع المسلح للثورة الجزائرية بالصراع السياسي ، وبطريقة مثيرة ومدهشة ، وقد ظهر ذلك واضحاً تماماً في أعقاب انتصار (أوت ـ اغسطس ـ ١٩٥٥) حيث وظفت قيادة جبهة التحرير هذا النصر لدعم صراعها السياسي في هيئة الأمم المتحدة . ونجحت في الثلاثين من (سبتمبر ـ أيلول) باحراز أول انتصار لها على (مستوى تدويل قضيتها) ، إذ رفضت الجمعية العامة للأمم المتحدة التوصية السلبية التي قدمتها لجنتها التوجيهية ، وقررت إدراج موضوع الجزائر في جدول أعمالها ـ ولو كان ذلك بأغلبية ضئيلة ـ . ثم قامت الجبهة في شهر (أكتوبر ـ تشرين الأول) وبعد أشهر من الإعداد الدقيق ، بفتح جبهة جديدة لها في (وهران) . وقد تولى القيادة في هذه الولاية التي تعتبر أكبر الولايات الشمالية الخمس ، القائد (محمد العربي بن مهيدي) في بداية الأمر ، ثم خلفه القائد (عبد الحفيظ بوصوف) . وقد قام هذان القائدان بتنظيم الكثير من جنودهما ، وتزويدهما بالعتاد في (ناضور) في المغرب (الذي كانت تحتله اسبانيا ، حيث تكون فيه أيضاً جيش التحرير المغربي ـ المراكشي) . وانتقلت القيادة بعد ذلك الى (أوغده ـ أو وجده) في ولاية وهران ، حيث ظلت جبهة التحرير

تفيد من طبيعة المنطقة الجبلية ، ومن حصانة الحدود المغربية (المراكشية) . وقد بدأ الهجوم في أواخر سبتمبر ـ أيلول ـ ومطلع شهر تشرين الأول ـ اكتوبر ـ في منطقة (تلمسان) أولاً . وبامتداد القتال الى جبهة وهران ، بقيت منطقة الجزائر الوسطى والجنوبية فقط ، خالية من النشاط الثوري الواسع النطاق .

أدى اتساع النشاط القتالي وتعاظمه (في شهر أكتوبر ـ تشرين الثاني) إلى إضفاء الكثير من المرارة على مناقشات الأمم المتحدة للقضية الجزائرية . فقد رفض الوفد الافرنسي الاشتراك في المناقشات ، وغادر قاعة الجمعية العامة . وتمسكت الحكومة الافرنسية بزعمها الذي طرحته من قبل وهو (أن المشكلة الجزائرية قضية داخلية صرفة) . وبعد أن رفضت الجمعية العامة مشروع القرار الذي تقدمت به دول أمريكا الجنوبية ، والذي كان من المقدر له لو قبل أن يحذف القضية من جدول الأعمال كلية ، أمكن الوصول إلى قرار وسط ، قبل بالإجماع ، وينص على أن الجمعية العامة : «تقرر عدم الاستمرار في مناقشة هذا البند في جدول أعمالها ، ولهذا فهي تتوقف عن مناقشته» وقد شعر الجزائريون الذين كانوا قد أوفدوا أحد أعضاء بعثتهم الخارجية الى نيويورك ، للإشتراك في المناقشات وعرض وجهة نظرهم بالكثير من خيبة الأمل لهذا التطور ، ولكنهم أعربوا عن أملهم في أن تؤدي هذه المهلة المعطاة الى فرنسا إلى تسوية سلمية ، ولا سيما على ضوء نتائج الانتخابات الافرنسية القادمة .

شهدت نهاية العام الأول من الثورة الجزائرية ، تفوق القضايا العسكرية على السياسية ، كما شهدت تزايد قوة وأهمية زعماء الداخل على أعضاء البعثة الخارجية . إذ لم تكن هذه البعثة قد

تمكنت بعد من توسيع برنامج عملها السياسي ، كما لم تتمكن من تذليل العقبات الكثيرة التي واجهتها للحصول على الأسلحة ، وتزويد الداخل بها .

جرت الانتخابات للجمعية الوطنية الافرنسية ـ البرلمان ـ في جانفي (كانون الثاني) **١٩٥٦** وجاءت نتائج هذه الانتخابات لتشكل نقطة أخرى في تحول العلاقات الافرنسية ـ الجزائرية . فقد فاز في الانتخابات ـ على نحو ما سبق ذكره ـ الاشتراكيون والراديكاليون الذين أعلنوا في برنامجهم الانتخابي المشترك : «أنهم يؤيدون تسوية سلمية للجزائر» . وقد عين رئيس الوزارة ـ غي موليه ـ (الجنرال كاترو) ليكون مقيماً عاماً في الجزائر . وقرر ـ غي موليه ـ أن يذهب شخصياً الى الجزائر ليعالج هناك المشكلة بنفسه ـ وعلى الطبيعة ـ . وقد ظهر عجز غي موليه وقصوره في إدراك أبعاد القضية ، الأمر الذي دفع قيادة جبهة التحرير لتعدل موقفها أيضاً ، وفي مقابلة صحافية جرت مع جبهة التحرير (يوم ٣ فيفري ـ شباط ـ **١٩٥٦**) مع مراسل صحيفة (لوموند) الافرنسية ، برز هذا التحول من قضية التسوية مع فرنسا . حيث أدخلت تعديلات عكست نوعاً من التصلب في آراء الجبهة وموقفها . فعندما طرح على الناطق باسم الجبهة سؤال : «عما إذا كان موقفها السابق لا يزال على حاله ؟» حدد **الشروط التي تضعها الجبهة لوقف إطلاق النار على النحو التالي** :

أ ـ أن تصدر الحكومة الافرنسية إعلاناً رسمياً باعترافها باستقلال الجزائر .

ب ـ اطلاق سراح المسجونين والمعتقلين والمحكوم عليهم بجرائم سياسية منذ العام ١٩٣٠ ، وإعادة المبعدين السياسيين ، ووقف العمليات الحربية من جانب الجيش الافرنسي ، وإيقاف

الاجراءات المتخذة ضد الوطنيين الجزائريين ، وإصدار عفو عام عن جميع الأحكام الغيابية التي صدرت تحت اسم ـ الجرائم والجنح السياسية .

ج ـ تأليف حكومة جزائرية للتفاوض .

وأضاف : «إن قضية الانتخابات هي مسألة جزائرية صرفة . وإن من شأن الحكومة الجزائرية وحدها أن تقرر موعد الانتخابات ووسائلها» . ثم انتهى الى القول : «وسيكون من واجب الحكومة الجزائرية التي يجب أن تتشكل قبل وقف إطلاق النار ، تقرير نوع الادارة ، وجهاز الشرطة على الأرض الجزائرية» .

إن شروط جبهة التحرير هذه المرة لوقف إطلاق النار ، تحتل جانباً كبيراً من الأهمية . ذلك لأنها تؤكد على (وجوب اعتراف فرنسا باستقلال الجزائر) بدلاً من (مبدأ الاستقلال) أو (حق تقرير المصير) أو (الحق في الاستقلال) . وقد بدت جبهة التحرير في هذه المرة ، بعد أن دعمت موقفها بانتصاراتها العسكرية ، وهي أكثر تصميماً على أن تنتزع من فرنسا ـ بالقوة ـ حق السيادة المباشرة على بلادها .

قام (غي موليه) بزيارته للجزائر في (٦ فيفري ـ شباط ـ ١٩٥٦) . فعزل (كاترو) بضغط من المستوطنين ، وعين مكانه الاشتراكي (روبير لاكوست) وأعلن في (١٦ فيفري ـ شباط) عن «التحديد بلا مواربة للشكل التنظيمي الذي سيقوم عليه كيان الجزائر المقبل ، على أساس علاقات لا تنفصم مع فرنسا ، مع الاعتراف بالشخصية الجزائرية» . وكان ـ غي موليه ـ قد أعلن قبل أيام : «بأن الحكومة ستناضل في سبيل البقاء في الجزائر ، وستبقى فيها ، فلا مستقبل للجزائر إلا بالبقاء مع فرنسا» . وكان رد فعل جبهة التحرير ـ

واضحاً في تصريحها التالي : «إن إعلان ـ غي موليه ـ لا يخرج عن نطاق السياسة الاستعمارية الافرنسية التقليدية» وقد أكد الناطق باسم جبهة التحرير ، بأن «جبهة التحرير تمثل الآن جميع الوطنيين الصادقين والمخلصين ـ وأن الحكومة الجزائرية المقبلة ستتألف من جبهة التحرير ليس إلا» .

٦ ـ الفدائيون في المدن
وحل مشكلة التسلح

من واجب الثورات أن تسير قدماً ، وإلى الأمام دائماً ، وإلا فإنها تبدو في طريق التخاذل والضعف ، فعلى الصعيد العسكري ، كان من الضروري أن يتسع نطاق الصراع في العام ١٩٥٦ على غرار الهجمات التي وقعت في العشرين من أوت ـ آب ـ ١٩٥٥ . والتي تركت بعض الآثار النفسية الرائعة . وكان النشاط العسكري قد استمر في جميع الولايات طوال الأشهر التي سبقت مؤتمر (وادي الصومام) وتلته ، ولكنه لم يترك أثراً ملحوظاً في فرنسا نفسها . وفكرت الجبهة بأنها لو تمكنت من القيام بنوع من العمل في قلب المدينة (العاصمة) فان تبدلاً ملحوظاً قد يطرأ على الرأي العام الافرنسي والسلطات العسكرية بالنسبة إلى تقديراتها لقوة جبهة التحرير . وترى الجبهة أن الثورة الجزائرية ، حققت أكبر انتصار لها ، كما منيت بأكبر هزيمة في معركة مدينة الجزائر ، ولعل من أروع ما قامت به الجبهة من أعمال تنظيمية ، هو أنها جعلت من العاصمة منطقة مستقلة ، تضم بالاضافة إلى الضباط العاديين المختصين بالنشاط السياسي والعسكري والاعلامي وتأمين الارتباط ، جهازاً خاصاً لالقاء القنابل ، ولجاناً للمثقفين والتجار والعمال الفنيين . وكانت هذه اللجان تتولى

بالاضافة إلى أعمالها الخاصة جمع الضرائب للجبهة التي بلغت أحياناً (٣٠٠) ألف دولار في الشهر الواحد . ولم يكن تنظيم الجبهة في نطاقه الخارجي في العاصمة يضم أكثر من (٤٥٠٠) شخص في مدينة يسكنها نحو من أربعمائة ألف من الجزائريين وثلاثمائة ألف من الأوروبيين . ولم يكن الجهاز العسكري الفعال وجماعات قاذفي القنابل ، تضم أكثر من مائتي شخص ، بينما كان مجموع الجهاز العامل في مختلف الحقول والميادين لا يزيد على الألف والخمسمائة . ولعل من أبرز مظاهر الثورة ، أن هذا العدد الضئيل تمكن من أن يستمر في إلقاء الرعب في العاصمة أكثر من سنة كاملة . وقد استخدمت جبهة التحرير في الهجمات التي شنتها في مدينة الجزائر كل طريق ممكن ، وكان الاتحاد العمالي ، التابع للجبهة ، يتولى تأمين التأييد السياسي والدعم المالي . وقد بدأت المعركة في (٢٠ سبتمبر - أيلول - ١٩٥٦) بانفجار قنبلة في مشرب ، وأخرى في مطعم في شارع (ميشيليه) مما أدى الى مقتل ثلاثة أشخاص وإصابة ستة وأربعين بجراح . وفي هذه الأثناء سيطرت الجبهة على (حي القصبة) ؛ وأقامت مصنعاً صغيراً للقنابل اليدوية والقنابل الحارقة .

استمرت عمليات إلقاء القنابل في العاصمة عدة أشهر ، وخلقت جواً من الرعب وعدم الاطمئنان فيها . وفزعت السلطات الافرنسية من الحالة المرعبة ، فأوفدت (الجنرال جاك ماسو) على رأس قواته من فرقة المظليين العاشرة إلى المدينة في جانفي - كانون الثاني - ١٩٥٧ . وأسفرت المعركة أخيراً عن سيطرة القوات الافرنسية . فقد عثرت على مخابيء القنابل في العاصمة ، واعتقلت المجاهدين ، وبينهم عدد من القادة الاكفاء ، (من أمثال محمد العربي بن مهيدي -

عضو لجنة التنسيق والتنفيذ) الذي حوكم وأعدم . وعلى الرغم من عدم وجود أي خلاف منذ البداية على موضوع ممارسة أعمال الإرهاب في المدن ، واستخدام هذا الإرهاب سلاحاً مضاداً للإرهاب الاستعماري بهدف دعم الثورة . إلا أن مفعول هذا السلاح ينتهي عادة عندما تبدأ الثورة الحقيقية . ولقد اعتبر بعض زعماء الجبهة بأن (عملية الجزائر) هي خطيئة عسكرية . فقد تمكن الافرنسيون في الأشهر الأخيرة من المعركة ، من عزل (حي القصبة) تماماً عن بقية المدينة بالأسلاك الشائكة . وفرض دوريات نهارية وليلية عليه . وكان الثمن الذي تكبدته الجبهة في الأرواح البشرية باهظاً للغاية ، فقد وجدت أنه ليس بامكانها تأمين الدفاع عن السكان المدنيين أمام إجراءات الافرنسيين الانتقامية العنيفة ، ولكن مما لا شك فيه أيضاً أن معركة مدينة الجزائر ، قد لفتت أنظار العالم الى الثورة الجزائرية بصورة بارزة الى أبعد الحدود . وأدت عمليات إلقاء القنابل في كل مكان الى وقوع أعداد كبيرة من المدنيين بين الضحايا ، مما زاد في أرقام الاصابات ، وبرهن على قوة جبهة التحرير . كما أن أعمال التعذيب التي لجأ اليها المظليون الافرنسيون للحصول على المعلومات ، عن نشاط الجبهة في المدينة ، أثارت أزمة أخلاقية في فرنسا ذاتها . ولا ريب في أن نقمة الجيش الافرنسي التي تبدت في شهر (ماي ـ أيار ـ ١٩٥٨) لم تنجم فقط عن اضطرار، لخوض معارك مضنية مع المجاهدين الجزائريين وفقاً للأوضاع التي يقررونها هم ، وعن قيامه بأعمال حقيرة ، وممارسته لواجبات الشرطة العادية فحسب ، بل نجمت أيضاً عن الشعور الضمني بالذنب ، وعذاب الضمير من الأساليب الوحشية التي لجأ اليها في محاولاته للقضاء على الثورة .

* * *



التدريب على حمل السلاح في كل مكان

أدى تطوير الصراع وتصعيده مع توسيع دوائره الى ظهور أزمة حادة تتعلق بالتسلح وذلك مع نهاية السنة الثانية للثورة (١٩٥٦) . وزاد الأمر سوءاً بسبب الفوضى النسبية التي سيطرت على شريط الحدود الجزائري ـ التونسي . فقد أسفر اعتقال زعماء البعثة الخارجية (ابن بيللا ورفاقه) عن ضياع التنظيم السابق في عملية تأمين الأسلحة والمواد التموينية من الخارج . وأصدرت لجنة التنسيق والتنفيذ أمرها الى (محمد الأمين دباغين) بالتوجه من القاهرة الى تونس بمهمة علاج الموقف ، ووضع حد لهذا الاضطراب . وفي الوقت ذاته ، انتقل (عمارنة) من الداخل الى (تونس) على نحو ما فعل (ابن بيللا) من قبل ، من أجل تنظيم عملية نقل الأسلحة الى داخل البلاد . ولم يكن قد مضى على استقلال الحكومة التونسية التي يرأسها (الحبيب بورقيبة) أكثر من ستة أشهر ، وكانت لا تزال تجاهد لحل بعض المشاكل الداخلية ، عندما رأت هذا السيل الكبير من اللاجئين والمحاربين وهو يتدفق عبر الحدود مطالباً دعمه ومساعدته . ولم يكن باستطاعة تونس رغم كل أوضاعها الحرجة التقصير في واجبها تجاه أخوتها . وكان من مصلحتها ومن مصلحة جبهة التحرير أيضاً الوصول الى نوع من الاتفاق لتنسيق التعاون . وقد تم هذا الاتفاق فعلاً في شهر (فيفري ـ شباط ـ ١٩٧٥) بين الرئيس الحبيب بورقيبة وممثل جبهة التحرير(*) أدى هذا الاتفاق مع بعض

(*) ظهر بعض التباين في نصوص هذا الاتفاق وقد ذكر (برومبر غرسيرج) في كتابه (الثوار الجزائريون ـ ١٩٥٨) هذا الاتفاق كالتالي : «١ ـ يكون الحرس الوطني التونسي وحده مسؤولاً عن نقل الأسلحة والمعدات على الأرض التونسية الى المناطق المعينة على الحدود . ٢ ـ تتولى لجنة فرعية من جبهة التحرير الوطني في تونس إعداد الترتيبات الخاصة لشحن الأسلحة وتسليمها . ٣ ـ تعطى إجازات ـ رخص ـ خاصة لهؤلاء الذين يتولون إيصال المؤن والأسلحة الى قوات جيش التحرير . ٤ ـ يسمح للمحاربين الجزائريين =

الاجراءات العسكرية الى عودة فرض السيطرة المباشرة للجبهة ، عن طريق لجنة التنسيق والتنفيذ على مناطق الحدود المهمة للغاية . وعينت الجبهة في مطلع العام (١٩٥٧) المجاهد (محمود شريف) ليكون قائداً لجبهة الأوراس ، وهي من الولايات التي كانت الفوضى لا تزال تعمها . وأخذ (عمارنة) يعمل جاداً في سبيل الحصول على السلاح من الخارج . وكان (ابن بللا) قد بعث برسالة إلى لجنة (التنسيق والتنفيذ) ضمنها قائمة بشحنات الأسلحة التي تم التعاقد عليها حتى وقت اعتقاله . وكان هناك نحو من ثمانية آلاف قطعة سلاح ، قد نقلت ، أو أنها في طريق النقل ، إلى المجاهدين ، ولا تزال إما في (ليبيا) أو في (تونس) أو في (وهران) . والتقط (عمارنة) خيوط شبكة الإمداد التي كان (ابن بيللا) قد نظمها ، وتابع السير فيها ، فانتقل من تونس إلى بعض بلاد الشرق الأوسط الأخرى وأوروبا . ويبدو أنه تعامل في هذه الفترة بموازنة تبلغ عدة مليارات من الفرنكات ، كما أنه تلقّى في فترة من الفترات ، أثناء أزمة السويس وبعدها ، العون من بعض الجماعات الاسلامية في المغربي العربي الاسلامي .

* * *

تجدر الاشارة إلى أن نشاط الفدائيين داخل المدن ـ وخارجها ـ لم يتوقف ، بالرغم من الظروف العسيرة التي مرت بها قضية (الامداد بالسلاح) . فقد آلى المجاهدون الفدائيون على أنفسهم الاستمرار في العمل ـ في الليل والنهار ـ لارهاق القوات الاستعمارية ،

= بالتنقل بحرية في المناطق العسكرية على الحدود فقط .» أما الرواية التونسية لنص الاتفاقية فقد جاء كالتالي : «١ ـ تحترم جبهة التحرير الوطني الجزائري سيادة تونس ، ولا تقوم بأية معركة أو اشتباكات على الأراضي التونسية . ٢ ـ تقوم جبهة التحرير بإبلاغ الحرس الوطني التونسي الذي يعد القوافل اللازمة لنقل جميع الأسلحة ، بقصد تجنب الاشتباك مع القوات الافرنسية المرابطة في تونس» .

ووضعها باستمرار في حالة من الاستنفار المرهق للأعصاب ، في انتظار ضربة لا يمكن توقع مصدرها أو وقتها . وفي هذا المناخ ، نشطت زمر التدمير التابعة لجيش التحرير ، فأحرقت مستودعات النفط التابعة للجيش الافرنسي قرب مدينة (تلمسان) والتي كانت تضم (١٥٠) ألف صفيحة بنزين . كما هاجمت قوات جيش التحرير مصنعاً للمتفجرات قرب (لافونتين) غربي منطقة القبائل ، واشتبكت مع حراس المصنع في معركة دموية رهيبة .

وما كاد يحل شهر (ماي ـ أيار ـ ١٩٥٦) حاملاً معه ذكرى مذبحة سنة ١٩٤٥ ، والتي ذبح الافرنسيون فيها (٤٥) ألف مسلم جزائري ، حتى أظهر الثوار تصميمهم للانتقام ثأراً لتلك الضحايا البريئة . فوضعوا خطة لحصار (تلمسان) و(الغزوات) . وأخذت القوات تتحرك بمجموعات صغيرة لتلتقي عند حدود مدينتي (تلمسان ـ و ـ الغزوات) بقوة تزيد على خمسة آلاف مقاتل . وقد حاول الافرنسيون فك الحصار ، فتكبدوا خسائر فادحة . ثم تفرقت قوة المجاهدين بعد أن نفذت مهمتها بنجاح . وتابعت عملها في نصب الكمائن ، والاغارات ، التي غنم فيها الثوار المجاهدون كميات كبرى من الأسلحة والذخائر التي عوضت لهم بعض ما كانوا يحتاجونه في تلك الفترة الحرجة . وهكذا ، وبينما كانت هذه العمليات تجري، في منطقة وهران ، كانت مناطق الجزائر وشمالي قسنطينة والأوراس مسرحاً لاشتباكات عنيفة وحوادث تدميرية . فكانت قوات الثورة تجد في عملياتها بعض ما يساعدها على تأمين متطلباتها ، وتعمل في الوقت ذاته على حرمان قوات العدو من موارده الحياتية (باحراق الحقول والمزارع التي يمتلكها الأجانب) ومن موارده القتالية ، فتتزايد قوة على حساب ضعفه .

٧ ـ هجوم الخريف وجبهة الصحراء (١٩٥٧)

كان من المتوقع أن تبدأ السنة الثالثة للثورة (١٩٥٧) بتحولات سياسية وعسكرية . وفي الواقع ، فقد أخذت الصحافة الأجنبية ـ والافرنسية منها بصورة خاصة ـ بالاكثار من الحديث عن حملة سيشنها جيش التحرير خلال فصل الربيع . واتخذت الصحافة من عمليات (تلمسان) و(الغزوات) برهاناً للتأكيد على ما كانت تتوقعه .

ولم يكن جيش التحرير يعتزم في الحقيقة شن حملة شاملة على المواقع الافرنسية في وقت محدد ومعين ، وإنما كان يخطط للقيام بهجمات كثيفة ومركزة على بعض المواقع والأهداف التي تم اختيارها بدقة ، لا سيما وأن فصل الربيع لم يكن يتيح للمجاهدين فرص العمل التي يقدمها فصل الشتاء باعتباره الفصل المناسب لحرب العصابات . وكان الأمر الواضح ـ لقادة الثورة ـ أن تركيز أجهزة الاعلام المعادية على موضوع (حملة الربيع المزعومة) هو وسيلة لاغراء جيش التحرير على شن هجوم عام في فصل تكون فيه جميع أسلحة الجيش الافرنسي على استعداد للعمل ، الأمر الذي يساعد السلطة الاستعمارية على ضرب الكتلة الرئيسية لقوات جيش التحرير وتدميرها . ولهذا لم يؤخذ جيش التحرير بأساليب الدعاية الافرنسية

المنظمة ، وظل يعمل وفقاً لمخططاته وفي حدود إمكاناته لتوجيه الضربات في الزمان والمكان اللذين يختارهما .

على كل حال ، فقد وقعت في فصل الربيع مجموعة من العمليات الهامة التي يمكن وصفها (بحملة ربيعية) إلا أنها لم تتخذ طابع الهجوم العام ، وإن اتسمت ببعض الهجمات الجريئة ، على مناطق لم تكن القيادة الافرنسية تتوقع إمكانية مهاجمتها من قبل قوات جيش التحرير . ومن تلك الهجمات ـ على سبيل المثال ـ ذلك الهجوم الصاعق الذي شنته القوات الجزائرية يوم (١٠ ماي ـ أيار) على مدينة قسنطينة ، واحتلت بعده ضواحي المدينة والقسم الشرقي منها ، وحاصرت الحي الأوروبي مدة ست ساعات ، وجرت بين المجاهدين الجزائريين والافرنسيين معارك في الشوارع ، أدت الى قتل مائة افرنسي ، واستشهد من الجزائريين ثلاثون مجاهداً . ثم انسحبت قوات جيش التحرير من المواقع التي كانت تحتلها في المدينة ، مدمرة وراءها المراكز الافرنسية ، وحاملة معها ما أمكن الاستيلاء عليه من كميات الأسلحة الكبيرة والذخائر .

يمكن الاشارة بعد ذلك إلى تلك المحاولة التي قامت بها قوات الافرنسيين لتطويق فرقتين من فرق جيش التحرير على بعد (١٤ كيلومتراً من العاصمة (الجزائر) في يوم (١١ ماي ـ أيار) غير أن المجاهدين تمكنوا من خرق الحصار ، وقاموا بهجوم مضاد على قوات الافرنسيين التي أخذت في الفرار تحت ثقل ضربات المجاهدين المحكمة والقوية . ولم يلبث المجاهدون أن انطلقوا في مطاردة فلول القوات الممزقة ، وأوغلوا في مطاردتهم حتى ضواحي العاصمة .

لم تكن هذه العمليات إلا صورة عن الأعمال البطولية الرائعة التي ساعدت جيش التحرير على فرض سيطرته التامة في كل المناطق العسكرية الست . ولم يبق أمام جيش التحرير إلا أن يفتح المدن التي تعتصم فيها قوات العدو وراء تحصيناتها المنيعة . ثم يزحف على الصحراء الكبرى لاكمال عملية تحرير البلاد ، وهذا ما فعله فيما يطلق عليه اسم (حملة الخريف) .

كان من نتيجة تطور عمليات المجاهدين حدوث هياج في الأوساط الاستعمارية ، فأسرعت القيادة الافرنسية في طلب النجدات من حلفائها . وأخذت قوات الدعم ووسائط القتال في التدفق من فرنسا وأمريكا وحلف شمال الأطلسي إلى الجزائر . وكان من بين هذه النجدات (٣٧٩) مدرعة خفيفة مسلحة بمدفع من عيار (٢٧ مم) ـ من عربات الاستطلاع المدرعة ـ التي برهنت على فاعليتها في الحرب ضد الثوار بسبب مرونتها وخفة حركتها وتسليحها الجيد وقوة تصفيحها . جابهت قيادة جيش التحرير هذا الموقف بالمزيد من التصميم والعناد ، فأعلنت التعبئة العامة (في ١٩ افريل ـ نيسان ـ ١٩٥٧) ووجهت الدعوة الى الشبان من سن ١٨ الى سن ٢٥ عاماً . من أجل حمل السلاح . وحملت الدعوة طابع الفورية والإجبارية ، وتعرض من يخالفها للعقاب القانوني . وفي الواقع ، فإن قيادة جبهة التحرير لم تجد حاجة لفرض العقوبات ، فقد وجد هذا النداء صداه العميق في نفوس المواطنين الذين أقبلوا على التطوع بحماسة ، والإلتحاق بمراكز التدريب .

وصلت كتلة الإمدادات الأمريكية للجيش الافرنسي في الجزائر خلال شهر (جوان ـ حزيران ـ ١٩٥٧) وجابه جيش التحرير ذلك بتصعيد أعماله القتالية ، وأمكن له إحراز النصر تلو النصر ، وما فتئت



في الثلج، في الليل، وفي كل وقت حركة دائمة وقتال مستمر

الرقع المحررة تتزايد اتساعاً ، حتى أن اللجنة البرلمانية التي أوفدتها فرنسا للتحقيق في الجزائر ، لم يسعها إلا الاقرار بالواقع ، وجاء في تقرير لها بتاريخ (٢٢ جوليه ـ تموز) ما يلي .

« بينما يظهر الثوار الوطنيون وهم أكثر تنظيماً وأقوى مما كانوا عليه في العام الماضي ، فإن الموقف العسكري للقوات الافرنسية هو أسوأ مما كان عليه . . . وتبلغ القوة الحالية للثوار ٢٥ ألف رجل ولديهم من الأسلحة ما يكفي لتجهيز (١٥) ألفاً منهم فقط . وقد تحسنت أسلحة الثوار كثيراً بالمقارنة مع ما كانت عليه في السنة الماضية ، ويتلقى الثوار ما بين (٧٠٠) و(٨٠٠) قطعة سلاح حديثة في الشهر ، منها حوالي ٥٠٠ من تونس والباقي من المغرب ـ مراكش ـ ولا تزال تونس تساعد الثوار علناً» .

تطلبت هذه التطورات من قيادة جيش التحرير العمل باستمرار من أجل اعادة تنظيم قواتها ، بهدف تجاوز الصعوبات التي كانت تجابهها قوات جيش التحرير ، ومن أجل تصعيد الصراع للتأكيد على قدرة المجاهدين في مجابهة القوات الافرنسية وما تتلقاه من دعم ومساعدة . وقد انتقلت لجنة التنسيق والتنفيذ في أواسط العام الى تونس بنتيجة معركة العاصمة (الجزائر) . وأدى ذلك إلى تعاظم الحاجة للتنسيق وتنظيم الاتـصالات . وتضمنت الإجراءات التنظيمية القيام ببعض التبدلات في حجم وحدات الجيش وطريقة تكوينها ، وإجراء المزيد من التدريب على أعمال المواصلات . مع التوسع في استخدام مناطق الحدود التونسية والمغربية (المراكشية) .

لم تكن هذه الإجراءات بعيدة تماماً عن مراقبة الاختصاصيين من الضباط الافرنسيين الذين أخذوا في الاعلان (منذ يوم ٢ أوت ـ

آب) : **«بأن الجزائريين يحشدون قواتهم للقيام بهجوم كبير في الخريف»** . ولم يكن هذا (الاعلان الافرنسي) بريئاً على كل حال ، فقد أراد الافرنسيون استثمار الموقف لاقناع الرأي العام العالمي بأن الجزائريين لا يحاربون إلا حين يقترب موعد انعقاد الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة ، ويتجاهلون أن الصراع المسلح في الجزائر هو حرب حقيقية غير مرتبطة بمكان معين أو وقت محدد . وعلى كل حال ، فقد أخذ المجاهدون الجزائريون بتوسيع نطاق عملياتهم اعتباراً من شهر (أوت ـ آب ـ ١٩٥٧) بهدف تحرير الجنوب الجزائري والصحراء الكبرى ، وقد نفذ المجاهدون في هذا المضمار خطتين متصلتين ومتكاملتين :

الخطة الأولى : القيام بهجوم عام على القوات الافرنسية في الشمال بهدف محاصرة هذه القوات في قواعدها ومناطق تمركزها ، وإرغامها بالتالي على استدعاء قواتها المنتشرة في الجنوب والصحراء . وفي هذا الوقت تشرع قوات جزائرية أخرى في التجمع على حدود الصحراء وفي الجنوب لاجتياح هذه المناطق .

الخطة الثانية : إحراق حقول النفط الاستعمارية في الصحراء ، وتدمير مراكز التنقيب عن البترول ، والقيام بعمليات إزعاج ضد الافرنسيين يكون من نتيجتها ـ بصورة حتمية ـ بسط السيطرة العربية على هذه المناطق . وقد بديء فعلاً بتنفيذ الخطة الأولى ، وجاء تسلسل الأحداث على النحو التالي :

في ١٥ أوت ـ آب ـ قام (٨٠٠) مجاهد من رجال جيش التحرير ـ متنكرين بالزي الافرنسي ـ بالهجوم على مقر القيادة العامة الافرنسية الواقع على بعد ثلاثين كيلومتراً من مدينة الجزائر . وقد

أحدثوا في القيادة حرائق كبيرة ، وأنزلوا فيها خسائر فادحة في الأرواح والمعدات .

في ١٦ أوت ـ آب ـ صرح الأستاذ (أحمد توفيق المدني) رئيس وفد جبهة التحرير في القاهرة : «بأن جيش التحرير يقوم الآن بهجوم عام على المراكز الافرنسية » وقال : « إن المستعمرين دهشوا لما رأوا الجيش الجزائري يستخدم الأسلحة الثقيلة » .

في ٢٢ أوت ـ آب ـ صرح السفاح (لاكوست) بأن « معركة الحدود ستكون المعركة الفاصلة في الجزائر» . وأشار السفاح في هذا التصريح إلى المعارك الدامية التي اشتدت في الآونة الأخيرة على الحدود التونسية والمراكشية (المغربية) وعلى امتداد الحدود الصحراوية بين ليبيا والجزائر .

في ٢٣ أوت ـ آب ـ عقد القادة الافرنسيون مؤتمراً عسكرياً هاماً في مدينة (وهران) للبحث في الهجوم الخريفي المتوقع شنه من قبل قوات جيش التحرير . وقد حضر الاجتماع السفاح (روبير لاكوست) ووزير الدفاع الافرنسي (آندريه موريس) والجنرال (ايلي) القائد العام للقوات الافرنسية ، والجنرال (سالان) قائد القوات الاستعمارية في الجزائر .

في ٢٤ أوت ـ آب ـ هجوم عنيف للقوات الجزائرية ، على المواقع العسكرية والبوليسية في مدينتي (معسكر) و(تيارت ـ أو تيهرت) .

في ٢ سبتمبر ـ أيلول ـ هجوم خاطف تقوم به قوات جيش التحرير على ثكنات اللفيف الأجنبي في مدينة (سيدي بلعباس) . وقد اعترف الضباط الافرنسيون بدقة مخطط الهجوم وكفاءة

المجاهدين ، مما أدى إلى إصابة عدد كبير من الجنود الافرنسيين بجراح خطيرة .

في ٢١ سبتمبر ـ أيلول ـ أعطت الخطة الأولى ثمارها ، وأظهرت فائدتها ، ودخلت الخطة الثانية في حيز التنفيذ ، وسرعان ما بدأت تبشر بنتيجة ناجحة . فقد تمكنت القوات الجزائرية العاملة في الصحراء من إحراق حقول النفط ، خاصة في الجهة الغربية من الصحراء . وحررت هذه القوات بلاد (الهقار)(*) وقد صرح مصدر مسؤول في جبهة التحرير الوطني هذا اليوم : «بأن الجزائريين استولوا على مناطق عديدة في (الهقار) ولم يبق للافرنسيين أي نفوذ هناك . وقد دمر الجزائريون كثيراً من آبار البترول الموجودة في الصحراء الغربية ، ولم يعد للافرنسيين وجود إلا في بعض المراكز العسكرية» .

في ٢٦ سبتمبر ـ أيلول ـ هاجم المجاهدون مدينة (قسنطينة) هجوماً خاطفاً استخدموا فيه الرشاشات .

في ٧ اكتوبر ـ تشرين الأول ـ هاجم المجاهدون للمرة الثانية في هذه المرحلة مدينة (بلعباس) .

في ١٣ اكتوبر ـ تشرين الأول ـ صرحت القيادة الاستعمارية : بأن قوات الجزائريين تتجمع على الحدود الجنوبية ، وأن قواتهم تبلغ

(*) الهقار : هي موطن (الطوارق ـ الملثمين) ويقع في أقصى الصحراء الجزائرية ، يتكلم الطوارق اللغة البربرية ويدينون جميعاً بالاسلام . أما نظامهم الاجتماعي فهو إقطاعي تحت إشراف الادارة العسكرية ـ الاستعمارية . وتسمى طبقة الأسياد فيهم (ايهقار) وكان معظم هؤلاء يتزلفون للسلطات الاستعمارية . أما طبقة الشعب فيطلق عليها اسم (ايمراد) وقد مارست هذه الطبقة التي يبلغ عدد أفرادها نصف مليون نسمة تقريباً ، دوراً كبيراً في تحرير المنطقة ، والتعاون مع إخوانهم المجاهدين .

حوالي مائة مجموعة مسلحة . وأضافت القيادة الاستعمارية في تصريحها : «بأن معدل قتلى الافرنسيين قد ارتفع إلى حوالي مائتي جندي في الأسبوع ، هذا عدا عن الهجمات الشديدة التي يسقط فيها عادة كثير من الافرنسيين» .

كان جيش التحرير في هذه الفترة قد حصل على أسلحة حديثة بكميات كبيرة . منها مدافع رشاشة مضادة للطائرات ، ومدافع بازوكا مضادة للمدرعات ومدافع هاون . وقد أمكن الحصول على معظم هذه الأسلحة من المصانع الافرنسية(*) ومن مخازن الجيش الافرنسي التي كان المجاهدون يستولون عليها في هجماتهم . هذا بالإضافة إلى ما كان المجاهدون يحصلون عليها عن طريق الغنائم ، إذ كانت القوات الافرنسية تترك في ميادين القتال كثيراً من وسائطها القتالية إلى جانب القتلى والأسرى . وتطورت أسلحة جيش التحرير حتى صارت كلها ذات فعالية ، وأخذت أجزاؤ ها في التناسق والتكامل (التوحيد في العيارات والذخائر) بحيث لم يعد من الصعب على المجاهد استخدام أي قطعة منها .

في ٢٠ اكتوبر ـ تشرين الأول ـ شرع جيش التحرير مساء هذا اليوم في عمليات واسعة النطاق بمناسبة انتهاء السنة الثالثة لانفجار الثورة ، وبدأت العمليات الكبرى في جميع أنحاء الجزائر .

(*) علمت السلطات الافرنسية خلال سنة ١٩٥٦ ، أن بعض المصانع في فرنسا تقوم بصنع الأسلحة وتهريبها للثوار الجزائريين . وقد شكلت لجنة برلمانية للتحقيق في هذا الحادث ، إلا أن هذه المصانع سارعت بدفع رشوة إلى أعضاء اللجنة ، وشلت بذلك مهمتهم (الثورة الجزائرية ـ أحمد الخطيب ٢١٢) .

كما أصبح تحت تصرف قيادة جيش التحرير أسلحة ومعدات ثقيلة (كالدبابات والمصفحات ومدافع الميدان والطائرات النفاثة) غير أن قلة أعداد هذه الأسلحة بالمقارنة مع ما كانت تمتلكه القوات الافرنسية ، منع قيادة جيش التحرير من المغامرة بزج كل رصيدها في القتال . وعلاوة على ذلك ، فقد كان مخطط عمليات جيش التحرير يفرض على القوات عدم التمركز في منطقة ثابتة تتحول الى بؤرة لالتقاء ثقل قوات العدو عندها ، الأمر الذي يساعد العدو على الافادة من تفوقه في القوى والوسائط لسحق الثورة . وهكذا بقيت الأسلحة الثقيلة في مخابئها ومستودعاتها السرية ، ولم تظهر الا في المرحلة الأخيرة من الثورة . ويظهر ذلك مقدرة قيادة جيش التحرير على التخطيط بعيد المدى ، لا من أجل مجابهة متطلبات الصراع اليومية ، وانما من أجل تأمين القدرة الذاتية وتصعيدها حتى تتمكن من مجابهة كل احتمالات الصراع في المستقبل .

مهما كان عليه الموقف ، فقد نقلت قيادة جيش التحرير مسرح عملياتها إلى الصحراء ، وعلى الرغم من أن عمليات الصحراء لم تتجاوز حدود بعض الاشتباكات العنيفة ، الا أن هذه العمليات كانت ذات أهمية كبرى من الناحية السياسية . إذ أكدت تصميم جبهة التحرير على الاحتفاظ بحق الجزائر في صحرائها ، وامتلاكها للمناطق التي تم اكتشاف آبار البترول فيها حديثاً . وكانت الحكومة الافرنسية ، لأسباب سياسية واقتصادية معاً ، قد عملت على إقامة خط مؤقت للأنابيب يصل ببترول الصحراء إلى السوق الافرنسية (وقد قطع الخط المذكور سنة ١٩٥٨ ـ على الرغم من أن الكميات التي وصلت إلى فرنسا عن طريقه كانت محدودة للغاية) .

٨ ـ مجزرة قرية ميلوزة

تقع في كل حرب من الحروب ـ التقليدية أو الثورية ـ بعض الأحداث المثيرة والغريبة ، وهي أحداث قد لا تكون ذات أهمية من الناحية العسكرية ، إلا أنها تحمل مضموناً كبيراً من حيث تأثيرها في الرأي العام المحلي أو العالمي . وقد وقع مثل هذا الحدث في قرية (ميلوزة) في أواخر (ماي ـ أيار ـ ١٩٥٧) حيث زعم أن الذكور من أهل هذه القرية الواقعة في وسط الجزائر ، والذين يبلغ عددهم ثلاثمائة وثلاثة أشخاص ، قد قتلوا في ليلة واحدة بسبب ولائهم للحركة الوطنية الجزائرية التي كان يتزعمها (مصالي الحاج) . وقد أعلن رئيس الجمهورية الافرنسية (كوتي) عن تأثره الشديد لهذا الحادث ، فناشد الضمير العالمي أن يحمل على هذا العمل وأن يستنكره .

وقد أحيط الحادث بالكثير من الغموض ، ولم تسمح السلطات الافرنسية لأي مراقب خارجي محايد بإجراء تحقيق في الموضوع ، أو إحصاء عدد القتلى ، والظاهر أن هذا الحادث لم يقع في قرية (ميلوزة) ذاتها وانما في قرية مجاورة لها . وأكد الأمين العام للحركة الوطنية الجزائرية بأن للافرنسيين علاقة بالحادث ، وقد اتهمت جبهة

التحرير الوطني الجزائرية القوات الافرنسية بالحادث ، وطلبت إلى الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة أن يطلب من فرنسا الموافقة على إرسال لجنة دولية للتحقيق في القضية . ولكن الحكومة الافرنسية رفضت الطلب ، وبعد حوار طويل في الصحافة العالمية ، انتهى البحث في موضوع هذه المجزرة .

وسواء أكان الصراع بين جبهة التحرير وبين حركة مصالي الحاج وراء هذه المجزرة أو لم يكن ، فإن الوضع في وسط الجزائر ، خلال منتصف العام ١٩٥٧ ، يشرح ما يمكن أن تحدثه أي حرب استعمارية من انقسامات في وسط الشعب الواحد ، وما تحدثه من اضطراب في العلاقات الاجتماعية بسبب الاختلاف بين مراكز القوى ، وبنتيجة تباين الولاء لها . وكانت هذه المنطقة مركزاً (للجنرال بيلونس) وهو عضو سابق في اللجنة المركزية لحركة انتصار الحريات والديموقراطية . وقد عملت الادارة الافرنسية الاستعمارية على دعمه ، وإمداده بالقوات والأسلحة ، حتى يتصدى لقوات الثورة بحجة (الولاء لمصالي الحاج وحركته الوطنية) . ولما شعر (بيلونس) بضعفه ، وبعجزه عن مقاومة ضغط جبهة التحرير وقواتها العسكرية ، عقد اتفاقاً مع الجيش الافرنسي يقضي بالحصول على السلاح من الافرنسيين ، وترك حرية العمل له من أجل مقاومة نشاط الجبهة وأعمالها . وأدى هذا الأسلوب الذي سبق للافرنسيين استخدامه بنجاح في (ڤييتنام) إلى غضب جبهة التحرير .

ومن المحتمل أن يكون هذا الصراع هو الذي مهد السبيل للاصطدام العنيف بين الجبهة الوطنية الجزائرية ، وحركة (مصالي الحاج) . وعلى كل حال ، فان الجبهة لم تحاول إلقاء كل ثقلها في هذه المعركة الهامشية المصطنعة ، وتركت (للجنرال بيلونس)

حريته دون أن تعمل على تصفيته . حتى إذا ما جاء عام ١٩٥٨ ، تقدمت إليه الادارة الاستعمارية الافرنسية بطلب من أجل الانضمام إلى الحركة التي تبناها الجيش الافرنسي ، بالدعوة إلى التعاون بين الجزائريين والافرنسيين في البلاد (حركة ١٣ أيار ـ مايو ـ ١٩٥٨) . ولكن (بيلونس) رفض هذه الدعوة . فوقع صدام بينه وبين جماعة الانقلاب من رجال الجيش الافرنسي والمستوطنين . وسقط (بيلونس) قتيلاً في الثالث عشر من أيار ـ مايو ـ (يوم الانقلاب) ، ثم زعم الافرنسيون فيما بعد أنهم أعدموه .

ووقع حادث غريب آخر في الصراع الجزائري ـ الافرنسي ، أظهر بوضوح مدى الانقسام الواقع بين الاستعماريين ومسلمي الجزائر ، وأكد طبيعة الحرب التي أخذت أبعادها الدينية كرد فعل طبيعي ضد الظاهرة الصليبية التي اتسمت بها حرب الاستعمار منذ بدايتها .

كان جميع الحكام العامين الافرنسيين في الجزائر ، تواقين دائماً ، ومنذ نشوب الثورة ، إلى إظهار وجود تأييد جزائري إسلامي إلى جانبهم ، وضمن هذا الإطار عمل الحاكم العام (سوستيل) وهو من دعاة (سياسة التكامل) على تنظيم جماعات مسلحة من مسلمي القبائل (البربر) تحت ستار (الدفاع عن النفس) لتتصدى لمقاومة جيش التحرير (سنة ١٩٥٥) وكان بين الجزائريين الذين طلبت إليهم السلطات الإفرنسية الانضمام الى هذه الجماعات ، عدد غير قليل من مجاهدي جيش التحرير ، وقد انضموا الى المشروع الجديد بعد أن حصلوا على موافقة قائدهم . وقد ظهرت المشكلة الأولى للجبهة ، عندما صدر الأمر لهذه الجماعات ، بعد أن اجتازت مرحلة

من التدريب ، بالخروج الى الجبال لقتال جيش التحرير الوطني . وعقد قادة القبائل مؤتمراً سرياً لمناقشة الموقف ، وقرروا تمثيل معارك صورية مع إخوانهم المجاهدين ، وأن يتركوا على أرض المعركة (جثث الخونة) الذين يتم إعدامهم عادة .

وقد طبق هذا النظام بصورة دقيقة بضعة أشهر ، كان فيها السلاح والمدافع والذخيرة ، تتسرب كلها من هذه المجموعات الى المجاهدين في (منطقة القبائل) . ومن السخرية حقاً ـ بالكفاءة الافرنسية ـ ألا يكتشف القادة الاستعماريون سر هذه العملية ، إلا عندما أعلنها مباشرة القائد (عبانة) أبرز قادة منطقة القبائل ، ولكن وقبل أن يسمح (عبانة) لنفسه بكشف السر ، وقبل أن يتمكن الافرنسيون أيضاً من القيام بأية عملية انتقامية ضد هذه الجماعات ، كان أفرادها قد قتلوا ضباطهم الافرنسيين ، وعادوا إلى الالتحاق بقواعدهم لخوض الصراع مع إخوانهم المجاهدين .

لقد حملت هذه العملية اسم (الطائر الأزرق) . وما من أحد يعرف سبب هذه التسمية . غير أن الأمر الثابت والمؤكد هو أن هذه العملية لم تكن الفريدة في نوعها . ويضم التاريخ ـ غير الرسمي وغير المعلن ـ للثورة الجزائرية ، كثيراً من القصص المماثلة ، والأحداث المثيرة . وقد عرف عن بعض الضباط الافرنسيين ـ من رجال الخدمات الادارية الخاصة ـ أنهم تعاونوا أحياناً مع قادة جبهة التحرير الوطني ـ المحليين ـ أحياناً عن قصد ، وأحياناً بدون قصد ، في مشاريع مفيدة للجانبين . وكثيراً ما كان بعض الأثرياء من المستوطنين يجدون أنفسهم مرغمين على دفع الجزية إلى جبهة التحرير ، مقابل سلامة ممتلكاتهم والمحافظة على أرواحهم .

وكثيراً أيضاً ما قيل من أن عدداً منهم كان يقدم الملجأ والمأوى لقادة الثورة ، ويضمن حمايتهم من الجيش الافرنسي .

* * *

وتبقى هذه الظاهرة من أبرز الظواهر التي حملت في مضمونها العامل الحاسم لانتصار الثورة . لقد جهدت فرنسا طوال (١٣٠) عاماً على خلق هوة بين مسلمي الجزائر (عربهم وبربرهم) وكانت الوحدة الاسلامية تحت راية الجهاد في سبيل الله هي العامل الأقوى من كل محاولات التجزئة .

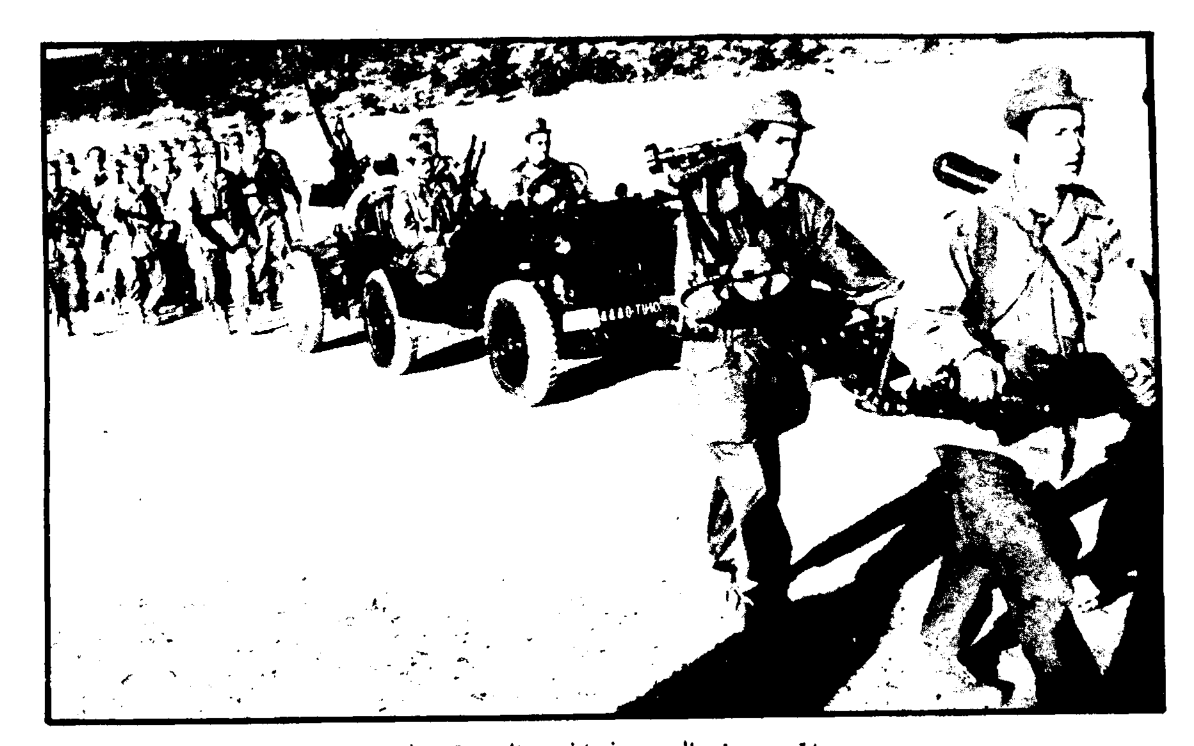
٩ ـ الصراع على الحدود

كان الصراع على الحدود ، أهم تطور عسكري وقع في العام (١٩٥٧) . وقد نجح (عمارنة) في أن يأتي لتونس بكميات كبيرة من الأسلحة التي اجتازت حدود الجزائر في النصف الأول من العام . وأعلنت الحكومة الافرنسية في شهر ـ أوت ـ آب ـ حقها في مطاردة الثوار الجزائريين إلى داخل الأراضي التونسية ، وهو حق زعمت أن القانون الدولي يخولها إياه ، لتمنع مرور الأسلحة عبر الحدود . وهكذا شرعت باقامة حاجز من الأسلاك الشائكة المكهربة (أطلق عليه اسم خط موريس نسبة الى وزير دفاعها) يمتد مائة ميل على طول الحدود التونسية ـ الجزائرية . وقد أقيمت فيه نقاط مسلحة بالمدفعية وأجهزة الرادار . وهذا الخط المكهرب يشبه ذاك الذي أقيم على الحدود الجزائرية ـ المغربية أيضاً وقد بدأ العمل به في شهر سبتمبر ـ أيلول ـ وكان جيش التحرير ، يستخدم لقطع هذه الأسلاك الحشوات المستطيلة (بنغالور) لإحداث ثغرات فيها ، ثم يقوم رجاله بقطع الأسلاك بواسطة المقصات الخشبية . وكان جنود جيش التحرير يدفعون أمامهم أحياناً قطعاناً من الماشية لتفجير الألغام الافرنسية ، ويصبح باستطاعة الجنود عندئذ المرور مع البغال

المحملة بالامدادات من أسلحة وذخائر . وقد تعلم الجيش الافرنسي مؤخراً استخدام المحولات الكهربائية لمنع انقطاع التيار .

وقد كلف (خط موريس) قوات جيش التحرير الوطني الكثير من أيام العمل الاضافية ، وخسارة كبيرة في الأرواح . وأدى إلى إبطاء وصول شحنات الأسلحة إلى مجاهدي الداخل ، ولكنه لم يمنع وصولها بصورة نهائية . ولعل وجوده هو الذي أدى الى تطور الصراع ، والتوسع بالهجمات التي كان يقوم بها المجاهدون في الداخل ، للحصول على السلاح من الافرنسيين ، وأدى كذلك إلى بقاء كمية أكبر من الوسائط القتالية برفقة المجاهدين المدربين تمام التدريب ، على الأرض التونسية ، فشكلوا بذلك الاحتياط العام لقوات الثورة الجزائرية .

لقد أرادت القيادة الاستعمارية الافرنسية عزل مسرح العمليات الجزائري عن محيطه الجغرافي والتاريخي ، على نحو ما فعلته من قبل عند احتلال الجزائر ، وعلى نحو ما فعلته أيضاً عند القضاء على الثورات الجزائرية المتتالية . وقد أدرك قادة الجـزائر ، ومعهم قادة المغرب العربي ـ الاسلامي (تونس والمغرب) هذه الحقيقة ، فتم العمل منذ البداية وحتى انتصار الثورة على تنسيق التعاون فيما بين الأقطار الثلاثة . ولم تكن إقامة (الحواجز) وتكوين (المناطق المحرمة) إلا محاولات لتمزيق وحدة أقطار المغرب العربي ـ والاسلامي . وفي الواقع ، فقد تعرضت عملية تنسيق التعاون بين الأقطار الثلاثة إلى إحباطات كثيرة ، تركت مرارة عميقة في نفوس المجاهدين الجزائريين . وكانت تلك الاحباطات من صنع فرنسا ، أو ناجمة عن وجود الاستعمار ذاته . ولكن قيادة جبهة التحرير استطاعت تجاوز العقبات المصطنعة . وأمكن لها باستمرار أن تجد طريقة مناسبة لتنسيق التعاون مع جارتيها الشقيقتين . .



وحدة من جيش التحرير في الحدود التونسية ـ الجزائرية .

الفصل الثاني

١ ـ جيش التحرير في وثائق الثورة .
٢ ـ معركة الجرف .
٣ ـ القيم الأخلاقية عند جيش التحرير .
٤ ـ مع يوميات القتال في سنة (١٩٥٧) .
٥ ـ معركة القلاب (١٩٥٨) .
٦ ـ ماذا وقع بعد الكمين (١٩٥٨) .
٧ ـ معركة (عين الزانة ـ ١٩٥٩) .
٨ ـ معركة الحوض (١٩٥٩) .
٩ ـ معركة عنابة (١٩٥٩) .
١٠ ـ عام الانتصارات (١٩٦٠) .
١١ ـ الصراع في قلب مراكز العدو (١٩٦٠) .

١ ـ جيش التحرير في وثائق الثورة

قد يكون من الممتع والمفيد في آن واحد ، استقراء ملامح جيش التحرير وتطوره وأعماله القتالية من خلال المنشورات والوثائق التي صدرت خلال مرحلة الثورة . ذلك أن هذه الوثائق والمنشورات مميزة بمجموعة من الخصائص ، لعل من أبرزها صدقها في تصوير الأحداث ، ومعالجتها للمواقف المختلفة بصورة موضوعية . هذا علاوة على ما تفيض به من صدق العاطفة . وفي الواقع ، فقد اعتمدت قيادة جيش التحرير على النشرات الدورية من أجل شرح حقائق الموقف للمقاتلين ، ومعالجة مشكلاتهم ، والرد على اساليب الحرب النفسية للقوات الاستعمارية . وكان من بين هذه النشرات الدورية ـ وفي طليعتها أيضاً ـ (مجلة المجاهد) ثم جريدة (الشباب) وجريدة (المقاومة) التي دمجت فيما بعد بمجلة المجاهد . وكذلك (صدى الجبال) . هذا بالاضافة الى تلك النشرات الرسمية التي كانت تصدر عن القيادة العامة ، سواء في مجال التنظيم ، أو من أجل توجيه مجاهدي جيش التحرير وتثقيفهم في أمور معينة (مثل أعمال الاستطلاع ومحاربة الجاسوسية الخ . .) .

وفي الواقع ، ربما كان من الصعب إعطاء صورة واضحة وكاملة

عن كل ما تتضمنه تلك المنشورات والوثائق ، إذ من الصعب الإحاطة بها لوفرتها ، وإذن فلا بد من انتقاء بعض هذه الوثائق ، بقدر ما هو ضروري لابراز تطور جيش التحرير وأعماله .

وعلى سبيل المثال ـ لا الحصر ـ وفي مجال (إقامة السدود) ومحاولة عزل الجزائر ، كتبت نشرة جزائرية ما يلي :

« كان الجيش الأفرنسي يحاول عزل الجزائر عن بقية العالم ببناء السد المكهرب الغربي ، خلال شتاء ١٩٥٦ ، والسد الشرقي المسمى بخط موريس ، أثناء النصف الثاني من سنة ١٩٥٧ . وكانت معركة الحدود هذه تعتمد بالنسبة للقوات الاستعمارية على طرد (٢٨٠) ألف جزائري من ديارهم وقراهم وأرضهم وتكوين سد مجمد على جهتي الحدود . وبلغ عدد اللاجئين الجزائريين حده الأقصى خلال شتاء (١٩٥٧ ـ ١٩٥٨) . ورد جيش التحرير على ذلك بالتمركز في الأماكن الواقعة على حدود البلاد والسد المكهرب الذي أقيم حول الخطوط الحديدية .

لكن هذا السد الذي كان من المقرر أن يستخدم (لخنق الجزائر) لم يكن في الواقع إلا عملاً باهظ التكاليف وقليل الفاعلية ، جندت فرنسا من أجله جهازاً حربياً ضخماً ، وألقى جيش التحرير لتجميد هذا الجهاز بجزء من قواته فقط ، كما أفاد من هذه العطالة لتطوير تدريبه وتسلحه ، ثم قام بهجمات محلية أو عامة بداية من جويليه ـ تموز ـ ١٩٥٨ . ولم ينفك جيش التحرير الوطني من متابعة حربه ضد السد المكهرب (في إطار العصابات) مع تأمين إرسال الاسلحة الحديثة وزيادة عدته وعتاده .

ففي هذه الفترة بالذات تألفت شبكة استعلامات على المستوى الوطني ، شملت تأمين الاتصال بين الولايات ولجنة التنسيق والتنفيذ ، وبين المناطق في كل ولاية »[*] **إن مطالعة النص السابق وحده يبرز مجموعة من الحقائق : أولها ـ إدراك القيادة الجزائرية لأهداف العدو والكامنة وراء كل إجراء من إجراءاته . وثانيها ـ مجابهة كل موقف بالحلول المناسبة له ، وثالثها ـ الإفادة من أخطاء العدو لإضعافه وتدميره ـ مادياً ومعنوياً ـ مع زيادة القدرة الذاتية لقوات الثورة . وهذا ما يبرز أهمية العودة لوثائق الثورة .**

(*) المرجع : الجمهورية الجزائرية ـ وزارة الداخلية ، نشرية داخلية (رقم ١٣) مارس ١٩٦٢ ص ٨ ـ ٩ .

٢ ـ معركة الجرف

لا جرم أن الاستعمار الافرنسي قد خاب أيما خيبة (بالجرف) واعتبره موقعاً مشؤوماً عليه . ففي شهر سبتمبر (أيلول) سنة **١٩٥٥** هزمت جيوشه المرتزقة في ذلك المكان الموجود في جبال (النمنشة) أشنع هزيمة ، حيث استطاع مجاهدو جيش التحرير الوطني قتل أربعمائة جندي وإسقاط ثماني طائرات وإصابة ثلاث مصفحات ، وقتل ثمانية عشر بغلاً ، وغنم مدفعين من نوع (بازوكا) وأربعين بندقية ، وجهازاً لاسلكياً (مرسل لاقط) .

وفي السادس من شهر ابريل (نيسان) ١٩٥٦ . وقعت في المكان ذاته معركة أخرى انتصر فيها جيش التحرير انتصاراً رائعاً على فيالق ضخمة من القوات الاستعمارية ، مدعمة بسرب من الطائرات المقاتلة وبعض الطائرات العمودية (الهيليكوبتر) وعدد وافر من رجال المظلات .

وقد روى بعض أبطال هذه الأيام المجيدة تفاصيل المعركة بقولهم :

« تصوروا ناحية كلها جبال شاهقة وصخور عالية ومغاور عميقة

وشعاب ملتوية يشقها واد بعيد الغور ، وبها مكامن يتعذر الوصول إليها . ولقد وردتنا معلومات أكيدة بأن فرقة كبيرة من جيوش الأعداء تضم الجنود الشبان الذين قدموا حديثاً من مدينة (نانت) قد كلفت باقامة مراكز للمراقبة في تلك الناحية (المشكوك فيها) . وكانت تلك المعلومات الواردة من مصلحة (استعلاماتنا) دقيقة جداً ، إذ مكنتنا من معرفة المسالك التي ستمر بها الفرقة المذكورة ، وكذلك أوقات تحركها ، ومواعيد توقفها في كل مرحلة من المراحل ، وحتى عدد جنودها ونوع أسلحتها وأسماء ضباطها . ولم يبق علينا إلا التهيؤ لاستقبالها والاستعداد للقضاء عليها .

وعلى هذا ، فما انبثق فجر يوم ٦ ابريل (نيسان) حتى كان جميع رجالنا على علم بتفاصيل العملية التي سيتم تنفيذها ، إذ أن من مبادىء جيشنا الفتي أن يعرف المجاهدون دائماً هدفهم ، والى أين هم قاصدون ، وماذا يريد قادتهم منهم ، وكثيراً ما تدرس مخططات العملية ، ويتم الاعداد لها بحضورهم ومشاركتهم الفعلية .

قام الضباط والموجهون السياسيون بتزويد المجاهدين بتعليماتهم الأخيرة . والتحق كل رجل بمركزه المحدد له ، ونصبت الرشاشات الثقيلة منها والخفيفة في المراكز المناسبة ، وانتشرت البنادق الرشاشة والمدافع الصغيرة في أماكنها ، كما اختار (مهرة الرماة) أفضل المواقع المناسبة لهم بأعلى الجبال وبين الصخور . وكمن الجميع بانتظار العدو الذي بات من المتوقع ظهوره بين فترة وأخرى . ولم يطل الانتظار ، فما هي إلا فترة وجيزة حتى بدأت جنبات الوادي العميق والعاري من كل نبات ، في ترديد أصداء هدير المحركات . وأيقن المجاهدون ، وهم ينتظرون بصمت وخشوع ، أن عددهم بات قريباً منهم ، ففيم كانوا يفكرون في تلك

اللحظة ؟ . . . هل كانوا يفكرون في وطنهم المكبل بالقيود منذ مائة وخمس وعشرين سنة ؟ أم كانوا يفكرون فيما لحق بهم من ضروب الذل والهوان وهم في وطنهم ؟ أم كانوا يفكرون في آبائهم ونسائهم وأطفالهم الذين خلفوهم وراءهم في المدن والقرى ؟

لقد اعترف الكثيرون من أولئك الأبطال الذين خاضوا المعركة ، فيما بعد ، بأنهم ما فكروا إلا في اخوانهم المجاهدين الذين تصدوا في القرن الماضي للهجمات الافرنسية ، خصوصاً وأن أحد المندوبين كان قد حدثهم في الليلة السابقة عن أولئك (المسبلين) الأماجد الذين كبلوا أنفسهم في القيود تأكيداً على تصميمهم على الثبات أمام الجيوش الافرنسية ، ومنعها من احتلال قريتهم أو الموت دونها . هذا بينما كان آخرون يفكرون في أصدقائهم ورفاقهم الذين سبقوهم الى الشهادة في المعارك السابقة .

على كل حال ، وبينما المجاهدون في صمتهم وترقبهم ، تناهى إلى سمعهم صوت أيقظ انتباههم ، ووجه أبصارهم نحو العدو وقد بدت طلائعه . لقد سمعوا آذاناً وتكبيراً صادراً عن أعلى الربوة ، وأخذوا في انتظار سماع صوت المؤذن وهو يرسل تكبيراته من التل المقابل ليطلقوا نيرانهم . وما هي الا لحظة حتى ترددت صيحة (الله أكبر) . ودوت في الجبال طلقات الرماة الأحرار . وانهمر الرصاص على الأعداء ، فتوقفت سياراتهم وشبت فيها النيران من كل جانب ، وانتشرت الفوضى ، وهيمن الاضطراب على قوات العدو ، وما هي إلا ربع ساعة حتى تكدست الجثث ، ولم ينج من الموت إلا بعض الجرحى ، فخرج إذ ذاك المجاهدون من مكامنهم ، واستولوا على كميات مذهلة من الأسلحة والذخائر .

لم يثمل المجاهدون بما أحرزوه من نصر ، فقد كانوا على ثقة بأن العدو سيرسل نجدات عاجلة لإنقاذ قواته ودعمها ، فكان لزاماً عليهم التربص لهذه القوات ، وفي الحقيقة ، فانه لم تمض فترة طويلة حتى ظهرت قوات جديدة وهي تقترب من مسالك الجبال، بالإضافة إلى تلك القوات من المظليين التي أخذت في الهبوط من الطائرات العمودية . وكانت الامدادات تتدفق من كل مكان . ولاحظ المجاهدون أن هناك بعض مفارز المظليين (ذوي القبعات الحمراء) قد جاؤوا من (تبسة) ذاتها . واستمر تقاطر القوات طوال فترة المساء ، واستؤنف في اليوم التالي . فعرف المجاهدون أن في انتظارهم موقعة ستكون من أقسى المعارك التي دارت رحاها بين المجاهدين وبين قوات الاستعمار الافرنسي ، منذ أن اندلعت نار الثورة .

كان الرماة المجاهدون ، وهم في مكامنهم العالية المنيعة ، يطلقون النيران الكثيفة من رشاشاتهم على الطائرات المقاتلة والطائرات العمودية حتى يمنعوها من الهبوط . وكانت الطائرات المقاتلة مختلفة في نوعها ، منها قاذفات القنابل ومنها المطاردة ـ الاعتراضية . . استمرت الاشتباكات العنيفة طوال الليل ، على ضوء الشهب المنيرة التي كانت تطلقها الطائرات الافرنسية فتحيل ليل المعركة نهاراً . وتجددت الاشتباكات بوتيرة متصاعدة في الساعة الخامسة والنصف من صباح الغد . وأظهر المجاهدون من الاقدام والثبات بقدر ما أظهروه في معركة اليوم السابق ، ما وهن لهم عزم ، ولا ضعفت منهم إرادة ، ولم يفتر تصميمهم في وقت من الأوقات عن طلب النصر أو الشهادة . ولهذا لم يكن يهمهم الاسراع لملاقاة عدو يتفوق عليهم بكثرة عدده ووفرة عتاده وتفوق أسلحته .

وجدير بالذكر أن المجاهدين أفادوا في معركتهم من الأسلحة والذخائر التي غنموها في معركتهم الاولى ، فكبدوا العدو خسائر فادحة ، وكانت رمايات المجاهدين مميزة بدقتها وإحكامها ، بحيث أنه قلما انطلقت رصاصة إلا وأصابت معتقلاً من جند العدو . وأثناء ذلك ، كان سيل قوات العدو مستمراً في تدفقه ، وقد تمكنت هذه القوات من تشكيل سياج أحاط بميدان المعركة على مساحة قدرها خمسون كيلومتراً مربعاً . واشتركت في تشكيل السياج ومحاصرة قوات المجاهدين قوة ضمت آلاف الجنود الافرنسيين المدعومين بست طائرات مطاردة ، واثنتي عشرة طائرة عمودية (هيليكوبتر) وثلاث طائرات استطلاع (بيبركاب) ، وعدد من جنود المغاوير البحرية (ذوي القبعات الخضراء ـ المظليين أيضاً) والذين استمر إنزالهم خلف قوات المجاهدين طوال ساعات عديدة. وظهرت للمجاهدين خطة العدو واضحة تماماً : إنه يريد تدميرهم وإبادتهم . غير أن ذلك لم ينل من روحهم المعنوية ، فرفعوا أصواتهم بالنشيد الوطني (وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر) ذلك النشيد الذي بات لحناً حلواً على لسان الجزائريين ، رجالهم ونسائهم وأطفالهم ، والذي باتت تردد أصداءه الجبال والوديان وجدران السجون والمعتقلات والمحتشدات .

قرر المجاهدون الخروج من دائرة الحصار ، ووضعوا خطتهم ، وأعادوا تنظيم قوتهم ، واختاروا النقطة التي سيفتحون فيها ثغرتهم ، وقاموا بالانقضاض مستخدمين كل قوة نيرانهم ، وأمكن لهم شق طريقهم ، وخلفوا العدو وراءهم . غير أنهم لم ينسوا في مأزقهم ، وبالرغم من سرعة انسحابهم ، أن يحملوا معهم ما غنموه من السلاح ، بقدر ما تسمح لهم قدرتهم على الحمل ، **فكان في**

غنائمهم : « ٢٥ رشاشة ، و٧ بندقيات رشاشة ، ومدفعان من عيار - ٦٠ - و٧ بندقيات من نوع - ماس ٤٩ - و٤ بنادق من نوع - ماس ٣٦ - علاوة على كمية وفيرة من المسدسات والعتاد وأربعة أجهزة لاسلكية (مرسلة آخذة) راديوفون » .

لقد تناقضت البلاغات الافرنسية التي صدرت بصدد هذه المعركة ، وحاولت الصحافة الافرنسية والأجهزة الإعلامية التابعة لها ، التخفيف من حجم الخسائر . غير أن أحد كبار الضباط الافرنسيين ذكر بأن **(معركة الجرف) قد أسفرت عن مصرع (٣٧٤) رجلاً بينهم عدد من الضباط ، هذا بالاضافة إلى مئات الجرحى . وخسر المجاهدون مقابل ذلك ثمانية قتلى و(٢١) جريحاً .**

وتمكن المجاهدون . من إسقاط (٦) طائرات عمودية (نموذج سكورسكي) ، وطائرة مطاردة (نموذج تندربلت) ، وإصابة طائرة (بيبركاب) مع إحراق (٧) سيارات كبيرة من سيارات نقل الجند ، علاوة على تدمير كميات من أعتدة العدو وتجهيزاته القتالية .

* * *

٣ ـ القيم الأخلاقية عند جيش التحرير(*)

عندما بدأت الثورة الجزائرية زحفها المظفر ، بجماعات قليلة من الشباب الثائر ، تلقاها الشعب الجزائري كله بالفرح والتأييد ، فكثرت فرق المجاهدين ، وتوسعت مناطق النفوذ ، وبدأت النظم التي كانت حتى الأمس أملاً في الصدور ، وفكرة في العقول ، تبرز حقيقة ساطعة وواقعاً حياً .

لقد استطاعت الثورة الجزائرية أن تتقدّم نحو النصر ، بسبب ذلك التجاوب العميق الذي كان بين الرأس الموجه للثورة ، وبين الشعب الذي وجه إليه النداء . وكان ذلك التجاوب نفسه هو الذي أعطى للجماعات المجاهدة من اليوم الأول للثورة ، ذلك الطابع القوي من الخلق الفاضل ، والسلوك المثالي ، لقد تطهر الشعر الجزائري من أدرانه بعد سنوات الاحتلال الافرنسي الغاشم ، وبعدما أنزله الاستعمار من محن ونوائب بهذا الشعب الذي عاد للظهور وهو يحمل كل فضائله الدينية والاخلاقية التي بقيت كامنة طوال أكثر من

(*) المرجع : مجلة (المجاهد) العدد ٩ ـ (٢٠ اوت ـ آب ـ ١٩٥٧) .

قرن من الزمن ، تنتظر الفرصة المناسبة وتتحين الظرف الملائم الذي أوجدته ثورة الفاتح من تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٥٤ . فكانت هي الإيذان لتلك القيم بالظهور ، على طبيعتها ، فبهرت الدنيا وأدهشت العالم .

* * *

كان جيش التحرير الوطني هو التنظيم الذي مكن تلك القيم التي كانت حتى الأمس كامنة، بالظهور . وكان جيش التحرير هو الذي آلت إليه تلك القيم ، فأعطاها النظام الملائم . لقد بدأت فرق جيش التحرير ، في أول الأمر ، قليلة لا تملك إلا التوجيهات العامة ، ثم جاء مؤتمر (٢٠ اوت ـ آب ـ ١٩٥٦) الذي أعطى بعد ذلك نظاماً موحداً لجيش التحرير في كامل ولايات الكفاح في القطر الجزائري، والذي سن قوانين محددة لا يتعداها المجاهد، ويرجع إليها جميع القادة . وهكذا أصدر ذلك المؤتمر قراراً بتحريم الإعدام ذبحاً ، وتحريم جميع أنواع التمثيل بالشخص أو التشويه بخلقته . كما نص على أن كل من يتعدى على عرض فتاة أو امرأة يحكم عليه بالإعدام . وعلى أن تنفيذ الإعدام لا يتم إلا بعد محاكمة شرعية قانونية ، يتمكن فيها المتهم من الدفاع عن نفسه ، كما أمر بوجوب العناية بالأسرى . وانصرف قادة الجيش بعد المؤتمر إلى مختلف ولاياتهم يطبقون نظاماً واحداً ، ويرجعون إلى قانون واحد ، وتقودهم إلى الهدف الواحد أخلاق واحدة ، وسلوك مثالي مشترك . وبذلك تكون الثورة قد أقامت الدليل على أنها تمثل القيم الأخلاقية للشعب الجزائري .

لم تكن تلك النظم برنامجاً من وضع شخص بمفرده ، ولكنها كانت



الاعداد النفسي ، محاضرة في معاقل الثوار

نظاماً يتجاوب مع ما يشعر به كل جزائري في أعماقه من إحساس عميق ، وما يؤمن به داخل نفسه من سلوك ، وما يطبقه في حياته من أخلاق . ولذلك لم يجد قادة جيش التحرير ، عندما رجعوا الى مراكز عملهم ، صعوبة في تطبيق تلك النظم ، ولذلك أيضاً لم تبق تلك النظم مجرد عبادة مكتوبة أو قاعدة محفوظة ، ولكنها صارت حقيقة ثابتة يعيشها المجاهد في وحدته ويطبقها في حياته اليومية ، ويؤيدها الشعب كله ، وهذا هو ما مكن جيش التحرير من إحراز انتصاراته بالرغم من قلة عدده . وقد اعترف الأعداء ذاتهم بهذه الحقيقة التي كانت سبباً في إحباط جميع الدعايات الاستعمارية التي حاولت أن تبرز مجاهدي الثورة في صورة قطاع الطرق ، الذين لا يقيمون وزناً لأي مثل أخلاقي أعلى . ولقد شاهد الصحافيون الأجانب بأنفسهم ما يتمتع به المجاهدون الجزائريون من سلوك فاضل وروح عالية وانضباط رائع .

لقد كتب صحافي افرنسي زار ولاية وهران في السنة الماضية (١٩٥٦) يقول : « **ومما لاحظته أثناء مقامي في المناطق التي زرتها ، أن جنود جيش التحرير يحترمون بكل دقة قوانين الحرب . وقد شاهدت بعيني أسيرين إفرنسيين يعيشان بين الجنود ، ويأكلان مما يأكلون ، ويطالعون الصحف ، ولسنا في حاجة إلى أن نورد أسماء الأسرى الذين أطلقت قيادة جيش التحرير سراحهم فعادوا الى أهلهم يعيشون في سلام . أولئك الأسرى الذين تعمدت الصحف الافرنسية أن تصمت عنهم ، فلم تشر إليهم بأكثر من إشارة غامضة ، إلا أن ذلك لم يمنع** الحقيقة من أن تنتصر في النهاية . وها هم اليوم مبعوثو الصحف الكبرى والمجلات الاجنبية ، التي لها صدى كبير في العالم أجمع ، يزورون معاقل جيش التحرير ، في جبال الجزائر ، فيرون عن كثب ان ما تنشره قيادة جيش التحرير ليس دعاية مبالغاً فيها ولكنه الواقع المحض » .

إن جيش التحرير الوطني هو جيش ثوري تتألف أغلبيته من شبان ملأ الإيمان قلوبهم ، ودفعهم الهدف النبيل الى الكفاح الشاق والمرير ، ومن ذلك ، أن الشباب الطامح يتخرج منه الضباط والمسؤولون العسكريون الذين يشرفون على توجيه الثورة وقيادة فرق جيش التحرير . ولنرجع إلى شهادة الإفرنسي الذي زار ولاية (وهران) فقد كتب يقول : « **لقد لمست هذا الإيمان في محادثة أجريتها مع أحد المجاهدين ، إذ قال لي : هل يحسب المستعمرون أن أولئك الذين صعدوا إلى الجبال سوف ينزلون منها دون أن يحصلوا على الاستقلال ؟ فلو فرضنا أنه لم يبق في الجزائر إلا امرأة عمياء ، فإنها لن تتردد في حمل السلاح وفي الكفاح من أجل وطنها . ولو فرضنا أن تلك المرأة تسقط بدورها شهيدة الواجب ، فإن الجزائر بأكملها ـ الجزائر التي أحرقت غاباتها وأبيد أهلها ـ سوف تثور حجارتها على المستعمر الطاغية** » .

* * *

يجمع المجاهدون الجزائريون ، إلى هذا الإيمان العميق ، إقداماً عجيباً على الموت وطلب الشهادة ، لا تردهم عن غايتهم رغبة في حياة ، أو تعلق بملذة من ملاذ الحياة . إنهم واجهوا العدو ، في ثبات منقطع النظير ، واستطاعوا أن ينسجوا بتفانيهم في أداء الواجب ، أروع قصص البطولة والتضحية . ومن من الناس يجهل اليوم أحاديث تلك المعارك الرهيبة التي خاضها جيشنا في كل مكان . فأظهر من صنوف الإقدام والثبات ما بهر العدو ، وزعزع معنوياته ، وجعله يتأكد أنه لن ينتصر على جيش التحرير الوطني ؟ .

إن جيش التحرير في مواجهته للعدو الافرنسي لا يعتمد إلا على الشعب ، ولذلك تراه يعتني بالمدنيين ، ويجنبهم هجمات العدو ،

ويبذل قصارى جهده لحماية المدنيين العزل من ضربات (وحوش التهدئة) . ليس هذا فقط ، بل إن جيش التحرير قد وضع في كامل (ولايات الكفاح) منظمات اجتماعية وصحية للعناية بعلاج المرضى والجرحى . بل كثيراً ما ساهم المجاهد الجزائري في حراثة الأرض ، وتقديم العون للفلاح على أداء عمله الشاق . وتلك هي خطوط عامة ولمحات وجيزة عما يمتاز به جيش التحرير من فضائل خلقية ، فهو رؤوف بالمدنيين . شجاع في مقابلة العدو ، إنسان في احترام قوانين الحرب . ولذلك فليس من تجاوز للحقيقة عندما يوصف جيش التحرير الوطني بأنه الممثل الوحيد للقيم الأخلاقية العليا التي يتصف بها شعب الجزائر .

* * *

والآن لننظر ما هو نصيب الجيش الافرنسي من الأخذ بتلك الأخلاق والفضائل ، وما هو أسلوب الجيش الافرنسي في حربه ضد شعب الجزائر المجاهد؟ - إن الجيش الافرنسي لا يخوض حرباً بالمعنى المعهود للكلمة ، لأن جنده وقادته وموجهيه تحولوا كلهم الى وحوش تنشر الدمار والخراب ، وتحرق الغابات والمنازل ، وتقتل الأبرياء والمدنيين ، انهم يحاولون ابادة الشعب الجزائري . ان فرنسا في حربها ضد الجزائر المجاهدة قد حشدت جميع قوى البغي والطغيان والشر ، وراحت تحاول بشتى الوسائل ، في المدن كما في القرى ، في الجبال كما في السهول ، القضاء على المقاومة المسلحة وتدميرها . وأخبار الفظائع الافرنسية باتت بارزة على صفحات معظم المجلات والصحف في العالم ، ولم تعد خافية على أحد . بل ان الافرنسيين ذاتهم قد تعرضوا لبعض صور (حرب الابادة) التي جعلت من الافرنسيين أمة من أكثر أمم الأرض وحشية

ونذالة ، وهل هناك من بات يجهل قصص (فظائع التهدئة) التي عمت الجزائر ؟ . . .

وهل من الناس من لم يعرف ما نظمته فرنسا في سنة (١٩٥٦) من إحراق للغابات ، مع من يقيم فيها من المواطنين ، وبما فيها من خيرات ؟ وهل في الناس من يجهل اليوم (أخبار المشوهين) الذين يموتون تحت التعذيب ، لا لسبب إلا بسبب حظهم العاثر الذي جعلهم يصادفون جندياً إفرنسياً في الطريق ؟ ومن يجهل أيضاً حوادث الإعدام بدون ذنب ومن غير محاكمة ؟ ومن من الناس يجهل حوادث المشبوهين الذين تقذف بهم الطائرات الافرنسية ، فيقضون أجلهم في الفضاء قبل أن يتحطموا على الأرض كتلاً آدمية ، وقطعاً متداخلة من لحم وعظام ؟ وهل هناك من لم يعرف بتلك المجازر الاجماعية التي لم يتردد الافرنسيون المتحضرون في أن يستعملوا الفؤوس لتهشيم الرؤوس وقطع الرقاب ، ليصدق الناس ـ حسب توهمهم ـ أنها من فعل الثوار ؟ . . .

لم يقف جند فرنسا ـ المتحضرة ـ عند حدود تقتيل المدنيين والأبرياء ، بل تجاوزوا ذلك الى ذبح النساء والشيوخ والأطفال ، وبقربطون الحوامل ليروا ما تحمله من ذكر أو أنثى ، بعد أن يكونوا قد قامروا عليها فيما بينهم بزجاجة خمر أو حتى علبة لفافات تبغ (سجاير) . وكأن ذلك كله لم يكف السلطة الاستعمارية الافرنسية ، فراحت تقتل في وضح النهار باسم القانون ، وتعلن للدنيا قاطبة ، وكأنها تتحدى العالم أجمع ، تقتيلاتها تلك ، فنصبت المقصلة تقطع رؤوس المجاهدين الجزائريين الذين يعتبرون في نظر الاتفاقيات الدولية أسرى حرب ، لا حق لفرنسا في أن تحاكمهم ، فضلاً عن أن تنفذ فيهم أحكام الإعدام .

إن الافرنسيين ، لما توالت هزائمهم في البوادي أثناء الاشتباكات والمكامن يوقعهم فيها (جيش التحرير الوطني) . ولما فشلوا في المدن أمام أعمال الفدائيين ، لم يسلكوا طريق الحرب وقوانينها . وإنما لجأوا إلى الأساليب التي تعبر عن الجبن والنذالة ، وأملهم في ذلك قمع الثورة ، وتدمير الروح المعنوية للشعب الجزائري حتى يتراجع عن طريق الجهاد . غير أن ذلك ما نال شيئاً من إيمان الشعب ، وما أضعف أبداً من الروح المعنوية للمجاهدين الجزائريين الذين تعاظم تصميمهم ، وتزايد عنادهم ـ لدى رؤيتهم لتلك المجازر الوحشية . فمضوا على طريق الجهاد للقضاء على ذلك الوجه الاستعماري الذي ما كانوا يعرفون عنه إلا القليل .

ذلك هو أسلوب المستعمرين الذي قادهم إلى الهزيمة ، وذلك هو أسلوب الثوار الذي قادهم إلى النصر .

٤ ـ مع يوميات القتال
في سنة ١٩٥٧ (*)

سبقت الاشارة إلى تطور الأعمال القتالية في سنة ١٩٥٧ . وكانت قيادة (جيش التحرير الوطني) تصدر ، بلاغاتها على شكل نشرة يتم تعميمها في كافة (ولايات الكفاح) حتى يتعرف المجاهدون على ما يقوم به إخوانهم في الولايات الأخرى . وقد حملت إحدى النشرات (المقاومة) في مقدمتها ما يلي : «معارك رهيبة منيت فيها قوات الاحتلال بخسائر ذريعة في الأرواح والعتاد الحربي : (٧٤٨) قتلى و(١٥٤) جرحى و(٦) أسرى و(٣٦) ينضمون إلى جيش التحرير بأسلحتهم . وإسقاط (٧) طائرات ، وإحراق (٣) سيارات ، وغنم (١٥) رشاشة و(٥) مدافع هاون و(١٥) قنبلة» وقد يكون من المناسب الوقوف لحظة عند مضمون تلك البلاغات ونصوصها بمثل ما ظهرت فيها ـ عبر لهيب الثورة ـ .

ولاية الشمال

(القاعدة الشرقية)

١ ـ في يوم ٢٧ مارس ـ آذار ـ قامت قوات الاحتلال الافرنسية

(*) جريدة المقاومة (٢٢ نيسان ـ افريل ـ ١٩٥٧) .

التي يبلغ عدد أفرادها خمسة آلاف جندي بتطويق إحدى كتائبنا في المكان المسمى (العلمة) على بعد سبعة كيلومترات شرقي قرية (فاستو) . واستمر تبادل إطلاق النار بين الجانبين حتى الساعة الثانية عشرة ليلاً . وبلغت خسائر العدو في الأرواح واحدا وخمسين قتيلاً . ولم يعرف عدد الجرحى . واستشهد جندي واحد من جند جيش التحرير وجرح أربعة آخرون .

٢ - في يوم ٢٨ مارس - آذار - صباحاً ، وعلى بعد (٤ كيلومترات) من (هنشير السعيدي - قالياني) اصطدم أحد أفواجنا بدورية استعمارية تتألف من (١٥) جندياً إفرنسياً ، فتبادلوا إطلاق النار طوال ما يقارب من نصف ساعة . ثم فرت الدورية تاركة وراءها (٥) من القتلى وجريحين استطاعا اللحاق بهما ، وسلم المجاهدون من كل أذى .

٣ - وفي يوم ٣ أفريل - نيسان - ١٩٥٧ - وقعت قافلة عسكرية مؤلفة من (٤) سيارات حربية وسيارة خفيفة (جيب) في كمين نصبه لها المجاهدون في الطريق الواصل بين (القالة) و(عنابة) ، وألحقت بالعدو خسائر جسيمة ، فقد انقلبت سيارتان على حافة الطريق وتحطمتا وألحقت أيضاً خسائر بالسيارتين الباقيتين وبسيارة - الجيب - وقد قتل من قوات العدو (١٥) جندياً وجرح أكثر من (١٥) جندياً آخر ، هذا ولم تلحق بقواتنا أية خسارة .

٤ - وفي يوم ٦ أفريل - نيسان - ١٩٥٧ . هاجم فوج من المجاهدين في الساعة الخامسة مساء مركزاً عسكرياً للعدو على بعد (١٠ كيلومترات) من (هنشير السعيدي) بالمكان المسمى (قلعة سيدي السعيد) . واستمر تبادل إطلاق النار لمدة ساعة ، وأسفر عن

قتل(١٥) جندياً إفرنسياً ـ منهم الحارس ـ وانسحب جنودنا سالمين .

٥ ـ وفي ليلة ٨/ ٤/ ١٩٥٧ ـ احرقت فرقة من رجالنا مدرسة (بني خيار) الافرنسية التي استخدمها العدو مقراً لفرقة له حتى يشن منها غاراته على المدنيين العزل .

ولاية الأوراس

(ناحية بريكة)

١ ـ في يوم ١٢ /٣/ ١٩٥٧ . وقع اشتباك بين الجنود الافرنسيين وفرق من رجال جيش التحرير الوطني في الساعة الرابعة بعد الظهر بجبل (أولاد سلطان ـ ضواحي بريش) قتل أثناءه (٨٧) جندياً افرنسياً وجرح عدد كبير كما أصيب أحد المجاهدين بجراح خفيفة . هذا وقد استولى المجاهدون على صندوق كبير فيه (٥٠) قنبلة من قنابل مدافع الهاون ورشاشة وكمية من الأدوية تقدر قيمتها بمبلغ (٦٠) ألف فرنك تقريباً .

٢ ـ في ١٣/٣/١٩٥٧ . هاجم المجاهدون مركزاً عسكرياً ببلدة (بريكة) فقتلوا (٣) جنود إفرنسيين ، وجرحوا (٧) آخرين ورجعوا سالمين .

٣ ـ في ليلة ٢٣/٣/١٩٥٧ . قام رجال جيش التحرير الوطني بتطويق بلدة (بريكة) ووجهوا نيران بنادقهم الرشاشة الى المراكز العسكرية ، فقتلوا (٦) افرنسيين وجرحوا (١١) آخرين بجراح مختلفة ، واختطفوا من وسط القرية دورية عسكرية افرنسية تتكون من (٦) جنود حاملين أربعة بنادق حربية من نوع (ماس) ورشاشتين من نوع (ماط) ثم انسحبوا بسرعة سالمين غانمين .

٤ ـ في ٢٤/٣/١٩٥٧ ـ ليلاً ـ هوجمت المراكز العسكرية

الافرنسية التالية : (بوطالب ـ أولاد نجاح ـ مقاوس ـ روس العيون) .
ونجحت فرقنا المسلحة في قتل حارس مركز (روس العيون العسكري) و(١٥) جندياً من جند اللفيف الأجنبي ، وإتلاف جميع أسلاك الكهرباء التي تمد بلدة (بريكة) بالقدرة الكهربائية . فعاشت المدينةكلها ليلة من الظلام الدامس . وأصيب مجاهدان اثنان بجراح خفيفة .

(ناحية سطيف) .

١ ـ في ١٩٥٧/٣/٢٥ ـ وقع اشتباك في جبل (المعاضيد) قتل أثناءه (٢٠) جندياً افرنسياً من بينهم ضابطان (أحدهم برتبة نقيب ـ كابتن ـ والآخر برتبة ملازم أول ـ ليوتنان) . وجرح عدد كبير من الجنود الافرنسيين . وغنم المجاهدون رشاشتين وبندقية حربية (نوع كارابين) .

٢ ـ في ١٩٥٧/٣/٢٦ . انضم الى صفوف جيشنا (٣٠) جندياً إفرنسياً كانوا قد فروا من أحد المراكز العسكرية المجاورة لمدينة (سطيف) مزودين بأسلحتهم الآلية (الاوتوماتيكية) الحديثة . من بينها (٣) مدافع هاون (عيار ٦٠ مم) .

٣ ـ في يوم ١٩٥٧/٣/٢٧ . اشتبكت فرق من جيش التحرير الوطني مع قوات الاحتلال بجبل (المعاضيد) واستمر القتال في شدة وعنف مدة (٩) ساعات ، وأسفر عن مقتل (١٥٠) جندياً افرنسياً وجرح عدد كبير . ومقابل ذلك ، استشهد (٧) مجاهدين وجرح أربعة آخرون بجراح بالغة .

٤ ـ في يوم ١٩٥٧/٣/٢٨ . نصبت دورية من جيش التحرير الوطني كميناً لسيارة عسكرية من نوع (جيب) على بعد ثلاثة أميال من

قرية (راس الوادي ـ توكفيل) فقتلت جميع ركابها ومن بينهم ضابطان (الأول برتبة نقيب ـ كابتن ـ والثاني برتبة رائد ـ كومندان ـ يعمل في شركة الطيران الافرنسية ـ ايرفرانس) . وأخذت جميع أسلحتهم ، وأحرقت السيارة .

٥ ـ في يوم ١٩٥٧/٣/٢٩ . هرب ثلاثة جنود إفرنسيين من اللفيف الأجنبي من مركز (برج الغدير) بناحية (سطيف) والتحقوا بصفوف جيش التحرير ، وقد حملوا معهم أسلحتهم ومدفعين رشاشين انتزعوهما من سيارة نصف مدرعة (هاف تراك) كانوا قد استخدموها عند فرارهم وأحرقوها على بعد عشرة كيلومترات من (برج الغدير) .

٦ ـ في يوم ١٩٥٧/٣/٣٠ ـ وقعت بناحية (بو سعادة) بجبل (أم حارقة) معركة عنيفة لمدة عشرين ساعة ، نجح المجاهدون فيها بقتل (٣٢٠) جندياً افرنسياً ، وجرحوا (٥٠) آخرين كما أسقطوا طائرة مقاتلة ، وأحرقوا عربة مدرعة ، وغنموا (٤ ـ مدافع هاون) و(٨ ـ بنادق رشاشة من نوع ٢٤) و (٣٥ بندقية حربية) وكمية كبيرة من الطلقات والأدوية .

٧ ـ في ١٩٥٧/٤/١٢ ـ إشتبكت كتيبة من كتائب جيش التحرير الوطني المرابطة (بجبل سويلان) الواقع بالقرب من (سوق أهراس) مع القوات الافرنسية المدعمة بنيران المدفعية الثقيلة ، والعربات المدرعة والطائرات المقاتلة . واستمرت المعركة لمدة ثلاث ساعات أسفرت عن إسقاط طائرتين (من نوع ت ـ ٢٦) وإصابة طائرة استطلاع أخرى مع تدمير عربتين مدرعتين وعربة خفيفة (جيب) . وقد أصيب ستة من رجالنا بجراح خفيفة .

ولاية الشمال

١ ـ في ١٩٥٧/٣/١٧ . وقع اشتباك بين قواتنا وبين ثلاث فرق للعدو ، دام ساعتين ، وقتل أثناءه للعدو (٤) قتلى وجرح (٧) جنود ، وغنمت قواتنا كمية من القنابل ولم يصب أحد منها .

٢ ـ في ١٩٥٧/٣/١٨ . قامت قوات العدو بعملية (تطهيرية) في الجهات الواقعة على بعد عشرة كيلومترات من (قالمة) واصطدمت باحدى فرقنا فوقع اشتباك لمدة عشر ساعات ونصف بصورة مستمرة ، وشاركت فيه مدفعية العدو وثماني طائرات ـ من بينها طائرتان نفاثتان ـ وأسفر الاشتباك في النهاية عن قتل (٣٤) وجرح (٤٠) من جند العدو ، وإسقاط طائرة وإصابة ثانية ، كما غنمنا جهازاً لاسلكياً (للاذاعة بقوة ٣٠٠) وناقلتين استعملناهما لنقل الأسلحة الثقيلة التي غنمناها من العدو ومعها كمية كبيرة من الذخائر الحربية . وكان من بين قتلى العدو ضابطان برتبة ملازم (ليوتنان) ورقيب أول (سرجان شيف) . واستشهد من المجاهدين رجلان وجرح ثالث .

٣ ـ في ١٩٥٧/٣/٢١ . اشتبكت دورية عسكرية افرنسية مع احدى فرقنا في المكان المسمى (وادي العار) على بعد ثلاثين كيلومتراً إلى الجنوب ـ الشرقي من (وادي الزناتي) فقتل من قوة العدو ـ(٨) جنود وجرح ثلاثة، ولم يصب أحد من المجاهدين بأذى .

٤ ـ في ١٩٥٧/٣/٢٤ . وقع اشتباك في (دوار عزابة) مع فرقة من العدو ويبلغ عدد أفرادها (٢٥٠) جندياً ، وشاركت في هذا الاشتباك ثلاث طائرات ، واستمر تبادل إطلاق النار لفترة خمس ساعات ، أسفر عن قتل (١٥) جندياً للعدو من بينهم ضابط برتبة ملازم ، كما جرح للعدو (٨) جنود . وغنم المجاهدون (٤) قنابل

مسيلة للدموع وقنبلة مضيئة . واستشهد اثنان من المجاهدين وأصيب مجاهد ثالث بجروح خفيفة .

٥ ـ في ١٩٥٧/٣/٣١ ـ هاجم الفدائيون قرية (روبيرتسو) الواقعة على بعد عشرة كيلومترات الى الجنوب من (عزابة) وقتلوا الخائن (معطى الله رجم ـ القائد) .

ولاية الجزائر .

آ ـ معارك واشتبكات .

١ ـ وقعت معركة دامية بين القوات الوطنية وقوات افرنسية ضخمة بناحية (تابلاط) واستمر القتال لمدة (٦) ساعات متواصلة استخدم فيها الافرنسيون سلاح الطيران والمدفعية الثقيلة والغازات ، وأسفرت المعركة عن قتل (٣٧) جندياً افرنسياً وجرح (٢٠) آخرين ـ ثم أسر بعضهم . وغنم المجاهدون كمية كبيرة من الطلقات (الخرطوش) واستشهد مجاهد وجرح مجاهد آخر .

٢ ـ هجمت مجموعة من المقاومين على معسكر افرنسي بناحية (سور الغزلان) فقتلوا فيه حارساً ، وجرحوا (٣) آخرين ، وأضرموا النار في سيارة نقل كبيرة (شاحنة) وقتلوا سائقها الافرنسي ، وأصابوا رئيس الحظيرة (المرآب) بجراح بالغة .

٣ ـ وقع اشتباك عنيف بشمال (ماسكارى) بجنوب (مهلمة) ولم تذكر خسائر الافرنسيين .

٤ ـ وقعت قافلة عسكرية افرنسية في كمين نصبه لها رجال المقاومة بناحية (باليسترو) فقتل (١١) جندياً افرنسياً ، وجرح عدد كبير من بينهم ضباط . واستولى رجال المقاومة على كمية وافرة من الأسلحة الآلية ـ الأوتوماتيكية ـ وأحرقوا سيارة من نوع (ج . م . س) وأخرى من نوع (جيب) .

ب ـ أعمال الفدائيين :

ـ أطلق فدائي النار على موظف أوروبي ، فأصابه بجراح قاتلة ، وتمكن الفدائي من النجاة .

٢ ـ ألقى فدائي قنبلة يدوية على مقهى أوروبي بمدينة الجزائر ، فأحدثت القنبلة أضراراً جسيمة .

٣ ـ أطلق فدائي النار على موظف أوروبي بمدينة (البليدة) فأصابه بجراح قاتلة .

ج ـ إتلاف وتخريب :

أضرم رجال المقاومة النار في (٣) مزارع أوروبية بين (البليدة) و(المليانة) ودمروا فيها كل آلات الحراثة .

ولاية القبائل

أ ـ معارك واشتباكات .

١ ـ هاجم فريق من مجاهدي جيش التحرير مركز حراسة المطار بمدينة (بجاية) واستمر اطلاق النار عدة ساعات ، ولم تذكر وكالة الأنباء شيئاً عن خسائر الجنود الافرنسيين .

٢ ـ اصطدمت قوة من مجاهدي جيش التحرير مع دورية عسكرية افرنسية في (سيدي عيش) فألحقوا بها خسائر فادحة في الأرواح والعتاد .

٣ ـ وقعت دورية عسكرية في كمين نصبه لها رجال المقاومة بمكان يدعى (لعزيب آيو) قرب (تيزي ـ أوزو) فقتل (١٣) جندياً وأسر ثلاثة .

٤ ـ اشتبكت قوة من المجاهدين مع قوات الأحتلال بناحية

(تيزي ـ غنيف) واستمر الاشتباك بعنف وقوة عدة ساعات ، تكبدت القوات الافرنسية فيه خسائر فادحة .

ب ـ أعمال الفدائيين :

١ ـ أطلق فدائي النار على سيارة مدنية قرب (تيزي ـ أوزو) فأصاب موظفاً افرنسياً بجراح بالغة .

٢ ـ أطلق فدائي النار على ضابط من الشرطة (كوميسير) في (تيزي ـ أوزو) فأرداه قتيلاً .

ولاية شمال قسنطينة .

آ ـ معارك واشتباكات :

١ ـ وقع اشتباك عنيف بناحية (طاهر) وجنوب (جيجل) خسرت فيه قوات الاستعمار قتيلاً ، وغنم المجاهدون كمية ضخمة من الأسلحة والذخائر الحربية .

٢ ـ وقعت قوة من (الجنود السنيغاليين) في كمين نصبه لها رجال المقاومة بناحية (القالة) فقتل (١٥) جندياً ، ودمرت سيارة مدرعة .

ب ـ أعمال الفدائيين :

ألقى فدائي قنبلة يدوية داخل مركز عسكري ببلدة (فج مزالة) فأصيب ستة من الجنود الافرنسيين بجراح بالغة . كما قتل فدائي أوروبياً بمدينة (عنابة) وتمكن من النجاة .

ولاية أوراس

آ ـ معارك واشتباكات :

١ ـ هاجم فريق من مجاهدي جيش التحرير معسكراً لقوات

الاحتلال قرب (الجبل الأبيض) واستمر القتال طوال الليل ، وأسفر عن مقتل (٤٥) جندياً فرنسياً وجرح (٥) منهم . وغنم المجاهدون رشاشاً ثقيلاً (عيار ٢٤) وكذلك غنموا (٣٧) بندقية حربية وكمية كبيرة من الذخائر ، واستشهد مجاهد وجرح خمسة .

٢ ـ وقع اشتباك عنيف بين قوة من مجاهدي جيش التحرير والقوات الإفرنسية المدعومة بنيرانِ المدافع الثقيلة والطائرات ـ بجبال أوراس ـ تكبدت فيه القوات الإفرنسية خسائر كبيرة ، وغنم المجاهدون (٣٥) بندقية .

٣ ـ وقعت معركة (بدوار المائدة ـ شرقي مدينة سدراته) واستمرت طوال ثلاثة أيام بين فريق من مجاهدي جيش التحرير وقوات كبيرة من الإفرنسيين المدعومين بالمدفعية والطائرات ، وأسفرت المعركة عن قتل (٢٥) جندياً إفرنسياً وإصابة عدد كبير بجراح مختلفة ، وأسقطت (٤) طائرات إثنتان منها من نوع (موران) وإثنتان من نوع (ب ـ ٢٦) . وأرغمت ثلاث طائرات أخرى على الهبوط اضطرارياً في الملعب البلدي لمدينة (سدراته) وغنم رجال جيش التحرير كمية من المواد الطبية .

٤ ـ وقعت قافلة عسكرية في كمين نصبه لها المجاهدون بمكان يدعى (الزيتونة) فقتل (٢٥ جندياً إفرنسياً ودمرت (٣) سيارات) .

٥ ـ وقع إشتباك قرب (بقرزة) إحدى نواحي (باتنة) فقتل فيه (٧) جنود إفرنسيين وجرح (١٥) جندياً . ودمرت (٣) سيارات نقل كبيرة (ج . م . س) .

٦ ـ نصب المجاهدون كميناً لدورية عسكرية تحملها (٣)

سيارات بين (وادي الطاقة) و (تازملت) فدمرت السيارات وقتل كل من كان فيها .

ب ـ أعمال الفدائيين :

١ ـ خرج قطار عن الخط الحديدي بين (سوق هراس) و (تبسة) بسبب تخريب قام به رجال المقاومة الذين لم يلبثوا أن أمطروا القطار بنيران رشاشاتهم لمدة (٤٠) دقيقة ، ولم تذكر الخسائر .

٢ ـ هاجمت قوة من الفدائيين قرية (مسكيانة) وإختطفوا (٥) من جنود (القوم) .

ولاية وهران

ا ـ معارك وإشتباكات :

١ ـ نشبت معركة طاحنة بناحية (ندرومة) دامت ساعتين وأسفرت عن مقتل (٢٥) جندياً إفرنسياً وجرح (٥) آخرين . وغنم رجال جيش التحرير (٣) بنادق رشاشة و (١٣) بندقية حربية (نوع ٢٤) .

٢ ـ أخبرت محطة (طنجة) عن معركة دامية وقعت (بجبال تلمسان) دام فيها القتال عدة ساعات وقتل فيها (٥) من الجنود الإفرنسيين ، وجرح (٣٠) .

٣ ـ وقع إشتباك بين مجاهدي جيش التحرير ،وقوة عسكرية إفرنسية ، بالقرب من قرية (فم الحصان) على حدود (موريتانيا) فقتل أثناءه عدد كبير من الجنود الإفرنسيين .

٤ ـ نشبت معركة قاسية بجبال (أولاد ميمون) بين قوات من مجاهدي جيش التحرير ، وبين قوة إفرنسية كبرى مدعومة بالمدفعية

الثقيلة والطائرات . ونجح المجاهدون في إسقاط طائرة عمودية (هيليكوبتر) مات فيها (١٢) جندياً من جنود المظلات .

٥ ـ وقع إشتباكان عنيفان غربي مدينة (تلمسان) قتل فيهما (٨) جنود إفرنسيين ، وأسر ثلاثة آخرون ، وتحطمت لهم سيارة نقل كبيرة .

ب ـ أعمال الفدائيين :

١ ـ ألقى الفدائيون قنابل يدوية داخل مقهى أوروبي بمدينة تلمسان ، فقتل (٢٧) أوروبياً ، وجرح (٢٤) .

٢ ـ هاجمت قوة من الفدائيين قرية (المشرية) . وأضرموا النار في عدد من المتاجر الإفرنسية الكبيرة . كما أحرقوا محطة لتوزيع البترول. وألقوا قنبلتين أمام (برج الحاكم العسكري) . كما قذفوا داخل منزل موظف إفرنسي كبير ، بقارورة من النفط ، فتسبب كل ذلك بخسائر فادحة جداً لم يتم تقديرها .

٣ ـ إختفى بعض الفدائيين في مزرعة أوروبية في إحدى ضواحي (وهران) بهدف إغتيال صاحب المزرعة ، وعندما أقبل بصحبة الإفرنسيين ، أطلقوا عليهم النار فقتل إثنان وجرح ثالث .

٤ ـ ألقى فدائي قنبلة يدوية أمام صيدلية أوروبية (بوهران) فقتل الصيدلي وجرح ستة من الأوروبيين . وفي (وهران) أيضاً قام فدائي بقتل جندي إفرنسي وجرح آخر .

٥ ـ أطلق الفدائيون النار على (٣) سيارات أوروبية قرب مدينة (بيريقو) فقتل معمران أوروبيان ، وأصيب ثالث بجراح بالغة . كما قام فدائي بإطلاق النار على أوروبي في مدينة (وهران) فأصابه بجراح بالغة .

ج - إتلاف وتخريب :

أضرم رجال المقاومة النار في ثلاث مزارع (بوهران) وفي مستودع (للحلفا) بميناء الغزوات فكانت الخسائر فادحة . كما أحرقوا مزارع أوروبية قرب (سيدي بلعباس) .

تبرز الصفحات القليلة السابقة إستراتيجية (المجاهدين الجزائريين) بكل أبعادها ، فالعمليات التي تم عرض لمحة عنها تمثل نشاطاً عاماً ، يمتد على الصفحة الجغرافية للقطر الجزائري بكامله . وهي عمليات صغرى في معظم الأحيان ، غير أن كثرتها كافية لإرهاق العدو ، ووضعه تحت الحذر الدائم (إنها إستراتيجية وخز الإبر) التي تستنزف من قدرة العدو وروحه المعنوية بأكثر مما تحدثه العمليات الكبرى ، وهي على صغرها أيضاً تستنزف قوة العدو المادية ، فقتل جندي أو عشرة جنود لا يشكل شيئاً بالنسبة لحجم القوات الإفرنسية المضخمة ، غير أن قتل جندي في كل مكان يشكل في المجموع العام رقماً كبيراً لا يستهان به . وبهذه الإستراتيجيات المتداخلة والمعقدة (وخز الإبر) و (الإستنزاف) و (العزل) وقع (الثور الجريح) في حالة من الهياج ، فراح يضرب ضرب عشواء ، والأمر الذي زاد من موقفه سوءاً . فعند ما يتساوى الموت مع الحياة ، يهرب الإنسان من الموت الأدنى إلى الموت الأعلى ، من الموت من دون غاية أو هدف إلى السعي للموت من أجل غاية نبيلة وهدف شريف . وكان جيش التحرير (يمثل بمجاهديه وفدائييه ومسبليه) الغاية النبيلة والهدف الشريف فلا غرابة في أن تتعاظم قوات جيش التحرير الوطني بإستمرار . ، وقد كان لهياج الثور الجريح (الإستعمار الإفرنسي) دور لا ينكر في دعم هذا التطور (على غير إرادة من الإستعماريين دونما شك أو ريبة) .

٥ ـ معركة القلاب (١٩٥٨)(*)

كان يوماً من أيام شهر (أوت ـ آب ـ ١٩٥٨) ، وفي مكان يدعى (القلاب) على مقربة من مدينة (باتنة) حيث نصب المجاهدون كميناً لقافلة تموين عسكرية تحرسها دبابتان ونصف مزنجرة ـ هاف تراك ـ وقد إحتل كل مجاهد موقعه المحدد له وفقاً للمخطط الموضوع : المدفع الرشاش (٢٤) لإقتناص الدبابة الأمامية وقد تم تمركزه في موقع مرتفع يهيمن على الطريق الذي تسلكه القافلة ، كما تمركز مجاهدان مسلحان ببندقيتين من نوع (قاران) لإقتناص الدبابة الخلفية . وانتشرت بقية قوة المجاهدين على حافتي الطريق ، ومعظمهم يحمل الرشاشات القصيرة ، وبما أن القوافل الإفرنسية لم تكن تتحرك إلا تحت حماية الطائرات ، فقد أتقن المجاهدون تمركزهم ، في الخنادق ، ووراء الأشجار ، وأجادوا عملية التمويه حتى كان من الصعب على أي مراقب ملاحظة أي شيء غير عادي في منطقة الكمين .

وبينما المجاهدون في صمتهم وتحفزهم ، دوى من فوقهم هدير

(*) المرجع : مجلة (المجاهد) ٢٥ / ٢ / ١٩٥٩ بعنوان (معارك وأحداث) .

طائرات الاستطلاع التي كانت تسبق دائماً القوافل ، واختلط ذلك بزمجرة محركات السيارات مؤذنة بإقتراب قافلة العدو من موقع المجاهدين . وتوترت أعصاب الرجال الذين وضعوا أصابعهم على الزناد ، وحبسوا أنفاسهم بانتظار اللحظة الحاسمة التي تنطلق فيها طلقات الأسلحة الآلية (الأوتوماتيكية) المكلفة بعزل الدبابتين الأمامية والخلفية . وفجأة ، ارتفع صوت رامي الرشاش مجلجلاً في وسط السكون المطبق (الله أكبر) وفي الوقت ذاته ، انطلقت الطلقات من الرشاش (٢٤) وهي تصفر بصوت حاد ، وتنفست الرشاشات الصامتة الصعداء بعد طول انتظار ورافقتها كل **الأ**سلحة مشكلة جوقة موسيقية متكاملة : نيران البنادق المختلفة ، والقنابل اليدوية وهي تنهمر على سيارات العدو . وبوغت الجنود الإفرنسيون مباغتة كاملة ، فارتفعت منهم صرخات الرعب وصيحات الإستغاثة بينما كانت سياراتهم قد تحولت إلى مشاعل ملتهبة .

تقدم المجاهدون بعد ذلك فجمعوا الأسلحة التي رميت على الأرض ، أو رقدت فوق جثث القتلى ، وكانت دهشة المجاهدين مذهلة عندما بوغتوا وهم يجمعون الأسلحة بظهور أربع فتيات إفرنسيات خرجن من خندق وراء الطريق ، لقد كن في القافلة ، وليس هناك من يعرف كيف نجون من الرصاص والحريق . وتقدمت إثنتان منهن مرتعشات وصاحتا : « لا تقتلونا ! نحن نسوة ! . . » وأجابهن مجاهد : « لا عليكن ! نحن ثرنا لنحارب الرجال لا النساء ! » هذا فيما كان مجاهد آخر يأخذ منهن السلاح الذي كن يحملنه . عندها ، وعندها فقط ، لاحظ المجاهدون أن الدبابتين اللتين كانتا في مقدمة القافلة قد لاذتا بالفرار ، متوجهتين إلى بلدة ـ سريانة ـ فحمل المجاهدون غنائمهم وانسحبوا مسرعين .

ولم تمض ساعة أو بضع ساعة ، حتى زحفت إلى مكان الحادث قوات برية ضخمة تدعمها القوات الجوية . واكتفت من المعركة بالانسحاب حاملة معها جثث القتلى الإفرنسيين الذين شوههم الحريق ، وإختلط رماد بعضهم بحطام السيارات . وأفسح المجال للطيران والمدفعية الثقيلة للانتقام ، فصبت هذه الأسلحة حممها على الجبال والمداشر (القرى) القريبة من (القلاب) . وقذفت عليها آلاف القنابل طوال ساعات من غير توقف . وترددت أصداء الإنفجارات بقوة حتى حسب المجاهدون أن كثيراً من القرى قد أبيدت وسكانها من عالم الوجود . ولشد دهشتهم عندما اكتشفوا أن أضرار القصف لم تتجاوز حدود قتل بعض الحيوانات .

تجمعت فئة من معمري بلدة (سريانة) في صباح اليوم التالي ، وقامت بتظاهرة أمام مركز ضابط الناحية احتجاجاً على مقتل جنودهم ، ومقتل بعض المعمرين في الكمين (ولم يكن المجاهدون يعرفون حتى تلك اللحظة بأن القافلة كانت تحمل معها بعض المعمرين) . وطالب المتظاهرون بالانتقام من المدنيين ، فأذن لهم الضابط في أخذ الثأر من المدنيين الجزائريين العزل . ووعدهم بأنه سيعمل وجنوده على مطاردة (فرقة الفلاقة) التي تتجول في الناحية ، وإلقاء القبض عليهم .

أما المجاهدون ، فقد ساروا طوال الليل حتى نزلوا بجبل (مستوى) الواقع إلى جنوب (باتنة) حيث توجد مواقعهم الحصينة وقواعدهم القوية . ومن هناك أرسل المجاهدون دورية إلى إحدى القرى المجاورة للاتصال هناك مع (موزع البريد) واستلام الرسائل التي كان من بينها رسالة بعث بها المسؤول في قسم الاتصال والأخبار

بتلك الناحية ، يقول فيها : « **علمت من مصدر مشتبه فيه بأن القوات الاستعمارية تستعد للقيام بعملية تفتيش واسعة النطاق بجبل - كاسرو - ويظهر لي أن هذه خدعة استعمارية قصد بها تضليلنا حتى لا نكون على استعداد ، خذوا حذركم وكونوا على أهبة . . .** » .

شرع المجاهدون من فورهم بالعمل ، فتزودوا بالماء والمواد التموينية وتنظيف الأسلحة وإعداد الذخائر ، وكانت الريح في تلك الليلة شديدة عاصفة حتى كان من العسير أن يتحدث المجاهدون بعضهم إلى بعض ، إلا بالصراخ وبالصوت المرتفع . وما أن أزفت الساعة الثالثة صباحاً حتى كان كل مجاهد قد احتل مكانه ، ونظمت الحراسة . وانصرف الآخرون لأخذ قسط من النوم والراحة . فكانوا يرقدون كالذئاب - عين مغمضة وعين ساهرة - واستلقى بعضهم على التربة الكريمة الطيبة وقد ضموا أسلحتهم الغالية إلى صدورهم .

في تلك الليلة ذاتها ، جمع الإفرنسيون كل ما قدروا على حشده من القوى والوسائط القتالية . فحشدوا عشرة آلاف جندي أرسلوهم تباعاً بفرق صغيرة إلى الجبل لتنظيم حصار محكم حول (جبل مستوى) الذي اعتصم فيه المجاهدون . ولكن ، وفي الوقت ذاته ، قامت قيادة العدو بتنفيذ عملية خداعية ، حيث أرسلت عشر دبابات نحو جبل (كاسرو) وتحركت هذه الدبابات بشكل علني مثيرة الكثير من الضجيج حتى تخدع المجاهدين وتقنعهم بأن الإفرنسيين يوجهون حملتهم إلى جبل (كاسرو) .

وإمعاناً في الخداع ، فقد أرسلت القيادة الإفرنسية رتلاً طويلاً من عربات النقل الكبيرة التي سارت على طريق الدبابات ذاته ، وأحصى مراقب المجاهدين عددها فكان (ثلاثمائة سيارة) . غير أن المجاهدين اكتشفوا بسرعة أن تلك العربات كانت خالية فارغة ، إلا

من سائقيها . وتأكد المجاهدون من حقيقة مناورة العدو الخداعية . . . . لقد كان من الصعب على العبقرية الإفرنسية خداع هؤلاء المجاهدين الذين عمر الإيمان قلوبهم ، وملأت الخبرة بأساليب العدو عقولهم .

جمع قائد المجاهدين في (جبل مستوى) لمناقشة الموقف ، وتم الاتفاق على خطة الدفاع ، وعين لكل مجموعة من المجاهدين مواقعها ، وأصدر للمجاهدين توصياته وتعليماته الأخيرة : « الاقتصاد بالذخيرة » ثم أعطاهم كلمة السر لليلة القادمة .

بدأت خيوط الفجر الأولى في ملامسة رؤوس الجبال . وكانت أفواج المجاهدين الأربعة قد أنهت تمركزها . ولم تأزف الساعة السادسة صباحاً حتى أقبلت الطائرات المقاتلة وهي تحلق فوق المجاهدين على ارتفاع منخفض حتى لتكاد تلامس رؤوس الأشجار ، واستمرت طائرات الاستطلاع في جولاتها فيما كانت القوات الإفرنسية تتابع تقدمها نحو المجاهدين وقد اتخذت تشكيل القتال : رماة الرشاشات القصيرة في النسق الأول ، وخلفهم المشاة يحملون بنادقهم المتنوعة ، ويأتي في النسق الثالث زمر المدافع الرشاشة وإلى جانبها زمر مدافع الهاون .

كان لزاماً على المجاهدين الامتناع عن إطلاق رصاصهم حتى اقتراب أعدائهم منهم لمسافة لا تزيد على الخمسين متراً . وكانت القوات الإفرنسية تتقدم بوجل وخطوات مترددة ، تدفعها كالسياط أصوات القادة الإفرنسيين ـ إلى الأمام ، تقدم (آفانس) وذلك بالرغم من حجم القوة الإفرنسية الكبير الذي ضم أكثر من عشرة آلاف مقاتل تدعمهم الدبابات والمدفعية الثقيلة والطائرات المقاتلة الحديثة .

وكان المجاهدون وهم في صياصيهم ، يحبسون أنفاسهم في متابعة المشهد الذي يرتسم على الأرض ، تحت سمعهم وبصرهم ، وينتظرون اللحظة المناسبة . . ولم يكن من الصعب عليهم ملاحظة الحالة النفسية المتدهورة لقوات العدو ، والتي عبرت عنها تحركاتهم المضطربة وأيديهم المرتعشة التي كادت تفلت الأسلحة وتتركها لتسقط على الأرض .

دقت لحظة فتح النار ، وانطلقت أصوات المجاهدين بالتهليل والتكبير (الله أكبر) و (العزة لله والمسلمين) و (لتحيا الجزائر) واختلطت أصوات المجاهدين بأزيز رصاصهم ودوي إنفجار قنابلهم ، وسقط النسق الأول من القوات الإفرنسية بين قتلى وجرحى - وهم حملة الرشاشات القصيرة ، وهيمن الذعر على الآخرين ، فانبطحوا أرضاً ، حاول أحد الضباط تحريض جنوده على الصمود ، ودفعهم إلى الزحف . فأردته رصاصة من رصاصات المجاهدين قتيلاً على الفور . وكان في مواجهة أحد المجاهدين جندي من جنود اللفيف الأجنبي ومعه جندي آخر من أصل جزائري يعمل (ملقماً ـ شارجور) وقد ألح هذا الجندي بإطلاق النار على المجاهدين ، فكان لا بد لهؤلاء من الإهتمام بأمره .

فعمل مجاهد على مشاغلته بالنار . بينما زحف مجاهد ثانٍ من وراء الأشجار لتحديد موقع هذا الرامي ، ولم يكن من الصعب إكتشاف مكانه بفضل النار المتدفقة من فوهة رشاشته ، وما أن خر جندي اللفيف صريعاً مقطع الحشى ، حتى أخذ معاونه الجزائري (الملقم) في رفع يديه والتلويح بهما طالباً الإستسلام . ومنحه المجاهدون ما يريده من الأمان . وساد السكون بضع دقائق ، حمل

أثناءها الجندي الجزائري سلاح رفيقه (الرشاش) وما تبقى من مخازن الذخيرة ومضى نحو إخوانه المجاهدين . غير أنه لم يكد يمضي لمنتصف المسافة القصيرة التي تفصله عن المواقع الحصينة للثوار المجاهدين ، حتى إرتفعت أصوات بعض جنود اللفيف الأجنبي الكامنين قريباً منه وهم يصيحون به : « قف ! قف ! ـ آديت » . وإلتفت الجندي الجزائري إلى مصدر الصوت ، وأفرغ رصاصه ، فعاد السكون من جديد ، وصمتت الأصوات . ولكن لم يكد الجندي الجزائري يفرغ من عمله ، حتى كانت طائرة استطلاع تمر من فوق رأسه ، فرماها برصاص خزان كامل من رشاشه . إلا أنها قذفته بقنبلة ـ روكيت ـ مزقت جسمه وحطمت الرشاش الذي كان في يده .

رأى المجاهدون قطع السلاح المتناثرة على الأرض ، أو الراقدة على جثث قتلى الإفرنسيين . فخرجوا من مكامنهم ، وأسرعوا نحوها لالتقاطها ، وكانوا خمسة من المجاهدين رغبوا في استبدال بنادقهم القديمة ، بأسلحة حديثة ، غير أنهم لقوا مصرعهم جميعاً ، وكانوا يعرفون مدى الخطر الذي سيتعرضون له عندما يغادرون تحصيناتهم ، ويتقدمون إلى منطقة باتت حتماً تحت مراقبة العدو ، وتحت رحمة نيرانه . غير أن الرغبة في الحصول على سلاح أحدث وأقوى دفعتهم إلى التضحية بوجودهم في محاولتهم الخطيرة .

وساد السكون بعد ذلك برهة من الزمن ، أخذت بعدها قوات العدو في الإنسحاب ، وإعادة تنظيم صفوفها ، مفسحة المجال أمام الطيران والمدفعية الثقيلة الإفرنسية للاضطلاع بدورها في تدمير قوات المجاهدين . وإنصب على الجبل سيل منهمر من القنابل المتنوعة :

قنابل محرقة وأخرى متفجرة وقنابل الغازات . فكان لا بد من الإنسحاب ، وأخذ المجاهدون في الإستعداد لمغادرة هذا الجو الجهنمي ، لاسيما بعد أن نفد الماء من المجاهدين ، وتناقصت كمية الذخائر من بين أيديهم . وكان المجاهدون يعرفون أن قوات العدو قد شكلت سياجاً أحاط بمنطقة القتال كلها . فكان لزاماً تنظيم عملية إختراق لفتح ثغرة بين قوات العدو ، والمرور منها .

كلف الفوج الثاني بقيادة (سي بلخير) ليكون رأس الحربة في عملية إختراق خط النار ، واصطدم الفوج بوحدة إفرنسية كانت تحرس الجهة التي إختارها (سي بلخير) للمرور منها . وجاءت بعد ذلك قوة الفوج الأول الذي كلف بنقل الجرحى وإخلائهم من أرض المعركة ، وجاءت بعدهم بقية قوة المجاهدين الذين كثيراً ما اضطروا للإشتباك مع جند العدو بالسلاح الأبيض . وقد ذهل المجاهدون لحجم الخسائر التي تكبدها العدو ، إذ كانت كل خطوة من خطواتهم تصطدم بجثة قتيل من قتلى الأعداء . ولما أظلم الليل ، تجمعت أفواج المجاهدين في نقطة الازدلاف (مكان الإتصال) الذي تم الإتفاق عليه في الليلة الماضية .

أخذ المجاهدون قسطاً قليلاً من الراحة ، ثم عادوا أدراجهم إلى ميدان المعركة ، للتعرف على الشهداء الأبرار ، وأداء الواجب تجاههم بمواراتهم التراب .

مضت على المعركة تسعة أيام عندما وصل إلى مقر قيادة مجموعة المجاهدين إثنان من المجاهدين وهما يحملان بندقيتين (من نوع ماص) وبارودة أمريكية (كارابين) ، وأخبرا القائد بأن طائرة عمودية (هيليكوبتر) قد سقطت محترقة غربي جبل (مستون)

وأن ربانها ـ قائدها ـ ما زال حياً . فتوجهت دورية على الفور نحو المكان ، ووجدت الطيار الإفرنسي وهو في حالة غيبوبة بعد أن نزفت دماؤه . وأركبه أحد المجاهدين بغلاً ، وقفل به راجعاً ، ولكن لم يبلغ الطيار مركز المجاهدين إلا وفارقته الحياة .

* * *

٦ ـ ماذا وقع بعد الكمين . . . (*)

وقع اشتباك عنيف بين ثلاث فصائل من جيش التحرير الوطني ، وبين قوة ضخمة من الوحدات الإفرنسية المدعمة بالدبابات والمدفعية الثقيلة والطائرات قاذفات القنابل والطائرات العمودية (الهيليكوبتر) وذلك على قمم جبال (ميمونة) غير بعيد من (بو سعادة) . وعلى الرغم من إشتعال الأرض بنيران القنابل البكتريولوجية (الميكروبية) السامة التي لم يتورع أعداء الإنسانية عن إلقائها على المجاهدين ، فقد إستطاعت قوات جيش التحرير أن تتفادى ضربات العدو ، وأن تنزل به أفدح الخسائر ، حيث سقط في ميدان المعركة مئات من جنود الإستعمار بين قتلى وجرحى ، وفيهم عدد كبير من الضباط على رأسهم النقيب ـ الكابتن ـ (سينكا) كما تحطمت ثلاث قاذفات قنابل وطائرتان عموديتان ، واحترقت جميعها في الجو بمن فيها .

وقد استمرت هذه المعركة الرهيبة من طلوع الشمس إلى الساعة التاسعة مساء ، حيث عاد الهدوء إلى ميدان المعركة ، وساد

(*) المرجع : مجلة (المجاهد) ٢٥ / ٣ / ١٩٥٩ .

الصمت ، إلا من الصراخ والأنين والأصوات الحزينة الشاكية تنبعث من جرحى الأعداء وهي تائهة مختنقة ، وبينما كانت قوات المجاهدين تنسحب مبتعدة عن ميدان المعركة ظهرت الطائرات وهي تدوي بهديرها في وحشة الليل لترسل أنوارها الكشافة فتضيء السماء ، وتساعد قوات العدو على إخلاء جرحاه وإحصاء قتلاه . وكان منظراً مثيراً قيام قادة الوحدات الاستعمارية بصب النفط على الجثث المبعثرة والرؤوس المتناثرة لقتلاهم ثم إشعال النار فيها ، وكان باستطاعة المراقب البعيد أن يرى سفوح جبال (ميمونة) وهي تحترق بجثث الأعداء ، في محاولة لإخفاء آثار الهزيمة المنكرة التي نزلت بهم .

* * *

لم تقف قصة الكمين عند هذه النهاية ، فإذا ما عجزت قوات الإستعمار عن مجابهة المجاهدين المسلحين فلا أقل من أن تنتقم من المدنيين العزل . وهكذا إتجهت وحدات العدو للبحث عن ضحايا بريئة تصب عليها نقمتها ، وتثأر منها لهزيمتها ، فوصلت عند العاشرة مساء إلى مضارب بعض البدو الرحل من قبيلة (أولاد سليمان) وهناك ، جمع الرجال الموجودون في الخيام ، وكانوا تسعة عشر رجلاً ، بينهم شيوخ عجز لا يستطيعون رفع أيديهم في الهواء ، وبعض الشبان ثم طفلان عمرهما (١٤) و (١٥) عاماً .

وأراد جند الإستعمار أن يظهروا أمام هؤلاء المدنيين العزل شجاعتهم التي فقدوها في ميدان المعركة ، فأخذوا يضربونهم بمقدم بنادقهم ويصيحون فيهم (أنتم فلاقة - عصاة) ثم أجبروهم على المبيت عراة طوال الليل ، والبرد القارص يعضهم بنابه ، ثم إقتادوهم

في الصباح إلى المركز العسكري في (دوسان) وهناك قسموهم إلى فئتين : فئة تضم الشبان الأقوياء وعدد أفرادها ستة شبان ، وفئة تضم الباقين وعددهم أحد عشر رجلًا . وبدأت عملية التعذيب بالوسائل التقليدية ، حيث تعرضت الفئة الأولى (فئة الشبان) لكل أنواع التعذيب ، من كهرباء وماء مضغوط وجلد وضرب مبرح ، إلخ . . . ثم أرغموهم على ارتداء الملابس العسكرية التي تظهرهم بمظهر جنود التحرير ، وعين أقواهم بنية ليكون رئيساً لهم ، ثم أمروهم برفع أيديهم في الهواء ، وأخذت لهم الصور (التذكارية) على هذا الوضع . وكان الهدف من ذلك تغذية أجهزة الإعلام والدعاية الإستعمارية ، والترفيه عن أرملة (الكابتن سينكا) التي كانت تشهد المنظر لتشفي غليل إنتقامها . ثم أخذوهم بعد ذلك ، وطافوا بهم على سكان القرية ـ إمعاناً في الإرهاب ونشر سياسة الرعب ـ ولم يتمكن مواطنو القرية المسلمون من إخفاء مشاعر السخط والإشمئزاز ، لهذه الأساليب القذرة . وفي المساء ، جمعوهم في ساحة مركز (دوسان) العسكري ، حيث قيدت أيديهم وأرجلهم ، وأطلق ثلاثة من الجلادين الإفرنسيين نار رشاشاتهم عليهم ، ثم أفرغوا رصاص مسدساتهم في رؤوس هؤلاء الأبرياء .

لم ينج أفراد الفئة الثانية (الشيوخ) من وحشية الإستعماريين الذين قذفوا بهم جميعاً في حفرة ملؤها الماء الآسن الذي يصل حتى مستوى بطونهم . وراح جند الاستعمار بالترفيه عن أنفسهم وذلك بقذف هؤلاء الشيوخ بالحجارة ، أو بغمر رؤوسهم بماء الحفرة ، حتى إذا ما أشبعوا رغبة التعذيب الجنونية في نفوسهم المريضة . غيروا طريقتهم ، وأخرجوهم إلى شمس الجنوب المحرقة ، وأمروهم بجمع المعاول والرفوش المتناثرة في ساحة المركز ، وطلبوا



(ليل الانتقام - كما تظهر في زاوية الصورة - بالافرنسية)

إليهم حفر حفرة كبيرة . وكان صوت الحديد المرتطم بالأرض يختلط بأنين الشيوخ العجز الضعفاء ، فيشكل لحناً حزيناً يثير الأسى ويبعث الألم . وعندما تجرأ أحد الشيوخ، وقد خارت قواه، فطلب جرعة ماء ، يطفيء بها نار أحشائه ، بادره جندي شجاع بلكمة قوية في بطنه قذفت به كالكرة وهو يتدحرج على أقدام إخوانه .

وكلما نال الإعياء من هؤلاء الضحايا المعذبين ، صاح بهم الجنود يأمرونهم بالإسراع في العمل وهم يوجهون إليهم الكلمات بالأيدي والرفس بالأرجل حتى نال الإعياء أخيراً من هؤلاء الجنود ذاتهم ، فذهبوا للراحة ، وأسلموا ضحاياهم إلى بعض الجنود (السنيغاليين) الذين أظهروا سخطهم على عمل زملائهم . وأبدوا نحو هؤلاء المستضعفين كثيراً من الرأفة والشفقة ـ باعتبارهم مسلمين مثلهم ، وبإعتبارهم خاضعين للإستعمار أيضاً ، فمكنوهم من الإستراحة ، وقدموا لهم بعض الماء ، وهذا كل ما كان باستطاعتهم عمله .

جاء اليوم التالي ، وسلك جنود الإستعمار طريقاً جديدة للتعذيب ، فحزموا ضحاياهم بأربطة من الأسلاك الشائكة على ظهورهم ، وأمروهم بالسير (أمام أرملة ـ سينكا) وكانت الجراحات العميقة تخطط جلودهم . وقام أحد الجنود بإشعال النار في ذقن (لحية) شيخ وقور فيما وقف رفاقه المجرمون يقهقهون ضحكاً على هذا المشهد الغريب ويطلقون تعليقاتهم الساخرة . وأعيد بعد ذلك الشيوخ إلى حفرة الماء ، حيث إلتهبت جراحهم ، واستمر تعذيبهم على هذه الصورة طوال خمسة أيام ـ لم يقدم لهم خلالها أي طعام ولا ماء .

ولم تعرف لهذه القصة الحزينة نهاية .

٧ ـ معركة (عين الزانة ـ ١٩٥٩)

يقع مركز (عين الزانة) على ارتفاع ألف وأربعمائة متر من سطح البحر . وقد اعتبر ، لهذا السبب ، أهم مركز على الجهة الشرقية ، إذ يشرف على مساحة شاسعة تمتد من سهول (عنابة) إلى الحدود التونسية ـ الجزائرية . وقد نظم الإفرنسيون هذا المركز وكان يضم اربعة مبان أساسية هي :

١ ـ مبنى المنارة ـ الميرادور ـ .

٢ ـ مبنى وحدة المغاوير (الكوماندوس) وفيه يقيم معظم الجند الإفرنسي بالمركز . وأغلبهم من اللفيف الأجنبي (الليجيون ايترانجير) .

٣ ـ مبنى القيادة ، وهو عبارة عن مكتب قديم أقامه الإفرنسيون .

٤ ـ مبنى ضباط الشؤون الأهلية (الساس)، وهو مزرعة إفرنسية كان يملكها المعمر (غراسيس) ونظراً لأهمية هذا المركز فقد قررت قيادة جبهة التحرير في المنطقة مهاجمته في الساعة (٢١ و ٣٠ د.)

(*) المرجع : مجلة (المجاهد) الجزائرية ـ ٢٧ / ٧ / ١٩٥٩ .

من ليل (١٣ جويليه ـ تموز ـ ١٩٥٩) . ويروي أحد منفذي العملية قصة المعركة بقوله :

« ليس بوسعي أن أذكر أكثر من جانب واحد من جوانب العملية وهو الهجوم على المنارة . فقد توجهت إليها ، وكان إلى جانبها خيمة فيها جنود إفرنسيون ، وكنت أحمل معي مدفعاً رشاشاً عيار (١٢,٧) وكانت المسافة الفاصلة بيني وبين الميرادور ـ المنارة ـ تبلغ نحواً من ثمانين متراً . وما أن حانت الساعة التاسعة والنصف ليلاً ، حتى كنا قد أخذنا مواقعنا ، وكانت زمرة الهجوم تنتشر من أمامي وورائي ومعها مدفعان بازوكا وعلى جنبيهما مدفع عيار (٥٧ مم) . وما أن أخذنا مواقعنا حتى كانت بقية زمرنا قد حاصرت بقية المراكز حصاراً محكماً . وبقينا في مراكزنا ننتظر شارة بدء الهجوم . وما إن صدر الأمر حتى أطلقت نيران مدفعي الرشاش وانطلقت في الوقت ذاته قنابل المدفع (٥٧) لتصيب أهدافها في البناء .

ولدى انطلاق النار ، ظنت دوريات الحراسة الإفرنسية أن الأمر قد لا يكون أكثر من هجوم عابر بأسلحة لا يمكن أن تنال من قوة تحصينات البناء وقوته . وأنه لا يمكن لهذا الهجوم أن يصل إلى الملاجىء المحصنة والتي حفرت تحت الأرض . ودعمت بالجدران السميكة التي أحكم بناؤ ها بالإسمنت المسلح ، وزودت بدفاع متين من المدفعية والدبابات وغيرها . ولذلك سمعنا أحد الجنود الإفرنسيين يقول لنا ساخراً : «تعالوا!! تعالوا!! وتقدمت بعد ذلك في اتجاهي دبابة ضخمة من الدبابات الحديثة والمسلحة بستة مدافع : (إثنان عيار ـ ١٢,٧ ، ومدفع أمريكي عيار ـ ٣٠ ـ ومدفع ٥٧ ومدفع عيار ٧٥) فأشعل سائقها الضوء في وجهي على أمل أن يبهرني . ثم تقدم في اتجاهي حتى لم يبق بينه وبيني إلا خمسون متراً ، ثم قال لي

بصوت تبينته بوضوح : « تعال يا بني ، لا تضرب واصعد فوق الدبابة » .

فكان جوابي الوحيد هو أن أطلقت عليه ٢٥٠ طلقة من مدفعي الرشاش دفعة واحدة ـ هي كل ما يحتويه شريط التلقيم ـ . وما أن توقفت عن الرمي ، حتى شاهدت الحريق يندلع في الدبابة ، بسبب انفجار ما فيها من الذخيرة . وجاءت في أثر الدبابة المشتعلة مصفحة ، فأحرقها مدفع (٥٧) . وأعقبتها سيارة ـ جيب ـ فيها أربعة جنود إفرنسيين فروا من فرقة حراسة (المنارة) فرميتها برصاص مدفعي الرشاش ، فقتلوا جميعاً على الفور ، واشتعلت النار في السيارة ، وسمعنا صوت سيارة أخرى ، تبيناها فإذا هي سيارة (ج . م . س) كانت تحاول الخروج من الحصار ، فوجه إليها أحد المجاهدين طلقات مدفع عيار (٣٠) وأصاب عجلاتها . ثم وجهت لها طلقات مدفعي الرشاش حتى أصبحت كلها طعمة للنيران ، وآنذاك ، وجهت الرمي إلى المنارة (الميرادور) . فخرج منه جندي إفرنسي حاملاً مدفعه الرشاش وهو يبحث عن موقع ممتاز ، فبادرته بطلقات مدفعي ، وحطمته مع مدفعه .

ثم هجمت قواتنا على المخيم ، فأسرع الجنود الإفرنسيون إلى التحصن بالملاجىء الأرضية ، لكننا طاردناهم إلى تلك الملاجىء ودمرناها فوقهم ، وماتوا عن آخرهم . وإلى هنا ، لم يسجل أي رد فعل من طرف العدو ، ولعل قوة المباغتة هي التي شلت قدرتهم . ولكن ذلك لم يمنعنا من متابعة تنفيذ المهمة بحذر ، وفي الواقع ، فإنه لم تمض فترة طويلة حتى وجهت إلينا نيران مدفع رشاش (من نوع هوتشكيس) من نافذة بالمبنى الواقع فوق مخزن الأسلحة ، فهاجمناه بالقنابل اليدوية ،وقتلنا الجندي الإفرنسي ، واستولينا على

ما كان معه من الذخيرة ، ولما رأى العدو أن الرشاش (هوتشكيس) قد توقف عن الرمي ، شرع بضربنا بقذائف مدفع هاون من عيار (٤٥ مم) كان متربصاً في أحد الملاجىء الأرضية التي لم نصل إليها بعد ، فهاجمه جنودنا بالقنابل اليدوية ، ودمروا الملجأ ومدفع الهاون . وعندما أراد مدفع هاون آخر أن يتابع الرمي ضدنا ، دمرناه بقذيفة من مدفع (بازوكا) .

ما أن تم للمجاهدين ـ في هذا القطاع ـ تدمير الجهاز الدفاعي للعدو ، حتى عثروا على ثلاثة مدافع كبيرة : واحد عيار (١٥٥ مم) وإثنان عيار (١٠٥ مم) . ولما لم يكن باستطاعة المجاهدين أخذ هذه المدافع معهم ، فقد عملوا على تدميرها بقذائف البازوكا ، وبقنابل المدفع (٥٧ مم) . وبعد هذا وجهوا قذائف (الانيركا) إلى المخيم ، فاشتعلت النار في كل شيء ـ ما عدا خيمة كان بها عدد كبير من الجنود الإفرنسيين ـ فأنذرهم المجاهدون بالخروج ، ولما رفضوا الامتثال للأمر ، قذفهم المجاهدون بقنابل (الإنيركا) أيضاً ، فاشتعلت فيهم النار مع الخيمة ، وانفجرت جميع الذخائر التي كانت هناك . وعلى أثر هذا ، أقبلت طائرتان قاذفتان (ب ٢٦) وأطلقت الصواريخ المضيئة ، فاغتنم قائد مجاهدي الهجوم على المنارة هذه الفرصة ، وأمر بالهجوم العام على المخيم الذي ظهر واضحاً كل الوضوح . ودخل المجاهدون إلى المبنى حيث عثروا على جثتي ضابطين (نقيب وملازم أول ـ كابتن وليوتنان) .

انتهى تنفيذ العملية في الساعة (٣,٠٠) من صباح (١٤ جويليه ـ تموز) واستغرق تنفيذ المهمة فترة ساعتين تقريباً . وقد كان من العسير تقدير الخسائر التي نزلت بهذا القطاع من قطاعات

الهجوم . ولكن تكفي الإشارة إلى ما تكبده العدو أثناء عرض سير المعركة (تدمير الدبابة والمصفحة والسيارات والأسلحة) لتكوين فكرة عامة عن مبلغ الخسائر .

* * *

عندما كانت زمرة الهجوم على المنارة (الميرادور) تنفذ عمليتها بنجاح ، كانت هناك زمرة أخرى تقوم بالهجوم على مركز المغاوير (الكوماندوس) . وقد وصف أحد المجاهدين الذين اشتركوا في التنفيذ ما قام به وزمرته بقوله :

« أخذنا مواقعنا تجاه مركز المغاوير (الكوماندوس) وانتظرنا حتى تبدأ المدافع والرشاشات ، رماياتها لنقوم بدورنا في توجيه نيراننا على أهدافها في معسكر العدو . وكان المركز محاطاً بسياج من الأسلاك الشائكة . وما أن بدأت المدافع والرشاشات والبازوكا بضرب أهدافها حتى إشتعلت النيران في المركز ، وزحفنا هاجمين بعد أن فتحنا ثغرات في سياج الأسلاك الشائكة بواسطة الحشوات المتفجرة المستطيلة (البانغالور) . وبالقرب من مدخل المركز ، وجدنا الجندي الإفرنسي الذي كان يستعد لإطلاق نار المدفع ، وهو جثة هامدة . كما وجدنا عدداً كبيراً من الجنود القتلى ، باغتتهم نيراننا عندما كانوا فارين في طريقهم إلى الملاجيء الأرضية المحصنة .

ولم نسجل أي رد فعل من طرف العدو ، باستثناء طلقة واحدة من مدفع رشاش ، ما أن سمعنا مصدره حتى قضينا عليه فوراً . ولما اقتربنا من المدخل ، أعطينا شارة إلى البازوكا ، وانبطحنا أرضاً ، فهدمت قذائف البازوكا البناء القائم أمامنا . وتابعنا زحفنا وسط الدخان وألسنة اللهب ، إلى أن دخلنا المركز . وقد تمكن بعض جند

العدو من الوصول إلى الملاجيء الأرضية المحصنة ، فطاردناهم هناك بالمتفجرات ودمرنا الملاجيء فوقهم بقذائف الإنيركا . وهنا فاجأتنا طلقة من العدو ، وجهت لنا من مدفع رشاش كان في أحد الملاجيء . وتمكنا من إسكاته على الفور . ثم حملنا معنا ما وجدناه من العتاد . واستمر تفتيش المركز وتدمير منشآته حتى الساعة الثالثة وعشر دقائق . ولم يغادر المجاهدون المركز ـ في هذا القطاع أيضاً ـ إلا بعد أن تم لهم تدمير الجهاز الدفاعي للعدو . والقضاء على كل مقاومة فيه » .

* * *

وتحدث قائد الكتيبة عن هجوم زمرته على مبنى ضباط الشؤ ون الأهلية (الساس) بقوله :

« في الواقع ، إن الهجوم على مركز ـ الساس ـ قد كلل بنجاح كبير . ويعود السبب في ذلك ـ إلى حد ما ـ إلى أننا استصحبنا معنا أربعة من رجال ـ القوم ـ كانوا قد انضموا إلينا بعد أن فروا من هذا المركز بالذات ، فهم من ثم يعرفون المركز ومواقعه ونقاط ضعفه بدقة تامة . وقد قالوا لنا ، إن قائدهم الإفرنسي سبق أن قال لهم ذات يوم : لئن تمكن الثوار من الوصول إلى الملاجىء الأرضية فما علينا إلا أن نستسلم بدون دفاع .

على هذا ، بدأت بتنظيم قوة الهجوم منذ الساعة التاسعة مساء ، فوضعت الزمر في مواقع مختلفة ، وكانت المسافة التي تفصل بين المركز وبين أبعد زمر الانقضاض لا تزيد على الخمسين متراً . وهناك زمرة لم تكن تبعد عن المركز بأكثر من خمسة عشر متراً ـ حيث منارة المركز وهي غير المنارة التي سبق الحديث عنها ـ .

وضعت أمام المركز خمسة مدافع (بازوكا) على بعد خمسة عشر متراً من منارة (مركز الساس) ومدفعي هاون عيار (٥٠) ومدفعين عيار (٥٧) على بعد مائة وخمسين متراً . ووضعت النسق الأول من قوات الهجوم على بعد خمسة وعشرين متراً وراء البازوكا ، والنسق الثاني على بعد خمسين متراً والصف أو النسق الثالث على بعد مائة وخمسين متراً لمواجهة أي طارىء قد يظهر من الخلف . وبقيت أنتظر الأمر ببدء الهجوم . وعلى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل بالضبط أعطيت الإشارة . فبدأت المدافع الرشاشة تقذف نيرانها طوال عشر دقائق ، ثم بدأ الهجوم يتقدمه (حاملو الرشاشات ـ الرماة) .

كان أول رد فعل صدر عن العدو ، هو إطلاق النار من رشاش (هوتشكيس) ومدفعين (عيار ٢٤) مع قذف القنابل اليدوية وإطلاق نار البنادق ، واستمر تبادل إطلاق النار حتى الساعة الثالثة إلا الربع ، وإذ ذاك قمنا بالانقضاض عليهم ، وكنا نفجر قنابلنا اليدوية في وجوههم . وأمكن لنا تدمير دفاع العدو بواسطة قذائف (البازوكا) ولم يبق إلا مدفع واحد (نموذج هوتشكيس) كان الرامي عليه مختفياً وراء نافذة ، كان لا بد من تدمير الرشاش قبل كل شيء ، ويقول قائد الكتيبة وهو يتابع حديثه :

أصدرت أمري إلى أحد المجاهدين (واسمه علي) بحماية جنبي بمدفعه الرشاش ، بينما أقوم أنا بمهاجمته ، وأعطيت الأمر إلى الجنود بالإنبطاح أرضاً ، ثم تقدمت نحو النافذة ، وأخرجت قنبلة يدوية ، ونزعت عنها مسمار الأمان ، وقذفتها عليه ، فانفجرت في صدره . ثم قلت لجندي آخر (واسمه مسعود) أن يقتحم بناء المركز ـ من الباب ـ بينما كنت أنا أنظر من النافذة ، وأفتش داخل

الغرف مستضيئاً بمصباح يدوي ـ ولما تأكد لي عدم وجود أية مقاومة ، أصدرت الأمر إلى النسق الثاني بأن يقطع السلك ، ويتقدم زحفاً نحو المركز ، إلى أن يحتله ، ودخلت أنا ، ثم لحق بي المجاهدون الذين حاصروا المبنى من جميع الجهات ، ووقفوا عند جميع نوافذ المركز ، فطلبت أن يتبعني ثلاثة ويبقى الآخرون في الحراسة . في حين يبقى النسق الأول متمركزاً في مواقعه .

إنتهت عملية احتلال المركز في الساعة (٣,١٠) صباحاً . وبدأت عملية جمع الوثائق ، وحمل الذخيرة والعتاد . فحمل المجاهدون من مركز المنارة الصغيرة (الميرادور) التابعة لمركز (الساس) مدفع رشاش (هوتشكيس) وصندوق ذخيرة وثماني سلاسل من ذخيرة رشاشات (٢٤) . وعثر على مدفع ٢٤ إلا أنه كان مدمراً بقذيفة بازوكا . كما كانت جميع الأسلحة وقد صهرت بتأثير الحرارة الشديدة الارتفاع . وحصل المجاهدون من مكتب ضابط (الساس) على وثائق هامة وبكمية جيدة . كما حصلوا على جهاز راديو ومسدس وبندقيتين حربيتين وكمية كبيرة من الألبسة . وكانت الأشلاء الممزقة في كل مكان كثيراً ما تعيق عملية البحث والتفتيش عبر الأنقاض المتهدمة ، وقبل أن يغادر المجاهدون المبنى ، أنزلوا العلم الإفرنسي ، ورفعوا مكانه علم الجزائر ، كما عملوا على إحراق سيارتين (ج . م . س) وسيارة جيب » . .

* * *

بقيت بعد ذلك قصة الهجوم على مركز القيادة التي تتلخص بالتالي :

« عندما أطلقت مجموعة المجاهدين المكلفة بالهجوم على هذا

المركز نيرانها وقنابل أسلحتها ، التهمت النار مبنى القيادة ، فلم يتمكن المجاهدون من اقتحامه . كما لم يقم العدو بأي رد فعل مباشر ، واغتنم المجاهدون الفرصة ، فعملوا على تدمير الملاجىء الأرضية المحصنة ، ودمروا مدرعتين نصف مزنجرتين (هاف تراك) مسلحة كل واحدة فيها ثمانية مدافع رشاشة . كما التهمت النار مستودعات الذخيرة والوقود ، مع تدمير مدفع هاون (١٢٠) مم . وكان عدد أفراد العدو في هذا المركز (٦٢٠) جندياً تمت إبادتهم عن آخرهم .

* * *

كان المواطنون الجزائريون ـ المدنيون ـ في قرية (عين الزانة) يتابعون باهتمام كبير المعركة . وما أن شاهدوا المركز وقدتحـول إلى أنقاض وأكوام من التراب والحجارة والرماد حتى أقبلوا على مجاهدي جيش التحرير الوطني ، يساعدونهم ، ويعملون على إخلاء الجرحى والعناية بهم وعلاجهم ، فأقاموا لهم المآدب في جو من الفرحة ، بل أن فلاحاً لا يملك إلا بقرتين ، أبى إلا أن يذبحهما تكريماً للمجاهدين في سبيل الله والوطن .

لقد كلل الهجوم على (عين الزانة) بهذا النجاح الرائع ، لأن قيادة جيش التحرير نظمت في الوقت ذاته مجموعة من الهجمات المنسقة على جميع المراكز القريبة منه : مثل (بوحجار) و (بوسردوك) و (عين كرمة) و(الساقية) و (لاكروا) و (غيران) الخ . . . وبهذه الطريقة لم تتمكن هذه المراكز من التدخل أو دعم مركز (عين الزانة) الذي كان هو الهدف الأساسي من عملية هجوم يوم (١٤ ـ جويليه ـ تموز ـ ١٩٥٩) .

برهن مجاهدو جيش التحرير في عملية (عين الزانة) على حسن استيعابهم لتقنيات الأسلحة الجديدة واستخدامها بفاعلية ومهارة عالية ، أما شجاعتهم في الهجوم فإنها لم تكن بالأمر الجديد عليهم ، ولو أن سلوكهم الرائع في القتال ، انتزع إعجاب قادتهم الذين أثنوا على مجاهديهم بما هم أهل له . ولقد بوغت الإفرنسيون مباغتة تامة لظهور الأسلحة الحديثة في قبضة الثوار وكانت المباغتة الأكبر لهم هي في استخدام هذه الأسلحة بمثل تلك الكفاءة . وقد ظهر ذهول المباغتة فوراً على الإفرنسيين الذي كانوا قد نشروا عشر دبابات على طول عشرة كيلومترات بالقرب من عين الزانة . وقد حاولت هذه الدبابات التدخل في بداية الأمر ، لكنها ما أن سمعت أنواع الأسلحة المستخدمة ، حتى أطفأت أنوارها ، ولازمت جانب الصمت .

كانت القيادة الإفرنسية تعرف أن مجاهدي جيش التحرير الوطني قد حصلوا على أسلحة حديثة ، غير أن هذه القيادة لم تعترف بقدرة المجاهدين على استيعابها وحسن استخدامها ، وجاءت عملية (عين الزانة) لتنذر القيادة الإفرنسية بالتطور الجديد ، لا في مجال التسلح فقط ، وإنما في مجال التخطيط للعمليات وتنفيذها وإدارة الحرب بصورة عامة . وشعرت القيادة الإفرنسية بخطورة التحول الذي ظهر في (عين الزانة) والتي تم تنفيذ عملياتها في منتصف فصل الصيف ، حيث يقصر الليل ، وحيث تكون كل الظروف الجوية والبرية مناسبة لتحرك القوات الإفرنسية بأكثر مما تسمح به ظروف فصل الشتاء ، حيث تقف الدبابات والمركبات عاجزة عن التحرك في المناطق الصعبة .

لقد كانت معركة (عين الزانة) أكثر من مجرد هجوم ناجح :

إنها بداية مرحلة جديدة في حرب التحرير الجزائرية . فعلى مجال العمليات ، تم استخدام طريقة (الحرب التشتيتية) وذلك بشن مجموعة من الهجمات الثانوية لعزل الهدف الذي يشكل (الهجوم الرئيسي) وحرمانه من كل دعم خارجي - وعلى المستوى التكتيكي ، أظهر المجاهدون كفاءة عالية في استخدام الأسلحة والتعامل مع الأهداف المناسبة في الوقت المناسب وتحقيق التناسق بين حركة القوات ، وعمل الأسلحة . وكان لا بد لفرنسا من أن تضع كل ذلك في تقديرها للمواقف الجديدة .

٨ ـ معركة الحوض(*) ١٩٥٩

كانت مجموعة المجاهدين تسير في طريقها إلى (جبل الحوض) تحت سيل المطر المنهمر بغزارة ، والليل مظلم موحش ، وشعر المجاهدون بالتعب وهم يخوضون في الوحل الكثيف ، ويحملون فوق أعبائهم ثقل ثيابهم المبللة . ولاح لهم أن موعد الفجر بات قريباً عندما وصلوا إلى مكان في الجبل ، تغطيه الأشجار الكثيفة . فنظموا الحراسة من كل جانب ، وعلى كل اتجاه ، وانصرف من لا عمل لهم لأخذ قسط من الراحة والنوم . غير أنه لم تمض أكثر من فترة وجيزة حتى ارتفع صوت مجاهد من الحرس وهو يعطي أمره بالوقوف لرجل ظهر أمامه . وأسرع قائد المجموعة نحو مصدر الصوت ليستوضح جلية الأمر . فإذا به أمام رجل الحرس وقد أصدر هذا أوامره إلى رجل يقف أمامه : قف ، ارفع يديك !

وامتثل الرجل للأمر ، وعاد رجل الحرس ينادي طالباً رئيس الحرس الذي قدم بدوره مسرعاً . وتقدم قائد المجموعة ورئيس الحرس من الرجل الغريب ، فوجدوه مدنياً ـ مواطناً جزائرياً ـ

(*) المرجع ـ العدد ٤٢ من مجلة (المجاهد) الجزائرية ١٩٥٩/١/١١ . (بتصرف)

وعرفوه . . . إنه أيضاً من مجاهدي الناحية ، وممن يعملون في عمل إداري في صفوف جبهة التحرير الوطني . وكان مع (الرجل الغريب) صبي يحمل في يده إبريقاً من القهوة ، وسلة (قفة) صغيرة يغطيها منديل . وسرعان ما اكتشف (الرجل الغريب) أنه يعرف رئيس مجموعة المجاهدين ، فأقبل عليه يعانقه بدفء وحرارة ، ومضى رئيس المجموعة وبرفقته (الرجل الغريب) والصبي حامل القهوة إلى حيث ينتشر المجاهدون .

طلع النهار ، وجلس الجميع تحت شجرة كثيفة ، يرتشفون جرعات القهوة الساخنة . ووجه رئيس المجموعة سؤاله إلى هذا الغريب ـ الذي لم يعد غريباً ـ وقال له : كيف حال الأخوان هنا ؟ وأجابه الرجل : إننا والحمد لله بأحسن حال ! وسكت قليلاً ، ثم أردف قائلاً : **لقد لمحتكم وأنتم تجتازون السهل الذي بجانبنا ، فعرفتكم . وأظن أن حرس المراكز المجاورة لناحيتنا (دوارنا) من الناحية الشرقية قد شعر بكم أيضاً ، لأن هذا الحرس قد أسرع بالتحول عن مراكزه ، واتجه نحو مركز (يوكس الحمامات) . ولهذا فقد أسرعت أنا بدوري للقدوم عليكم وإعلامكم بذلك لتكونوا على استعداد للطوارىء .** فشكره رئيس المجموعة على يقظته وحزمه .

ثم استدعى على الفور ثلاثة جنود وجندي أول ، وشكل منهم دورية أمرها بالتوجه إلى الناحية المشرفة على مركز (يوكس الحمامات) . ثم أرسل دورية ثانية إلى ناحية (مسكيانة) . وأتبع ذلك بإصدار مجموعة من التعليمات لتشديد الحراسة في عدد من النقاط الأخرى . وكان هذا المجاهد ـ المدني ـ ينظر باعجاب إلى الجنود وهم ينفذون الأوامر بسرعة ، رغم ما هم عليه من التعب الذي

حل بهم بعد عناء المسير الشاق ، فالتفت نحو الصبي الذي كان يرافقه ، وقال له : أرأيت يا بني ! ما رأيك ؟ قد تصبح جندياً ، تدافع عن وطنك مع أبطال جيش التحرير الوطني ؟ لا بأس . انه عندما يكبر سيصبح جندياً يدافع عن حرية الجزائر . وهنا تدخل قائد المجاهدين وقال للرجل : « والآن يا أخي ، يجب ان تذهب ـ مع الصبي ـ لأن المكان سيصبح هنا خطيراً . ولا ندري ما ستتمخض عنه الأحداث » وانصرف الرجل وابنه بعد وداع حار ومؤثر حمل كل صفاء المجاهدين وإخلاص الثوار الأحرار .

لم تمض فترة طويلة على ذلك حتى عادت الدورية الأولى لتعلم القائد بأنها شاهدت أضواء خافتة لرتل طويل من المركبات يسير على طريق (يوكس الحمامات) وهو يتجه إلى حيث موقع المجاهدين . ولم يكن من الصعب عندها رؤية أضواء المركبات على البعد وهي تسير في وسط الضباب . وأسرع القائد ، فأصدر أمره إلى المجاهدين باحتلال مواقعهم على القمم الأمامية المشرفة على الطريق ، ولم يكن عدد المجاهدين يزيد على سبعين رجلاً . احتل المجاهدون مواقعهم على الشكل التالي : رشاش خفيف (٢٤) في الجناح الأيمن ومعه رشاشتان قصيرتان وخمس بنادق (موزير) . وفي الجناح الأيسر احتلّ مجاهدو الفصيلة الثالثة مواقعهم بمثل هذا الترتيب . وتمركز الرشاش الثقيل (هوتشكيس) في الوسط .

استمرت القوات الافرنسية في تقدمها تحت مراقبة المجاهدين الذين يتابعون تحرك أعدائهم بهدوء وصمت ، فيما كان الضباط يتنقلون بين المجاهدين ليزودوهم بأوامرهم وتوجيهاتهم وأهمها : عدم التحرك من المواقع إلا إذا صدرت أوامر مضادة ، وعدم إطلاق النار إلا عند صدور الأمر بذلك .

أرسلت الشمس خيوطها الدقيقة من خلال سحب الضباب الرقيقة . وظهرت في الوقت ذاته ثلاث طائرات استطلاع قامت بالتحليق فوق رؤوس المجاهدين مرات متتالية ، ويظهر أنها اكتشفت وجود بعض المجاهدين فأرسلت الشهب الدخانية نحوهم ، موجهة بذلك رتل القوات الاستعمارية الذي كان يمعن في توغله مهتدياً بتوجيه الطائرات له .

حافظ المجاهدون على هدوئهم ، ومكثوا في صمت تام ينتظرون الأمر باطلاق النار . هذا فيما كانت قوات الافرنسيين تتابع تقدمها نحو المجاهدين بحذر كبير حتى إذا لم يبق من مسافة تفصل بين المجاهدين وأعدائهم تزيد على عشرات الأمتار ، صدر الأمر بفتح النار ، وانطلقت النار دفعة واحدة من كل الأسلحة ، وبوغت العدو بكثافة النار العالية الموجهة إليه ، فبدأ بالتقهقر إلى الوراء تاركاً فوق أرض المعركة عدداً من القتلى والجرحى .

وكان المجاهدون يتوقعون ان يعود العدو للهجوم بعد أن يعيد تنظيم قواته ، غير أنه ذهب بعيداً في انسحابه ، فأدرك المجاهدون على الفور بأن العدو يريد من انسحابه إفساح المجال أمام مدفعيته لتدمير قوة المجاهدين ، بعد أن تأكد أن خسائره ستكون كبيرة إذا ما عاد إلى الهجوم وذلك بفضل الأسلحة الحديثة التي ظهرت مع المجاهدين ، والتي لم يكن العدو يتوقع وجودها معهم . وهكذا ، وبينما كانت قوات الافرنسيين تسرع في انسحابها ، كان المجاهدون يسرعون بدورهم أيضاً لتبديل مواقعهم . ولم تمض أكثر من دقائق قليلة حتى شرعت المدفعية فعلاً في قصف المواقع التي كان يحتلها المجاهدون قبل قليل . ثم عادت القوات الافرنسية الى التقدم والزحف من جديد تحت حماية المدفعية ، حتى كادت تقتحم على

المجاهدين مواقعهم . وهنا أصدر القائد أمره الى الجناح الأيسر بالتحرك إلى الناحية الغربية ، كما أمر الجناح الأيمن بالتحرك الى الناحية الشرقية ، ثم أصدر أمره إلى الفصيلة الوسطى بالتقدم قليلاً نحو الأمام ، وبذلك أصبحت قوات العدو مطوقة بشبه دائرة .

وفي هذه اللحظة توقفت المدفعية الافرنسية حتى لا تصيب بقذائفها جنود مشاتها . واقترب جند الطرفين بعضهم من بعض . وعاد المجاهدون ففتحوا نيرانهم الكثيفة بصورة مباغتة من الجناح الأيمن ، فحاول الجنود الافرنسيون التراجع قليلاً نحو اليسار فاستقبلتهم نار الفصيلة التي كانت تنتظرهم . وعندما حاولوا التقدم نحو الأمام ، صدمتهم نيران فصيلة قلب الدفاع التي كانت لهم بالمرصاد . واستمر اطلاق النار من الجناحين ومن قلب الدفاع في وقت واحد . وأظهر المجاهدون خلال ذلك مهارة رائعة في تنقلهم ، وسرعة مذهلة في تحركهم ، وهم يقومون بحركات الالتفاف والانقضاض على أعدائهم .

وأصيب الجنود الافرنسيون بالذعر لكثافة النار التي تنصب عليهم من كل جانب ، فهيمنت الفوضى على تحركاتهم ، وسيطرت الفوضى على مواقفهم وتنقلهم . إلا أن نجدات أخرى للعدو أخذت في التدفق من عدة جهات ، (وخاصة من مسكيانة والعاتر وتبسه) واستطاعت هذه القوات الضخمة ضرب نطاق محكم من الحصار حول ميدان المعركة ، فأصدر قائد المجاهدين أمره بتقسيم قوة المجاهدين إلى مجموعتين ، تتولى مجموعة منهما الاضطلاع بواجب مجابهة النجدات وإعاقة تقدمها نحو مواقع المجاهدين ، بينما تتابع المجموعة الثانية معركتها ضد قوات العدو التي تشتبك معها ، واتسعت رقعة القتال ، وامتد زمن المعركة على هذا المنوال

حتى أشرفت الشمس على المغيب . وعندئذٍ بدأ المجاهدون في التخفيف من قواتهم المهاجمة لدعم القوات المدافعة والتي باتت محاصرة . وما إن أطبق الظلام حتى كانت قوة المجاهدين بكاملها موجهة نحو هدف واحد ، هو فك الحصار المضروب على بعض المجاهدين ، والخروج من أرض المعركة .

وللوصول إلى هذا الهدف ، دفع المجاهدون الرشاشات أمامهم ، وانتشروا خلفها ، ثم انطلقوا بانقضاض مباغت على العدو الذي كان يحكم الحصار ، وكان الصدام دموياً عنيفاً بحيث كان لهيب المعركة يزيد في قوته على كل الاشتباكات التي استمرت النهار بطوله . وبعد ساعة كاملة استطاع المجاهدون شق طريقهم بنيرانهم وبقوة حرابهم ، وكبدوا العدو خلال ذلك خسائر فادحة لم يتمكنوا من إجراء إحصاء لها ، بسبب الظلام الشديد .

ما إن ابتعد المجاهدون عن خط النار حتى توجهوا إلى (جبل بو خضرة) الذي لم يبلغوه إلا عندما طلع النهار . وارتفع قرص الشمس في السماء حتى إذا ما بلغ وقت الضحى ، أقبل المواطنون ـ المدنيون ـ يحملون إلى المجاهدين الطعام والماء ، ويعملون على مساعدتهم في تضميد جراح الذين أصيبوا بها ـ خاصة ـ أثناء فك الحصار . وهنا واجهت المجاهدين مشكلة كان من الصعب عليهم حلها ، فقد حملوا معهم أثناء انسحابهم الأسلحة التي غنموها ، وكانوا يرغبون في توزيعها على هؤلاء ـ المدنيين ـ الذين كانوا يطلبون بالحاح تجنيدهم وتسليحهم إلا أن عدد المتطوعين كان أكبر من عدد الأسلحة . وكان من يحرم من السلاح يشعر بأن مجاهدي جيش التحرير يفضلون عليه من يقبلون تطوعه . لقد كانوا جميعاً بشوق لحمل السلاح ، وكلهم تملؤه الحماسة للجهاد ، غير أن قلة

الأسلحة لا زالت مشكلة تعيق تطور جيش التحرير الوطني .

جلس الجميع لتناول الطعام . وقال القائد لمجاهديه : « أرأيتم أيها الإخوان ؟ ان الشعب كله يريد التطوع ، وهو يغبطكم على شرف حمل هذا السلاح الذي تمسكون بأيديكم . وهذا هو والله - النصر الحقيقي ! » .

٩ ـ معركة عنابة(*) ١٩٥٩

وقعت معركة عنابة يوم (٢٤ جوان ـ حزيران ـ ١٩٥٩) وما إن ظهرت تفاصيلها الأولى حتى تناقلتها وكالات الأنباء العالمية ، واطلع عليها العالم أجمع في دهشة وإعجاب . ولم تتمكن القيادة الافرنسية ، هذه المرة ، أن تتستر على هذه المعركة لأنها وقعت في ضاحية من ضواحي (عنابة) ولأن المدنيين من جزائريين وافرنسيين ، كانوا يتابعون بأبصارهم نيران اللهب والطائرات المتساقطة والفوضى التي هيمنت على القوات الافرنسية بسبب ما أصابها من ذعر . كما كانوا يسمعون ضجيج المعركة الصاخب طوال اثنتي عشرة ساعة . **وكان من بين الذين شاهدوا المعركة من ميناء (عنابة) ضابط بحرية بريطاني ، ولما شاهد عنف المعركة ، ووفرة عدد الجنود الافرنسيين ، والاستعدادات الضخمة سأل شخصاً كان بجانبه : كم عدد الثوار الذين تحاربونهم الآن ؟ فأجابه الآخر : يقال أن عددهم حوالي السبعين ، فابتسم الضابط البريطاني ابتسامة سخرية ، وقال معلقاً : إذن فان باستطاعة حلف شمال الأطلسي**

(*) المرجع : مجلة (المجاهد) الجزائرية ـ العدد ٤٦ ـ ١٣/٧/١٩٥٩ .

الاعتماد على الجيش الافرنسي ـ ضد الاتحاد السوفييتي . وتلك هي بعض ملامح المعركة كما وردت في تقرير أحد الأبطال الذين عاشوا تجربتها :

« هي فرقة من مغاوير (كوماندوس) جيش التحرير الوطني ، لا يزيد عدد أفرادها على الستين رجلاً ، كلفتها قيادة جيش التحرير بتنفيذ مهمة في (عنابة) ، غير أن العدو اكتشفها قبل أن تصل إلى هدفها ، وذلك عندما وصلت إلى مسافة تبعد ثلاثين كيلومتراً عن مدينة (عنابة) . وكانت الساعة (١٩,١٥) مساءً . وما أن اكتشف الافرنسيون أمر هذه القوة حتى أخذوا في تنظيم حصار محكم حولها ، ودفعوا لهذه الغاية (فرق القوم والحركة) و (فرق اللفيف الأجنبي) و (فرق المظليين ـ أصحاب القبعات الحمر والخضر) و(الفرقة الرابعة عشر للمصفحات) و(وحدات أخرى مختلفة من الشرطة ـ البوليس)و(س . ر . س) وقد استقدمت هذه الفرق من (قالمة) و(سوق السبت) و(قسنطينة) و(سطيف) و(سكسكده) و(واد العنف) ، بل ان بعضها استقدم من جنوب ولاية وهران بواسطة الطائرات .

وقد عمل الافرنسيون طوال الليل من أجل إعداد هذه القوات وزجها بأعدادها الضخمة والتي بلغ مجموعها ثلاثة وعشرين ألف جندي تقريباً ، كل ذلك لتنظيم حصار حول ستين رجلاً .

لم تبق فرقة المغاوير ـ الكوماندوس ـ متوقفة عن كل نشاط طوال الليل ، فواصلت سيرها داخل دائرة الحصار المضروب حولها ، متوجهة إلى مدينة (عنابة) وكلها عزم وتصميم على تنفيذ واجبها مهما كان الثمن ، ولم تحاول الرجوع إلى الوراء بالرغم من انه كان باستطاعتها الإفادة من ظلمة الليل لاختراق الحصار والعودة إلى

قواعدها . وفي الساعة الرابعة من صباح يوم ٢٤ جوان ـ حزيران ـ وصلت إلى ضاحية (سيدي سالم) من ضواحي مدينة (عنابة) وأشرقت عليها الشمس قبل أن تدخل المدينة، فتمركزت في مزرعة مشجرة محصنة يقع(وادي سيبوس)من ورائها. ثم نظمت مواقعها الدفاعية، ووضعت خطة خروجها من الميدان ، وحفرت الخنادق لأنها كانت تعرف جيداً ما سيواجهها من عتاد حربي وتنوع ، ومن أسلحة مختلفة (طيران ، مدفعية ثقيلة ، مدرعات ، الخ . . .) واستعدت فرقة المغاوير ـ الكوماندوس ـ لمواجهة العدو استعداداً كاملاً .

انصرف العدو ، بعد شروق الشمس ، الى البحث عن آثار فرقة المغاوير ـ الكوماندوس ـ حتى أمكن له تحديد موقعها في الساعة السادسة صباحاً . وحدث أول اشتباك بالنيران ، وسقط النسق الأول من القوات الافرنسية ، ومعظم أفراده قتلوا ، ثم تراجع الباقون على أعقابهم . وتأكدت القيادة الافرنسية من مكان تمركز المغاوير ، فراحت تقذفه بقنابل المدفعية الثقيلة طوال ساعتين (من الثامنة حتى العاشرة) توقف القصف بعدها . وشرعت القيادة الافرنسية في توجيه الهجوم ضد مواقع المغاوير الجزائريين . وكانت القوات الافرنسية المهاجمة قد انتظمت على شكل أنساق متتالية : النسق الأول ويضم (فرق القوم والحركة) . والنسق الثاني ويضم (فرق اللفيف الأجنبي) . ثم النسق الثالث ، ويضم (جنود المظلات) . وبعدها تأتي أنساق بقية القوى .

كانت فرقة مغاوير جيش التحرير الوطني تملك من الأسلحة ما يساعدها على مواجهة مثل هذا الهجوم بقوة وفاعلية ، فقد كان معها

(٢٤) رشاشة . ومدفع هاون وبازوكا و (٤) مدافع رشاشة ، والباقي بنادق حديثة . وكانت القيادة الافرنسية تعرف أن جنودها قد يترددون في مواجهة نيران جيش التحرير ، ولهذا راحت تضرب مؤخرتهم بقنابل المدفعية الثقيلة حتى تجبرهم على التقدم والهجوم ، وحتى لا يجدوا أمامهم مجالاً للفرار . وكان كلما تقدم نسق من أنساق القوات الافرنسية حصدته نيران مغاوير جيش التحرير ، وأبادت معظم أفراده . فتناثرت جثث القتلى في كل مكان . ولم يجد الجنود القلائل الذين نجوا من الموت في أنفسهم ما يكفي من الجرأة لمتابعة الهجوم ، فانبطحوا أرضاً ، وتظاهروا بالموت ، لأنهم لم يكونوا قادرين على الانسحاب نحو الخلف حيث كانت قنابل المدفعية الافرنسية تحاصرهم وتمنعهم من التراجع .

واستمرت موجات الهجوم في التتابع طوال ساعتين كاملتين ، وتأكدت القيادة الافرنسية عندها من عقم الهجوم ، وعدم الفائدة من متابعته أو تطويره . فأخذوا في الإعداد لقصف موقع المغاوير الجزائريين بقنابل الطائرات ، ولكنهم عملوا قبل زج الطيران ، على إرغام المدنيين الجزائريين على إخلاء قتلى الافرنسيين وجرحاهم وذلك حتى لا تضربهم نيران المغاوير الجزائريين .

تدخل الطيران بعد ذلك ، وراحت قنابله الثقيلة تدق الأرض دقاً عنيفاً ، ومع ذلك ، استطاع المغاوير إسقاط ثلاث طائرات (واحدة من نوع ب ـ ٢٦ والثانية من نوع ت ـ ٦ والثالثة طائرة استطلاع) وقد شاهد جميع المدنيين ـ جزائريين وافرنسيين ـ الطائرات الافرنسية وهي تتهاوى طعمة للنيران . وبعد هذه الموجة من الهجوم الجوي ، عادت القيادة الافرنسية الى تنظيم هجوم جديد بقواتها البرية . لكن

جنود اللفيف الأجنبي التابعين للفيلق الأجنبي المتمركز في (شابوجاندارم) رفضوا القتال ، وألقوا بأسلحتهم أرضاً ، فقتل قادتهم الافرنسيون أربعة منهم لارغامهم على القتال . وبالرغم من ذلك فقد أصروا على الرفض ، ولما تأكدت القيادة الافرنسية أن الفشل قد نزل بقواتها ، وأن الذعر قد هيمن على جنودها ، وأنها لم تعد قادرة على إرغامهم ـ بأي حال من الأحوال ـ على خوض المعركة من جديد ، قررت استئناف عملية القصف الجوي ، إلا أنها استخدمت في هذه المرة الغازات الخانقة ، فبلغ مجموع من استشهد من مغاوير جيش التحرير ثلاثة وثلاثون مجاهداً . أمّا الباقون ، فقد تمكنوا من الانسحاب بعد أن عم الاضطراب صفوف القوات الافرنسية .

كان من الصعب جداً إحصاء خسائر الافرنسيين ومعرفة عدد قتلاهم بدقة ، وقد أكد المدنيون الجزائريون الذين أرغموا على نقل جثث القتلى أن عدد هؤلاء يزيد على بضع مئات (ما بين قتلى وجرحى) .

ولعل مـا يؤكد الحجم الكبير للخسائر الافرنسية في الأرواح ، هو إقدام القيادة الافرنسية على تخصيص أربع عشرة سيارة من سيارات الاسعاف لاخلاء الجرحى (عشر منها عسكرية وأربع مدنية) بالإضافة إلى تخصيص ثلاث طائرات عمودية (هيليكوبتر) لإخلاء الجرحى . وكذلك تخصيص ست مركبات كبيرة (من نوع ج.م.س) لإخلاء القتلى . أما في مجال الخسائر المادية ، فبالإضافة إلى الطائرات الثلاث التي أسقطت محترقة ، تمكن المغاوير من تدمير دبابة بنيران البازوكا ـ في بداية المعركة .

* * *

تلك هي بعض ملامح معركة (عنابة)

وقد كانت هذه المعركة البطولية الرائعة ، مناسبة جديدة ، أكد فيها جيش التحرير الوطني الجزائري تفوقه في ميدان الصراع المسلح ، كما برهن فيها المجاهدون على قدرتهم في استيعاب الأسلحة الحديثة وكفاءتهم العالية في استخدامها .

واكتسبت معركة عنابة أهمية خاصة بسبب وقوعها في فترة كانت أجهزة الجمهورية الخامسة (حكومة ديغول) العسكرية منها والاعلامية والسياسية تزعم أنها في سبيلها إلى (تهدئة البلاد) . فظهر للعالم أجمع أن الجزائر الثائرة هي أبعد ما تكون عن التهدئة بالوسائل القمعية . واكتسبت معركة عنابة أهمية خاصة أيضاً لانها وقعت في فترة حرجة كانت فيها حكومة ديغول تحاول الاعتماد على مراكز قوى تبادلية يمكن لفرنسا الاستعمارية ان تتفاهم معها ـ ضد جبهة التحرير الوطني ـ المتصلبة ـ على حد زعم الافرنسيين، فجاءت معركة عنابة لتبرهن للجميع بأن جبهة التحرير الوطني (وجيش التحرير الوطني ـ الجهاز التنفيذي للجبهة) هي القوة الوحيدة التي يمكن لها تقرير حق الجزائر في مستقبلها ـ بالحرب أو بالسلام ـ .

وكان لمعركة عنابة أهميتها الخاصة أيضاً لأنها جاءت في فترة ، حاولت فيها حكومة ديغول التنكر لكل العوامل التي أدت الى الثورة ، ودفعت شعب الجزائر المجاهد لحمل السلاح ، فظن ديغول ـ وحكومته ـ أنه يستطيع عن (طريق إقامة بعض المشاريع الصناعية والاقتصادية) امتصاص نقمة الشعب الجزائري ، فراح يشجع رؤ وس الأموال الايطالية على المساهمة في إقامة (معمل عنابة) ، وانصرف إلى وضع مشروع (قسنطينة) لتطوير الولاية التي كانت

مهداً للثورة . وجاءت معركة عنابة لتحبط كل المشاريع الوهمية ، ولتسقطها دفعة واحدة . وكان المدنيون الافرنسيون ـ المستوطنون ـ وسواهم من الأوروبيين ـ يعتقدون حتى ذلك اليوم أن باستطاعة الجيش الافرنسي فرض وجوده والسيطرة على الموقف ـ إذا ما أراد ذلك ـ ولكن هؤلاء شاهدوا بأعينهم البرهان على ضعف الجيش الافرنسي المتفوق مادياً بالقوى والوسائط ، وتأكدوا من تفوق جيش التحرير الوطني معنوياً والذي بات يمتلك من الوسائط ما يؤهله ليكون متفوقاً مادياً أيضاً .

وباتت قضية حسم الصراع لمصلحة الثائر الجزائري قضية زمن لا أكثر . وكانت معركة عنابة نقطة من نقاط الانعطاف الحاسمة في تطور (جيش التحرير الوطني الجزائري) .

١٠ ـ عام الانتصارات (١٩٦٠)(*)

مضت خمسة أعوام على بداية الثورة وهي تسير قدماً ، بتصميم وثبات ، نحو النمـاء والتعاظم ، حتى إذا ما بدأت السنة السادسة من عمر الثورة ، مع بداية سنة ١٩٦٠ ، أصبح باستطاعة جبهة التحرير الوطني وجهازها التنفيذي (جيش التحرير الوطني) السير بخطوات أوسع نحو النهاية الحتمية لخط الثورة . فكانت سنة (١٩٦٠) بحق (سنة الانتصارات) على كل الصعد والمستويات . وبصورة خاصة منها صعيد (الصراع المسلح) . وقد يكون من العسير رسم لوحة شاملة لهذا التطور . إلا أنه ليس من الصعب تكوين فكرة عامة من خلال استقراء ملامح بعض المعارك التي جرت في ناحية محدودة (من نواحي بني صالح) خلال مدة وجيزة لا تزيد على الشهر وبضعة أيام .

* * *

في صبيحة يوم ٣١ ـ اكتوبر ـ تشرين الأول ـ ١٩٥٩ . قامت

(*) المرجع : مجلة (المجاهد) الجزائرية ، العدد ٥٩ ـ ١١/١/١٩٦٠ .

كتيبة من كتائب جيش التحرير كانت مقيمة بنواحي (بني صالح) بإرسال دورية استطلاع ، وعندما عادت الدورية أفادت بأن هناك وحدة من الجيش الافرنسي تضم ثلاثين جندياً تقريباً ، قد توقفت في الجبل المقابل ، فسار مجاهدو الكتيبة على الفور ، سالكين الشعاب الضيقة والدروب الصعبة حتى لا يشعر العدو بحركتهم . وعندما وصلوا إلى مسافة قريبة من العدو ، نظموا قوتهم ، وضربوا نطاقاً حوله . ويظهر أن العدو لم يكن يتوقع ظهور المجاهدين في تلك الناحية ، ولهذا أهمل ترتيبات الأمن ، وانتشر أفراده فوق الأرض وقد ربطوا خيولهم إلى جانبهم . وبعد أن أحكم المجاهدون الحصار حول أعدائهم . أطلقوا نيرانهم كلها دفعة واحدة ، فلم يتمكن الجنود الافرنسيون من إبداء أية مقاومة ، وحاول بعضهم الفرار فصرعتهم رصاصات المجاهدين المحكمة . وما هي إلا ربع ساعة حتى كان المجاهدون يغادرون أرض المعركة التي امتلأت بجثث المرتزقة الاستعماريين ، ومعهم خيول العدو وأسلحته . وبعد فترة قصيرة ، بدأت نجدات العدو بتطويق الناحية من كل جانب ، وامتلأت السماء بالطائرات المتعددة الأشكال (من ب ٢٦ وموران والطائرات المطاردة وطائرات الاستطلاع) كما أخذت (١٨) طائرة عمودية (هيليكوبتر) بانزال قوات إفرنسية فوق قمم الجبال ، في حين كانت الأرض تهتز بالقنابل المتساقطة من كل مكان ، واشتعلت الغابة بقنابل النابالم التي كانت الطائرات تلقيها من غير توقف حتى أصبح الجبل كله مشعلاً من اللهب الحارق ، ولكن المجاهدين الذين كانوا يعرفون شعاب الجبل الخفية ودروبه السرية ، لم يعبأوا كثيراً بما يحيط بهم ، وأمكن لهم الخروج من دائرة الحصار بعد أن خاضوا اشتباكاً رهيباً مع إحدى وحدات العدو كبدوها فيه (٦٥) قتيلاً ، بحسب اعتراف

الضباط الافرنسيين ذاتهم . واستطاع المجاهدون فتح الثغرة ، والمرور بين قوات العدو ، واستشهد منهم (٧) مجاهدين خلال عملية فتح الثغرة كما أصيب خمسة آخرون بجروح مختلفة .

* * *

وفي يوم ٦ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٥٩ . وقعت معركة أخرى في (بوغنبوز) حيث كانت فرقة من فدائيي جيش التحرير الوطني مدعم بفوج من المجاهدين ـ جند جيش التحرير ـ ومعهم مدفع هاون ومدفع رشاش ثقيل ، وهم يتمركزون جميعاً في المنطقة . ولاحظت عناصر استطلاع هذه القوة أن هناك دورية استعمارية تنتقل في المنطقة دون أن تلاحظ هذه وجود قوة جيش التحرير . فانتظر المجاهدون حتى الساعة السادسة مساء (١٨٠٠) وبدأوا تحركهم في اقتفاء أثر الدورية الافرنسية . وكان تحرك المجاهدين بصمت تام وحذر شديد حتى وصلوا إلى منطقة مكشوفة (عارية من الأشجار) يحيط بها الجبل من كل جهاتها ، وفيها بركة ماء توقفت عندها الدورية الافرنسية ، وانصرف أفرادها للراحة من عناء السير المستمر طوال النهار ، وأخذ جند الدورية بغسل وجوههم ، دون الالتفات إلى ما حولهم ، حيث كان المجاهدون يتابعون تقدمهم حتى وصلوا إلى مسافة لا تبعد عن أفراد الدورية بأكثر من ثمانين متراً تقريباً . وفجأة ، فتحوا عليهم نار أسلحتهم الآلية ـ الأوتوماتيكية ، وقذفوهم بقنابل الهاون والقنابل اليدوية ، فأصيب أفراد الدورية الافرنسية بالهلع ، وتعالت صرخاتهم مختلطة بدوي الانفجارات ولعلعة الرصاص وأنين الجرحى واستغاثات المصابين ، وكان الجرحى يتوسلون إلى رفاقهم بألا يتخلوا عنهم ، أو يهربوا ويتركوهم . وعندما حاولت المدفعية الافرنسية التدخل لدعمهم ، وقعت قنابلها على القوات الافرنسية



دراسة مخطط المعركة - تصميم وفكر وعمل.

التي كانت قادمة لنجدة الدورية المحاصرة . وتابع المجاهدون مهمتهم ، وحملوا الأسلحة الكبيرة التي غنموها من معركتهم ، وانسحبوا بعد أن كبدوا العدو (٢٣) قتيلاً و (١٢) جريحاً . ولم يصب أحد منهم بأذى ، وأمكن لهم النجاة سالمين بالرغم من وفرة قوات العدو التي أخذت في البحث عنهم .

* * *

وفي يوم ٢٣ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٥٩ . خاض المجاهدون معركتين (في عين القصبة) و (تافر) وكان النصر حليفهم في المعركتين .

سارت قوة من المجاهدين متوجهة نحو هدفها حتى وصلت الى مرتفع (القروم الأكحل) وصعد مراقب من هذه القوة إلى صخرة مرتفعة عالية تشرف على المنطقة كلها ، وأخذ ينظر باحثاً من خلال عدسات منظاره المقرب على أمل العثور على ضالته المنشودة ، والتي أخبرته عن وجودها في المنطقة مصلحة الاستعلامات في قيادته ، ولم يطل البحث به كثيراً فقد كشف له المنظار عن وجود تحركات للعدو فوق مرتفع (عين القصبة) والذي كان يبعد عن نقطة مراقبته مسافة لا تزيد على الميلين فقط . ولما كان وجود العدو فوق هذا المرتفع يعيق مجموعة المجاهدين عن تنفيذ المهمة المحددة لها . فقد عمل قائد قوة المجاهدين على تقسيم قوته إلى وحدتين وكلفهما السير على اتجاهين مختلفين للوصول إلى المرتفع . وعند الاقتراب منه ، تابع المجاهدون تقربهم زحفاً وبوثبات قصيرة ، حتى لا تكتشف وجودهم وحدة معادية أخرى ، كانوا قد مروا بها في طريقهم قبل ذلك . وكان الوقت ظهراً عندما وقع الاشتباك القصير والحاسم ، والذي أسفر عن قتل ثمانية جنود للعدو ، وجرح أربعة

آخرين ، وأصيب مجاهد بجرح بسيط . وانسحبت قوة المجاهدين بسرعة قبل قدوم النجدات الافرنسية التي لم تكن بعيدة عن موقع الاشتباك (في عين القصبة) . وسار المجاهدون على الطريق المؤدي إلى (تافر) . وقبل الوصول إلى مفترق الطرق هناك ، لاحظ المجاهدون آثاراً تشير إلى وجود قوة افرنسية ، وأدرك المجاهدون على الفور أن هذه القوة قد نصبت لهم كميناً عند مفترق الطرق . وأفاد المجاهدون من معرفتهم الدقيقة لكل شبر من الأرض بقدر ما أفادوا أيضاً من معلوماتهم الدقيقة عن قوات العدو في المنطقة وتحركاتها ، ولهذا انسحبت قوة المجاهدين إلى الخلف قليلاً ، تحت حماية الرشاشات التي اختارت مواقع مناسبة لها للعمل ضد قوات الكمين فيما إذا حاولت التدخل . وأقام المجاهدون بدورهم كميناً غير بعيد عن المنطقة ، ولم يطل بهم الانتظار فقد أقبلت قوة افرنسية من الاتجاه المقابل نحو موقع الكمين وفتح عليهم المجاهدون نيرانهم الكثيفة والمركزة ، فأسقطوا الأنساق الأولى منهم وأرغموهم على التراجع بعد أن دمروا بنيرانهم أيضاً قوة الكمين الافرنسي . وانسحب المجاهدون تاركين وراءهم عشرات القتلى والجرحى ، وعادوا الى مركزهم الأصلي من غير أن يصاب أحدهم بأذى . .

* * *

وكانت قد وقعت معركة كبيرة في أوائل شهر تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ **١٩٥٩** عند الجهة الغربية من (واد ـ سودان) وقد يكون من المناسب الاشارة إليها باعتبارها من أهم المعارك التي وقعت في هذه الناحية خلال تلك الفترة . وقد اشتركت في المعركة فرق متعددة من جيش التحرير . وكانت بداية المعركة عندما نصبت كتيبة من

كتائب جيش التحرير كميناً لقوة افرنسية ، وأسفر الكمين عن قتل أربعين جندياً افرنسياً ، ثم بدأت القوات الافرنسية في التدفق من كل مكان حتى بلغ عدد أفرادها نحواً من أربعة آلاف جندي ، تدعمهم الدبابات ونيران المدفعية الثقيلة وتحميهم الطائرات . وقد استطاعت فرق جيش التحرير تجنب الاشتباك في معارك كبرى مع قوات العدو الضخمة ، كما أمكن لها تفادي قنابل المدفعية وضربات الطيران بفضل ما توافر لها من الخبرة في تعاملها مع العدو وأساليبه ، واكتفت فرق جيش التحرير بتوجيه ضرباتها إلى الجوانب الضعيفة من تنظيم العدو ، ونصب الكمائن لوحداته المنعزلة ، ثم الاختفاء بسرعة مذهلة عند قدوم نجدات كبيرة من قوات الافرنسيين .

واستطاعت بذلك قتل خمسين جندياً افرنسياً ـ آخرين ـ من بينهم ضابط برتبة نقيب (كابتن) . هذا ولم تتجاوز خسائر المجاهدين حدود استشهاد مجاهد واحد ، وإصابة أربعة مجاهدين آخرين بجراح متفاوتة . ونجحت كافة فرق المجاهدين في التسلل من بين قوات العدو التي اندفعت كلها نحو جبل (واد ـ سودان) ولشد ما كان ذهولها عندما وجدت أنها وقعت على (فراغ) فلم تعثر على أحد من المجاهدين الذين ما كان لهم أن ينجزوا ما حققوه من انتصارات ، وأن يبلغوا ما حصلوا عليه من نجاح ، لولا ذلك الدعم الذي كان يقدمه لهم الشعب ، وهو يرافقهم في كل خطوة من خطواتهم ، ويقدم لهم المساعدة في كل أمر كانوا يحتاجون فيه للمساعدة . وبذلك استطاع المجاهدون العودة إلى مراكزهم المحصنة وقواعدهم المأمونة ، سالمين ومحملين بالغنائم .

* * *

ومن المعارك التي تجدر الإشـارة إليها ـ في هذا المجال ـ معركة جبل (بوزيد) الـتي وقعت في يوم ١٢/١٢/١٩٥٩ . ففي فجر هذا اليوم ، أفاقت قوة من مجاهدي جيش التحرير كانت تقيم في (جبل بوزيد) وقد أقبل إليها المواطنون ينذرونها بتقدم قوات افرنسية كبيرة نحو الجبل . وأسرع المجاهدون فاحتلوا مواقعهم الحصينة ومراكزهم المموهة باتقان ورابطوا هناك وهم على استعداد كامل لإبادة قوات العدو التي قد تقترب من مواقعهم ، غير أن القوات الافرنسية كانت تتحرك بحذر فلم تتوغل كثيراً في تقدمها ولم تقترب من مواقع المجاهدين الذين مكثوا ينتظرون طوال اليوم وقد أتعبهم الانتظار بأكثر مما تتعبهم المعارك والاشتباكات ، ومع اقتراب المساء ، تم توزيع قوة المجاهدين ، وتقسيمها إلى زمر صغيرة مهمتها نصب الكمائن لقوات العدو . وهنا أيضاً أفاد المجاهدون من ظلمة الليل ومن معرفتهم لشعاب الجبال ودروبها ، فمضوا نحو أهدافهم . وتوجه الفوج الأول على المسالك الوعرة المؤدية الى الطريق العام من جانب مستور (خفي) لا يتوقعه العدو . وأمكن لهذا الفوج أن يباغت دورية افرنسية كانت على جانب الطريق ولم تشعر باقتراب المجاهدين من خلفها إلا عندما فتح المجاهدون نيرانهم وقذفوا قنابلهم اليدوية . وعندما حاول بعض أفراد الدورية الفرار ، طاردتهم نيران المسدسات الرشاشة واستولى المجاهدون على أسلحة الدورية التي أبيد أفرادها ، وانسحبوا آمنين .

أعقب ذلك اشتباك آخر ، في ناحية تغطيها الصخور المنيعة التي احتمى بها المجاهدون وراحوا يوجهون إلى العدو نيرانهم الكثيفة من أسلحتهم الحديثة ، وأفاد المجاهدون من وجود العدو في منطقة مكشوفة ، فأوقعوا به خسائر فادحة لا تقل عن خمسين قتيلا

وجريحاً ، واستشهد من المجاهدين رجل واحد ، وأصيب ثلاثة بجراح خفيفة . وقبل أن ينسحب المجاهدون ، قاموا بزرع لغم مضاد للدبابات فوق أرض الطريق العام ، ثم انسحبوا إلى ملاجئهم المأمونة . وفي صباح اليوم التالي جاءت قافلة كبيرة من سيارات العدو متجهة نحو مكان الاشتباك ، فانفجر اللغم تحت سيارة نقل عسكرية كبيرة (ج . م . س) كانت تحمل عشرين جندياً . وتطايرات أجزاؤها مع أشلاء الجنود الأعداء فوق مساحة تبعد عشرات الأمتار عن الطريق . وتوقفت القافلة بكاملها لمدة تزيد على الثلاث ساعات . ولشد ما كانت فرحة مجاهدي جيش التحرير والمواطنين الذين وقفوا معهم وهم يتابعون العدو من خلال عدسات المناظير المقربة . ولقد انطلق المواطنون والحماسة تملأ نفوسهم ، يعانقون هؤلاء المجاهدين الذين انتقموا لهم عما أنزلته بهم القوات الاستعمارية من ضربات وحشية .

* * *

خلال هذه الفترة ذاتها ، كان الفدائيون يعملون على تصعيد عملياتهم في المدن حتى بلغ معدل هذه العمليات حدود (٣٦) عملية في كل (٢٤) ساعة . وارتفع صوت المتطرفين الاستعماريين مطالباً بفرض حالة الحصار الكامل على المسلمين . وأعلن (المعمرون) سخطهم على السلطة الإفرنسية التي لم تتمكن من حمايتهم ـ من ضربات الفدائيين ـ وشكلوا وفداً لمقابلة قائد المظليين ـ سفاح مدينة الجزائر الجنرال ماسو ـ لبحث هذا الموضوع . أما القيادة الإفرنسية فقد كان لديها ما يكفيها من المتاعب بسبب وفرة الكمائن التي ينصبها الفدائيون ضد القوات

الإفرنسية ، وزاد من حيرة القيادة الإفرنسية واضطرابها كثرة ضربات الفدائيين للأجهزة الاقتصادية والعسكرية الإفرنسية . الأمر الذي دفع الناطق الرسمي باسم القيادة الإفرنسية للاعتراف بأن معدل العمليات الفدائية قد بلغ في الأشهر الثلاث الأخيرة ـ من سنة ١٩٥٩ ـ ما يقارب (٣٢٤٠) عملية . هذا مع العلم أن القيادة الافرنسية لم تكن تعترف في بلاغاتها الرسمية بوقوع أكثر من خمس أو ست عمليات في اليوم . تلك هي الوضعية التي كانت عليها الجزائر يوم كان الجنرال شال : « يحدد موعداً قريباً للانتصار النهائي على ثورة الجزائر » .
وقد يكون من المناسب هنا العودة لمتابعة شريط الأحداث :

* * *

عقدت المنظمة الافرنسية التي كانت تحمل اسم (لجنة الدفاع عن التجار والصناع) اجتماعاً لها في مدينة الجزائر يوم ٢٦ ديسمبر ـ كانون الاول ـ ١٩٥٩ . صادقت فيه على بيان يعترف بتفاقم خطورة الاضطرابات ، وانعدام الأمن الذي بات مهيمناً على المدن الجزائرية . وكثرة عمليات الفدائيين ، ووجهت المنظمة المذكورة في بيانها احتجاجاً شديد اللهجة الى السلطات العامة بسبب ما وصفته : فقدان التدابير الحاسمة التي عادة ما تطبق فى كل بلد يعيش حالة (الحرب الثورية) . وطالبت : **بفرض حالة الحصار ، وقتل كل شخص يثبت أنه قام بعمل إرهابي ، أو شارك فيه ، وإعدامه فوراً مع عرض جثته على العموم .**

وفي يوم (٤ جانفي ـ كانون الثاني ـ ١٩٦٠) صادق أربعون معمراً من معمري (المتيجة ـ أو المتوجة) على بيان « استنكروا فيه تهاون السلطات الحكومية وعدم اهتمام البرلمانيين ، وطالبوا :

« **بتعزيز الجهاز الدفاعي ـ وتطبيق تدابير ناجحة، واكثر فاعلية ضد الارهاب** » وهي تدابير معروفة للجميع وتقضي «بالعقاب الفوري ـ لكل مشتبه به » وقرروا «بأن يجتمع كل المزارعين في منظمة واحدة تقدم للسلطات المسؤولة التدابير اللازمة ـ لضمان حياتنا » .

وبعد ثلاثة أيام (في ٧ جانفي ـ كانون الثاني ـ ١٩٦٠) اجتمع أربعمائه معمر(*) تقريباً في (الحراش) . وقرروا الاستغاثة ـ بالجنرال ماسو ـ وأكدوا ما جاء في بيان ٤ جانفي » .

لقد جاءت هذه البيانات الصادرة عن اوروبيي الجزائر ، لتؤكد حقيقة واحدة وهي : وقوع المعمرين تحت هيمنة الرعب . وإذن ، فأين ذهبت أفراح الاوروبيين وابتهاجهم قبل سنة عندما أعلن عن برنامج (شال) للقضاء على الثورة ؟ . وأين ذهبت تلك الآمال الضخمة التي علقها الأوروبيون على مشجب (عملية جوميل) لتهدئة البلاد ؟

وأين هي الانتصارات التي طالما بشربها وأعلنها القادة العسكريون من أمثال : (شال) و(ماسو) و(غامبير) وسواهم ؟ ثم أين هي التأكيدات الرسمية التي تقول أن (برنامج شال) قد نجح في تطهير المناطق الجبلية من الثوار ، وقضى على الخلايا الارهابية في المدن ؟ . . .

لقدظهر فشل (برنامج شال) بوضوح تام ، وأكثر من أي يوم مضى ، فالاشتباكات المظفرة ، والكمائن الناجحة ، وتدمير

(*) المعمر ـ حفيد الاستعماري القديم ـ والذي ولد في الجزائر وعاش فيها ، فشكل مع المعمرين الطبقة الجديدة من القاعدة الاستعمارية .

الخطوط الحديدية ، وإغارات الفدائيين الرائعة والمثيرة ، باتت تجتاح جميع المناطق التي طبق فيها (برنامج شال) . بل إن الاشتباكات والكمائن والمعارك لم تعد محجوزة في حدود المناطق الجبلية البعيدة عن العمران ، بل إنها صارت تقتحم أبواب المدن الكبرى ، وتمتد الى سهول متيجة (متوجة) والى ضواحي العاصمة (الجزائر) .

هذا بالاضافة إلى العمليات الكبرى التي تصطدم بها الفرق الافرنسية في الجبال ، وبالاضافة أيضاً إلى ما كان يقوم به الفدائيون داخل المدن الكبرى ـ بما فيها العاصمة ذاتها ـ من مضاعفة لنشاطاتهم ، وزيادة في حجم عملياتهم وعددها . وقد اعترفت المصادر الافرنسية ذاتها بهذا النشاط العسكري الكثيف ، ونشرت وكالات الأنباء الأجنبية تفاصيل وقائعه . وكان ذلك اعترافاً رسمياً بفشل (برنامج شال) الذي علقت عليه القيادة الافرنسية اكبر الآمال في القضاء على الثورة ، حتى أن الجنرال (ديغول) نفسه ، اعتز به ، فكان أن وجه في افريل ـ نيسان ـ ١٩٥٩ رسالة الى (شال) يهنئه فيها على نجاح المرحلة الأولى من برنامجه في تهدئة (جبال الونشريس) . والواقع أن الجنرال (شال) جاء بأسلوب جديد ، وغير تكتيكي معروف ، لكنه لم يتمكن من التغلب على المصاعب التي كانت تواجه أسلافه وما انفكت تواجهه ، لقد كانت الوضعية قبل (برنامج شال) تتمثل في اللوحة التالية :

كانت الوحدات الكبرى من جيش التحرير الوطني متجمعة في مناطق محصنة ، وكان الجيش الافرنسي موزعاً على مراكز الكادرياج ـ المربعات ـ أما شال فقد أراد تجميع قوات افرنسية ضخمة ليضرب بها مراكز جيش التحرير الوطني ويقضي عليها ،

لكنه لم يحسب حساباً للسرعة التي يتكيف بها جيش التحرير مع المواقف المستجدة على ساحة الصراع . وكانت النتيجة أن أصبحت القوات الافرنسية متجمعة في جهات معينة بعد أن جلت عن مناطق شاسعة ، وأصبح جيش التحرير الوطني منتشراً على شكل فرق صغيرة حتى يسهل عليها الاختفاء من جهة ، ويسهل عليها في الوقت نفسه مهاجمة المراكز المنعزلة ، وتوجيه الضربات الخاطفة الى الدوريات والقوافل الافرنسية .

وهكذا انعكست الوضعية ، فأصبح الجيش الافرنسي هو المتجمع في وحدات ضخمة ، وجيش التحرير هعو المتوزع في كل مكان ، مع فارق أساسي ، وهو أن جيوش الاحتلال المتجمعة تجد نفسها أمام ثلاثة أعداء : الأرض والسكان وجيش التحرير ، بينما يجد جيش التحرير ، أينما اتجه ، وحيثما حل ، تأييداً حاراً من المواطنين ، ودعماً حقيقياً وفعالاً باستمرار . وقد اعترف (الجنرال ـ ديكورنو) المشرف على تنفيذ عمليات (الأحجار الكريمة) في الشمال القسنطيني ، بهذه الحقيقة ، فقال : « إن سكان هذه المناطق صورة عن الأرض التي يقيمون عليها : إنهم شديدو المراس ، غلاظ الطباع ، غير متشربين لأفكار فرنسا . لقد كنا في الأوراس نواجه عدوين : الجبال الصعبة والغابات ، وكنا في بلاد القبائل نواجه عدوين أيضاً وهما : الجبال الصعبة والسكان . أما هنا فإننا نواجه ثلاثة أعداء في آن واحد : الجبال الصعبة والغابات والسكان » .

لقد تطورت أساليب جيش التحرير بسرعة مذهلة ، وهو مما ضاعف من عوامل الفشل العسكري الافرنسي ، فما أن اصطدم جيش التحرير بالتكتيك الافرنسي الجديد في ناحية (الونشريس) الواقعة في الولاية الخامسة حتى أسرعت قيادة الولاية الخامسة بإعلام

القيادة العامة عن التكتيك الافرنسي الجديد ، وبادرت القيادة العامة فوجهت تعليمات عسكرية جديدة إلى مجالس جميع الولايات حتى تعمل بمقتضاها ، وتستعد على ضوئها لمواجهة البرنامج الافرنسي الجديد . وأفاد جيش التحرير من تجربة الولاية الخامسة في مواجهة (برنامج شال)، ولما انتقل هذا البرنامج إلى الولاية الرابعة ثم الثالثة ، كان جيش التحرير في كل مرحلة من تلك المراحل يزيد من إحكام اساليبه وتطويرها واتقانها ، بحيث لم يصل (برنامج شال) الى نهايته - وهي عمليات الشمال القسنطيني - حتى بات جيش التحرير وهو على استعداد كامل لمواجهته . وهذا ما يفسر مقدرة جيش التحرير في هذه المنطقة على توجيه ضربات حاسمة الى القوات الاستعمارية ، في الوقت الذي ظهر فيه عجز الاستعماريين الافرنسيين عن إلحاق خسائر حقيقية بقوات جيش التحرير الوطني . وهذا ما عبرت عنه عمليات جيش التحرير الناجحة في المعارك والاشتباكات والكمائن التي كان مسرحها (مليلة) و(القل) و(جيجل) و(تاكسانة) و(سيدي زروق) و(تامسقيدة) و(فج مزالة) وهذا أيضاً ما يفسر ارتباك القيادة الافرنسية واضطرابها في ادارة عمليات الشمال القسنطيني .

المهم في الأمر ، هو أن (برنامج شال) لم يتمكن من القضاء على المصاعب القديمة بقدر ما عمل على زيادة شدتها وتعقيدها ، فبات الجيش الافرنسي وهو يواجه في آن واحد ثلاث جبهات : جبهة (بلاد القبائل) حيث فرضت عليه (عملية جوڤيل) التمركز هناك . وجبهة (الخطوط المكهربة) في شرق الجزائر وغربها . وجبهة عملية (الأحجار الكريمة) التي بدأت القوات الافرنسية في تنفيذها مع بداية شهر تشرين الثاني - نوفمبر - **١٩٥٩** - في الشمال القسنطيني .

وكان لا بد من أن يضاف الى ذلك صعوبة جديدة نجمت عن تمديد أنبوب البترول (من حاسي مسعود) الى (بجاية) وقد أدركت القيادة الافرنسية أن هذا الأنبوب معرض لهجمات (فرق التدمير) التابعة لجيش التحرير ، وخصوصاً في المناطق الجبلية التي يمر بها مثل (جبال الحضنة) و(جهة البيبان) . واعتبرت أن أي تدمير للأنبوب في أي نقطة هو ضربة قاضية ، ليس فقط للجيش الافرنسي ، وإنما للاقتصاد الاستعماري بكامله والسياسة الديغولية بمجموعها ، ولا سيما المشروع القسنطيني الذي اعتبر أن بترول الصحراء وغازها هو عموده الفقري . وقد توقع قائد افرنسي كبير المصاعب الناتجة عن الموقف الجديد . فقال لجنوده ـ قبل الانتهاء من تمديد الأنبوب ـ ما يلي : «**ستصبحون عما قريب حراساً للأنابيب**» وقد تأكدت هذه الحقيقة في التعليمات التي وجهها وزير الجيوش الافرنسية (غيوما) الى (الجنرال شال) والتي جاء فيها : «**وبما أن البترول قد وصل الى بجاية ، فيجب ألا يتوقف عن التدفق مهما كانت الظروف . إن حماية البترول أمر أساسي نظراً للأهمية السياسية والنفسية التي تعلقها فرنسا على استثماره ، وهو أمر ضروري أيضاً لأن التزاماتنا أمام الشركات البترولية يقضي بضمان وصول البترول**» .

وهكذا بات لزاماً على الجيش الافرنسي أن يحتمل عبئاً جديداً هو حماية أنبوب يمتد على طول (٦٦٠) كيلو متراً . وقد تم توزيع قوات هذا الجيش فكان منها (٥٠) ألف جندي لممارسة الأعمال الادارية ، و(٦٠) ألفاً على المدارس . و(٥٠) ألفاً لحماية الخطوط المكهربة ـ هذا عدا الامدادات التي تستنجد بها هذه القوة كلما شدد جيش التحرير هجماته على هذه الخطوط المكهربة ، لا سيما في الفترة التي بدأت في ٢٦ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٥٩ . وهناك

(٣٠) ألفاً لحراسة الجسور والمعامل الخ . . و(١٣٠) ألفاً في مراكز التربيعات (الكادرياج) . ويبقى هناك (٢٠٠) ألف وهو عدد لا يكفي للتمركز في المناطق التي يمر بها أنبوب البترول .

ويظهر ذلك سبب عجز (برنامج شال) عن بلوغ أهدافه . فقد اضطر الجيش الافرنسي للجلاء عن معظم الولايات ، مما أتاح لجيش التحرير الفرصة للعمل بحرية من أجل تنظيم أمور الولايات وتجنيد المتطوعين ، وإقامة الأجهزة الأدارية الخ . . لقد خاض جيش التحرير حروبه بطرائقه وأساليبه ، وخاض الجيش الافرنسي حروبه بطرائقه وأساليبه ، فكان لا بد من انتصار جيش التحرير على جيش الاستعمار في عصر (زوال الاستعمار) .



إحدى عمليات رصد العدو وتحركاته

١١ ـ الصراع في قلب مراكز العدو ـ ١٩٦٠ ـ(*)

قامت وحدات من جيش التحرير الوطني الجزائرى بشن هجوم عام على المراكز العسكرية الافرنسية القريبة من الحدود الجزائرية ـ التونسية في ليل ٢٨ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٦٠ . وتميز الهجوم بقوته وعنفه فأمكن له تدمير عدد من المراكز العسكرية الافرنسية واحتلال بعضها والسيطرة عليها سيطرة كاملة . وقد حاولت القيادة الافرنسية ـ كعادتها ـ أن تنتقص من أهمية هذا الهجوم . غير أن الوثائق والصور والمقابلات ـ مع الأسرى والمواطنين الذين تم تحريرهم ـ دحضت المزاعم الافرنسية وأكدت حقيقة باتت ثابتة وأكيدة : صدق أجهزة إعلام جيش التحرير ، وكذب أجهزة إعلام الاستعمار الافرنسي . ولقد كان من بين أبرز المراكز التي تعرضت لهجوم مجاهدي جيش التحرير (مركز برج أمراو) و (مركز القوارد) و (مركز عين الزرقة) . وتلك هي الملامح العامة لعملية الهجوم .

* * *

(*) المرجع : من وثائق (المتحف الوطني للمجاهد) .

يقع مركز الحمدي (أو برج أمراو) فوق أرض منبسطة ، عارية من كل الأشجار ، ومكشوفة من كل جهاتها ، ما عدا جهة الشمال التي تتخللها شعاب صغيرة تنبت فيها نباتات (الدفلة) وتجري فيها بعض الجداول الصغيرة . وعلى بعد كيلومترين في اتجاه الشرق ، ترتفع الجبال التي تكسوها غابات البلوط والصنوبر ، ويضم المركز مجموعة من الأبنية وأبراج الحراسة ـ المراقبة ـ والملاجىء المحصنة ، بالاضافة إلى ثكنة كبيرة ، ومجموعة من الأكواخ التي أقيمت في وسط المركز من أجل حشر المدنيين الجزائريين المسلمين ممن أرغموا على الاقامة في المركز ، والعيش فيه ، وراء سياج من الأسلاك الشائكة المحيطة بالمركز من كل جهاته .

كانت قوة من مجاهدي جيش التحرير تسير تحت ضوء القمر في ليل ٢٨ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٦٠ . وهي متجهة نحو هدفها ، فوصلت في الساعة الواحدة صباحاً الى مسافة قريبة من المركز ، وتابعت زحفها بصمت حتى وصلت إلى سياج الأسلاك الشائكة والبالغ من العمق ـ العرض ـ عشرة أمتار تقريباً . وأعطيت شارة الانقضاض ، ففتحت الأسلحة نيرانها من كل جهة نحو المركز ، وفجرت الحشوات المستطيلة (البنغالور) تحت سياج الأسلاك الشائكة ، فانفتحت الثغرات ، واندفع المجاهدون بحماسة وهم يرددون صيحة الحرب: « الله أكبر ! الجهاد ! الجهاد ! » وبلغت الحماسة ببعض المجاهدين أشدها فدفعتهم لاجتياز الاسلاك الشائكة التي لم تمزقها المتفجرات بصدمة أجسامهم ، دون أن يحاولوا التمهل لقطعها بالمقصات التي كانوا يحملونها . وهدفهم الوصول بسرعة والقضاء على العدو قبل أن يستفيق من هول الصدمة ، وقبل أن يلتقط أنفاسه من ذهول المباغتة . وقد حاول

بعض أفراد العدو إبداء بعض المقاومة ، فوجهوا نار مدفع رشاش كان متمركزاً في أحد الملاجىء المحصنة . غير أن مدافع البازوكا للمجاهدين أسكتته بسرعة ودمرت الملجأ الحصين .

كانت المدفعية الثقيلة للمجاهدين قد دمرت الثكنة العسكرية وبرج المراقبة (الحراسة) وكثيراً من الأبنية العسكرية التي اشتعلت فيها النيران ، وتوالت بداخلها الانفجارات التي اختلطت بأصوات الجنود الافرنسيين وهم يتصايحون ويتركون مواقعهم للالتجاء إلى الملاجىء السرية . وعلى الرغم من تقدم المجاهدين من الاتجاه المكشوف نسبياً ، فقد كان رد فعل العدو ضعيفاً نسبياً ، وفي الواقع فقد اكتشف حارس برج المراقبة (الميرادور) حركة المجاهدين ، وحاول إطلاق شارة الإنذار ، غير أنه لشدة هلعه وجه شهاب الانذار نحو الأرض عوضاً عن توجيهه نحو السماء . فاحترق الشهاب من غير أن يشعر به أحد .

دمر المجاهدون مراكز الحراسة ، وانطلقوا بعدها في هجوم عاصف على الثكنة وبقية المنشآت العسكرية المجاورة لها . وكانت قد تهدمت كثيراً من جوانبها ، فدخلها المجاهدون ، فتعثرت خطواتهم بجثث القتلى من الجنود الافرنسيين المتناثـرة في كل مكان . ولما حاول بعض من بقي حياً الفرار ، عاجلته نيران رشاشات المجاهدين فصرعته فوراً .

وفي هذه الأثناء ، اتجهت إحدى وحدات المجاهدين نحو الأكواخ التي حشر فيها الجزائريون المسلمون . وتحدث إليهم قائد الوحدة بقوله :

« يا أبناء الجزائر ! اخرجوا ولا تبقوا تحت ذل الاستعمار الافرنسي » .

وتدافع المواطنون ـ المدنيون ـ نحو جيش التحرير بحماسة مثيرة ، وعواطف متفجرة طالما تم كبتها وجاءت فرصتها لتنطلق من عقالها ، فكانت صيحات هؤلاء المواطنين تتردد في جنبات المركز قوية مجلجلة : « عاش جيش التحرير الوطني ! ولتحيا جمهورية الجزائر حرة كريمة !» . ومر شيخ كهل وهو يحمل على كتفيه شقاء السنين فيحدث صاحبه ، وتلتقط أذن أحد المجاهدين ما يقوله :

«هل رأيت؟لقد أمرنا ضابط الشؤون الأهلية ـ الساس ـ ابن الكلب ـ بألا نفتح الأبواب غداً قبل الساعة التاسعة صباحاً . وها هم إخواننا الأبطال وقد جاءوا ليفتحوا لنا أبواب الحرية والعزة على مصراعيها » . وخرجت النساء من معتقلاتهن ، وهن يزغردن ـ اليويو ـ ويهتفن بحياة جيش التحرير ومجاهديه .

وانقلبت المعركة إلى عرس التقى فيه أبناء الشعب بجيش الشعب . وارتفع صوت امرأة وهي تتحدث إلى صاحبتها : « لقد تركت أربعين ألف فرنك ، فهل أعود لجلبها ؟ » وتجيبها المرأة الثانية : « أتركيها ، إن الوقت يستعجلنا ، غداً ، عندما تستقل الجزائر سيكون لديك الملايين لا الآلاف » . وأقبل طفل صغير راكضاً وهو يجر كلبه الصغير ، وسأل قائد المكلفة بتحرير المعتقلين بكل براءة الطفولة : أين طريق الحرية ؟ ووجهه قائد الوحدة الى الاتجاه الذي يجب عليه أن يسلكه . ثم أقبل طفل آخر مسرعاً وهو يحمل على كتفيه دثاره . وسأل أيضاً عن الطريق الذي يجب عليه أن يسير فيه ، غير أنه رفض متابعة السير قبل أن يقبل مجاهدي جيش التحرير الذين أطلقوه من معتقله ، وأعادوا إليه حريته المسلوبة . وجاءت مجموعة من النسوة إلى قائد الوحدة ، فقالت له إحداهن : « إن زوجي مجاهد في جيش التحرير ، وقد حرّرتموني لأعود وألتقي

به » وقالت أخرى : « إن زوجي خائن يعمل مع قوات ـ القوم ـ وأنا أتركه مسرورة سعيدة ، لأني لا أقبل العيش مع رجل يعمل مع أعداء وطنه وقومه . ولم أبق معه من قبل إلا تحت الضغط والاكراه » .

أكملت قوة المجاهدين عملها في تدمير المراكز والأبنية والأبراج والملاجىء ، وحررت المعتقلين ، فانتهت بذلك المهمة ، وبدأت عملية الانسحاب ، وظهرت بعض الدبابات الافرنسية التي وصلت من مراكز أخرى ، فجابهتها مدافع البازوكا بنيرانها المحكمة ودمرت اثنتين منها ، فأخذت بقية الدبابات بالانسحاب والفرار . وجاء رد فعل العدو التالي بقصف مدفعي حيث عملت المدفعية الافرنسية الثقيلة على قصف مساكن المدنيين قصفاً كثيفاً ومركزاً ، فقتل عدد كبير من المواطنين الجزائريين . وانتقم العدو بنذالة من المدنيين العزل ، بعد أن عجز عن مجابهة المسلحين من مجاهدي جيش التحرير .

عندما كانت وحدة مجاهدي جيش التحرير تنفذ عملياتها في مركز (امراو) كانت هناك زمرة منها تنفذ مهمة مستقلة ـ تقريباً ـ وهي : الهجوم على المركز الشمالي ببرج أمراو . كان المركز الشمالي لبرج (أمراو) يقع على رابية قريبة من الشعاب الصغيرة التي تتخلل الأرض الجرداء المحيطة (ببرج أمراو) . وقد وصل المجاهدون هنا إلى المركز في الساعة الواحدة صباحاً . وكشف المراقب ـ الحارس ـ أمرهم ، ولكنه بدلاً من إطلاق شارة الانذار ، قفز من مكانه ، ولاذ بالفرار . وبدأ المجاهدون عمليتهم بفتح الثغرات عبر سياج الأسلاك الشائكة التي ترتفع متراً عن سطح الأرض وتمتد بالعمق ـ العرض ـ هنا حتى إثني عشر متراً . وأمكن فتح الثغرات بالحشوات المستطيلة (البنغالور) . وما إن تم تنفيذ ذلك

بنجاح حتى اندفعت قوات المجاهدين كالسيل الجارف ، مدمرة في طريقها أبراج الحراسة (الميرادور) والملاجىء المحصنة (بواسطة مدافع البازوكا ومدافع عيار ٥٧ مم) . ولم تكن الأسلاك والملاجىء تبعد عن البناء الرئيسي للمركز بأكثر من مسافة لا تتجاوز العشرين متراً .

وهكذا لم تمض إلا ثوان قليلة على تدمير الملاجىء المحصنة ، حتى كان المجاهدون قد اندفعوا نحو البناء للقضاء على المقاومة المتمركزة فيه بالقنابل اليدوية ونيران المسدسات الرشاشة التي راحت تطارد الجنود الافرنسيين وهم يحاولون الفرار في كل اتجاه ، فترديهم النيران فوراً ، وتسقطهم ، وهم يصيحون برفاقهم بألا يتركوهم ، وأن يحملوهم معهم إلى الملاجىء . وكان الضباط هم أول من وصل الى الملاجىء المحصنة ، فانطلق المجاهدون في بحثهم عن الافرنسيين المختبئين في الملاجىء ، وكانوا كثيراً ما يتعثرون أثناء بحثهم ، بجثث القتلى المتناثرة والممزقة في كل مكان . وبينما هم كذلك ، سمعوا أصواتاً تناديهم باللغة العربية من أحد الملاجىء ، فتوجهوا نحو مصدر الصوت ، وإذ ذاك عثروا على ثلاثة من المجندين الذين أرغمتهم السلطات الافرنسية على العمل في صفوف قواتها ، فتم تحريرهم ، وانضموا إلى المجاهدين ، ووجهوهم نحو مستودعات ومراكز المدافع الرشاشة والرشاشات ـ الخفيفة منها والقصيرة ـ والقنابل اليدوية والوثائق والذخائر المخزونة في الملاجىء .

وكان بقايا الجنود الافرنسيين أثناء ذلك ، يتابعون محاولاتهم للفرار من جحيم المعركة ، وهم يطلقون صيحات الذعر والفزع . ولم يصمد منهم للمقاومة سوى جماعة التجأت إلى ملجإ حصين ،

وأخذت في إطلاق النار على المجاهدين من مدفع رشاش ـ هوتشكيس ـ ومن بندقية رشاشة أمريكية ، فتم التعامل مع هذه الجماعة بالقنابل اليدوية حتى تم إسكاتها والقضاء على رجالها . وحين انطلق المجاهدون للبحث بين الأنقاض ، عثروا على سبعة جثث ممزقة ، ووجدوا الأسلحة وقد صهرتها حرارة الانفجارات . ثم تابع المجاهدون بحثهم ، وأحرقوا مهاجع الجنود ، ودمروا المولد الكهربائي . وعندما أكملوا مهمتهم انسحبوا حاملين معهم ما حصلوا عليه من الغنائم : (الوثائق والأسلحة والذخائر والألبسة العسكرية والأجهزة اللاسلكية) .

* * *

في الليلة ذاتها ـ ليلة ٢٨ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٦٠ ، كانت قوة من مجاهدي جيش التحرير تشق طريقها عبر الشعاب الجبلية ، مستفيدة في تحركها من ضوء القمر ، حتى إذا ما تجاوزت الجبال الواقعة غربي (القوارد) سارت في أرض مكشوفة ، إلا من بعض الأشجار المتفرقة ، متجهة نحو المركز المحصن الذي شيدت جدرانه بالصخور الضخمة والتي يسميها الجزائريون باسم (حجر الجهال) لأنها من بقايا الآثار الرومانية . وبدأ المجاهدون تنفيذ مهمتهم بتدمير برج المراقبة ـ الحراسة ـ والجدار الغربي من المركز العسكري (المقابل لمحور تقدم المجاهدين) ثم اندفعت قوة الهجوم ، فدمرت في طريقها سياج الأسلاك الشائكة ، واجتازته بسرعة مذهلة ، غير مبالية بنيران العدو التي لم تستمر كثيراً ، فبعد أن رأى الجنود الافرنسيون قوة الهجوم وشدة اندفاعه ، لجأوا إلى الفرار ، فتركوا مواقعهم ، وتوجهوا إلى الملاجىء الحصينة . وعند

مدخل المركز ، اصطدم المجاهدون بدبابة افرنسية ، فوجهوا إليها طلقات مدفع البازوكا ، وأشعلوا النار فيها . وأثناء ذلك ، أمكن تدمير أربعة ملاجيء محصنة ، وقتل فيها عشرات الجنود الافرنسيين . ثم تابع المجاهدون تطوير هجومهم ، فأحرقوا في ساحة المركز أربع سيارات نقل كبيرة (ج. م. س) ودبابة وسيارة خفيفة (جيب) . وكان ضباط جيش التحرير يتقدمون قواتهم ، مستأثرين بمواقع الخطر ، ضاربين المثل الأعلى في التضحية والفداء ، في حين كان ضباط الإفرنسيين هم أول من لاذ بالفرار . ولم تمض فترة طويلة على بدء المعركة حتى أقبلت الطائرات الافرنسية (من طراز ـ ب ـ ٢٦) غير أنها لم تتمكن من التدخل في المعركة ، فقد أرغمتها نيران المدافع الرشاشة على البقاء بعيداً عن ميدان القتال .

كما أقبلت مجموعة كبيرة من الدبابات ، فوجدت مدافع البازوكا وهي لها بالمرصاد ، واشتعلت النار بسرعة فأحرقت دبابتين . وأصابت دبابة ثالثة ، ولم يبق أمام الجيش الافرنسي إلا أن يشارك في تدمير مركزه العسكري بعد أن عجز عن حمايته والدفاع عنه . فبدأت المدفعية الثقيلة (من عيار ١٠٥ و ١٥٥ مم) بقصف (مركز القوارد) وسقط كثير من قنابل المدفعية الافرنسية داخل مساكن المدنيين الجزائريين العزل ، فقتل وجرح عدد كبير منهم . وأصابت هذه القنابل بعض المجاهدين بجراح مختلفة ، فتم إخلاؤهم إلى مراكز الاسعاف وكانت خسائر المجاهدين لا تكاد تذكر ، أمام ما تكبده العدو من خسائر فادحة .

* * *

وعند الهجوم على مركز (عين الزرقة) اكتشف الحرس

الافرنسي أن شيئاً غريباً يحدث حولهم ، فأطلقوا شارة الانذار ، وكان المجاهدون أثناء ذلك يتقدمون بسرعة نحو المركز الذي استمر في إطلاق الشهب المضيئة وقنابل المدفعية ، الأمر الذي كان يرغم المجاهدين على تكييف حركاتهم - في الركض والسير والزحف والتوقف - مع انطلاقات الشهب وإيقاع رمي المدفعية . وإذ تبين للمجاهدين أن قنابل المدفعية باتت تسقط متناثرة وبعيدة عنهم ، عرفوا أن هذه الرمايات لا تعبر عن شيء إلا عن خوف الافرنسيين من احتمالات حدوث هجوم . فاندفع المجاهدون نحو هدفهم ، وما هي إلا فترة قصيرة حتى أصبح المركز الافرنسي شعلة من الحرائق وبركاناً من الانفجارات .

وكان المجاهدون يتابعون الجنود الافرنسيين الذين نزل بهم الفزع الأكبر فانطلقوا يجرون على غير هدى ، وهم يصرخون ويحاولون الفرار ، فتصلهم رصاصات رشاشات المجاهدين فتسكت أصواتهم . وتم للمجاهدين أثناء ذلك فتح الثغرات في السياج الشائك ، واندفعوا نحو المركز بعد أن انقسموا إلى مجموعات صغيرة للتعامل مع الأبنية العسكرية في وقت واحد . ولم يكن العدو يبدي مقاومة من داخل المركز بعد وصول المجاهدين إليه ، غير أنه لم يستسلم أيضاً ، وإنما التجأ الى مخابئه وملاجئه السرية والمحصنة . ووجه المجاهدون النداء تلو النداء إلى الجنود في ملاجئهم ، طالبين إليهم الخروج والاستسلام من غير مقاومة . وعندما رفض هؤلاء الاستجابة للنداء ، كان لا بد من تدمير الملاجىء على رؤوس المحتمين بها ، الواثقين بقوتها ومنعتها . وكانت تنبعث من تحت الأنقاض صيحات الفزع وأنات الألم وحشرجات الاحتضار . ورمى بعض المجاهدين قنابل يدوية داخل مباني المركز الذي تهدمت

جدرانه في كثير من جنباتها . واقتحموا المبنى فلم يجدوا فيه إلا الجثث الممزقة والمتناثرة بين حطام الأثاث . وألقيت قذائف البازوكا على أحد البيوت ، فأحدث انفجارها دوياً هائلاً ، وارتفعت ألسنة اللهب تشق عنان السماء ، فعرف المجاهدون أنه كان مستودعاً للذخيرة ، وعلى نور القمر والضوء الساطع الذي أحدثته النيران المشتعلة في المركز ، أصبح باستطاعة المجاهدين رؤ ية جماعات الجنود الافرنسيين بوضوح تام . وكان هؤلاء يحاولون الفرار فتسبقهم رصاصات المجاهدين وترديهم فوراً . واستيقظ المدنيون الجزائريون الذين أرغموا على الاقامة في (مركز عين الزرقة) وقد تحول الليل نهاراً ، واندفعوا بفرح لم يشعروا بمثله منذ سنوات طويلة ، وهم يحملون معهم أطفالهم ، لينطلقوا إلى خارج المعسكر ، بانتظار انتهاء مجاهدي جيش التحرير من تنفيذ واجباتهم ، والانتقال معهم بعيداً عن جو الذل والهوان .

وفي الوقت الذي كانت فيه إحدى وحدات المجاهدين توجه المدنيين نحو الطريق الذي يجب اتباعه ، كانت وحدة أخرى تتابع تنفيذ مهمتها في جمع الغنائم التي خلفها العدو ، وكانت هناك وحدة تواجه بمدافعها ورشاشاتها رتلاً من الدبابات الافرنسية التي جاءت لنجدة المركز ، فأرغمت على الفرار بعد أن تركت فوق أرض المعركة دبابتين محترقتين . وهكذا سيطر مجاهدو جيش التحرير سيطرة كاملة على مركز (عين زرقة) ثم غادروه مع مطلع النهار حاملين أسلحتهم وذخائرهم التي غنموها من العدو ، وبرفقتهم المدنيون الذين تحرروا ليبدأوا حياة جديدة .

* * *

تلك هي بعض ملامح الصراع المسلح الذي خاضه مجاهدو جيش التحرير الوطني الجزائري . وتلك هي أيضاً الخطوط العامة لتطور جيش التحرير الوطني الجزائري عبر الصراع المرير . وتضيق صفحات (الكتيب) عن استيعاب الوجيز في قصة جيش التحرير وتطوره . وإذن فلا بد من استكمال البحث في (كتيب) آخر يتابع مضمون القصة ويحاول إبراز اكثر ملامحها فائدة ومتعة وأهمية .

قـراءات

١ ـ القانون الأساسي لجيش التحرير الوطني الجزائري (١٩٥٨)
٢ ـ المبادىء العشرة لجيش التحرير الوطني .

١ ـ القانون الأساسي لجيش التحرير الوطني الجزائري

قررت لجنة التنسيق والتنفيذ ، أثناء اجتماعها المنعقد بتاريخ **١٢** افريل ـ نيسان ـ **١٩٥٨** ، بأن التوجيهات الآتية المتعلقة بحفظ النظام العام والتشريع القضائي العسكري ، يقع تطبيقها في جميع صفوف جيش التحرير الوطني فور نشرها .

الباب الأول

دليل المجاهد

الفصل الأول

حقيقة المجاهد :

يعتبر مجاهداً كل جزائري التحق بمحض إرادته في صفوف الوحدات النظامية لجيش التحرير الوطني ، للمساهمة في تحرير التراب الوطني بواسطة السلاح

يعتبر كل مجاهد متطوعاً طوال مدة الحرب التحريرية .

يتمتع المجاهد في صفوف جيش التحرير الوطني بحقوق ، كما أنه ملزم بواجبات .

يجب أن يكون سلوك المجاهد قويماً وبعيداً عن كل خدش أو مؤاخذة ، ثم زيادة على الصفات الفكرية والجسدية التي تتماشى مع مهمته التحريرية ، فان المجاهد لا يقبل مبدئياً ، في صفوف (جيش التحرير الوطني) إلا اذا بلغ عمره (١٨) عاماً على الأقل و (٤٠) عاماً على الأكثر .

الفصل الثاني

واجب المجاهد نحو وطنه :

يتحتم على المجاهد أن يكون قد ركز حب الوطن في نفسه ، كما يجب عليه أن يقدم الدليل على التفاني الكامل الذي يصل به إلى حد التضحية بحياته في سبيل تحرير بلاده والدفاع عنها . ويجب على المجاهد أن يكون كله عطف ومراعاة نحو شعبه الذي منه نشأ ومن أجله يجاهد . يجب أن تكون علاقات المجاهد مع الشعب مميزة بطابع الاحترام والتقدير . كما يجب على المجاهد أن يحمل في قلبه حباً عميقاً للسكان ، وأن لا يتردد في التضحية بنفسه لدفع كل أذى عنهم . فاستمالة الشعب بالمجاملة ، وبذل الذات ، يتحتم أن تكون من صفات المجاهد الذي يجب عليه أيضاً أن يربي في نفسه على الدوام ، إكبار الشهداء ، وإجلال العلم .

واجب المجاهد مع نفسه :

على المجاهد أن يحترم نفسه ، وأول ما يحترم به المجاهد نفسه هو النظافة البدنية . وعليه أن يمحو من نفسه كل شعور أناني . كما بجب أن يركز فيها بصورة عالية وراسخة ، صوت الضمير والاحساس بالواجب ، ويجب ألا يتساهل المجاهد مع نفسه ، بل عليه أن يحاسبها كل يوم في كل شيء .

على المجاهد أن يرفض كل اعتبار يؤدي إلى الانفعال أو التأثر نتيجة حب الذات ، بل عليه أن يكون طاهراً وصريحاً ومخلصاً .

يطلب إلى كل مجاهد القيام بشعائره الدينية الاسلامية ، كما يطلب منه أن يحب رؤساءه ورفاقه وسلاحه .

إن مصلحة الوطن يجب أن تكون رائده في الحياة .

واجب المجاهد نحو إخوانه :

على المجاهد أن يكون متفانياً في خدمة إخوانه ، وأن يشاطر كلاً منهم آلامه . كما يطلب منه أن يحاول التخفيف عن كل من أصيب منهم بنائبة . وعلى المجاهد أن يكون مثالاً للسيرة الحميدة والشجاعة لجميع إخوانه . وإن مساعدته لهم فرض عليه ، خاصة في أحلك أوقات الكفاح المشترك .

واجب المجاهد نحو رؤسائه :

احترام الرؤساء والامتثال لهم واجب على كل مجاهد ، إذ يتحتم عليه أن يولي ثقته الكاملة لرؤسائه ، وأن يطيعهم في جميع الظروف ، وفي كل مكان .

التحية هي العلامة الظاهرة التي تدل على الاحترام ، ولذا وجبت تحية كل ضابط في جيش التحرير الوطني .

على المجاهد أن لا يحيد عن الهيئة العسكرية أمام قادته ، وليس له أن يناقش أي أمر . كما لا حق له في الاعتراض على الأوامر إلا بعد تنفيذها .

واجب الرئيس نحو مرؤوسيه :

يجب أن يكون الرئيس أو القائد مثالاً للتضحية والشجاعة والعدل

والتفاني في خدمة مرؤ وسيه . يجب عليه أن يكون صارماً وأبوياً في وقت واحد، كما يجب أن يكون قادراً كل القدرة على الابتكار والاضطلاع بالمسؤ وليات . وإن السهر على راحة مرؤ وسيه المادية والمعنوية فرض عليه في كل الظروف والأحوال . ويجب عليه كذلك أن يصغي بكل اهتمام وتعقل لمطالب مرؤ وسيه ، وأن ينزل عند رغباتهم إذا كانت جديرة بالاعتبار .

الفصل الثالث

حقوق المجاهد

المادة الأولى : يتكفل جيش التحرير الوطني بالقيام بشؤ ون المحاهد كلها .

المادة الثانية : تعطى لعائلة المجاهد منحة بحسب إمكانيات الجيش .

المادة الثالثة : إذا استشهد مجاهد ، فإن الجيش يستمر في دفع المنحة لعائلته حتى اليوم الذي تحدد فيه الحكومة الجزائرية إعطاءها منحة دائمة .

المادة الرابعة : يحصل المجاهد على مرتب لإنفاقه فى شؤ ونه الخاصة .

المادة الخامسة : إذا جرح المجاهد أو مرض أو حكم عليه بأنه أصبح غير قادر على متابعة الخدمة العسكرية ، فإن الجيش يستمر في دفع مرتبه له .

المادة السادسة : يتكفل جيش التحرير الوطني بالعلاج الطبي للمجاهدين الجرحى أو المرضى .

المادة السابعة : المجاهدون الذين يفقدون أهليتهم للخدمة

العسكرية بسبب إصابتهم بجراح أو مرض ، لهم الأولوية بالحصول على المناصب التي تناسب معلوماتهم وكفاءاتهم .

المادة الثامنة : لا يجوز للمجاهد أن يتزوج إلا بعد إذن كتابي من طرف السلطات العليا .

الباب الثاني

حفظ النظام العام

الفصل الأول

حفظ النظام العام :

بما أن النظام هو الدعامة الأساسية والقوة الأولية للجيوش ، فإن على كل مسؤول أن يحصل من مرؤوسيه على طاعة تتسم بالدقة والكمال . كما أن على المجاهد تنفيذ أوامر قادته بدون تردد ، ولا تذمر . وإن السلطة التي أصدرت الأوامر هي وحدها المسؤولة عنها . ولا يخول الاعتراض على الأوامر إلا بعد تنفيذها . أما الاعتراضات الجماعية فهي ممنوعة بصورة باتة .

الفصل الثاني

المكافآت :

المكافأة هي شهادة استحسان (تقدير) على ما قام به المجاهد من أعمال بطولية ، أو على سيرة قويمة . والمكافآت التي يمكن للمجاهد الحصول عليها هي :

أ ـ الرخص (الاجازات) .

ب ـ الثناء (الشكر) والتهاني قولاً أو كتابة .

ج ـ الشهادة الكتابية (التعميم) والتي تقرأ على ملأ من الجنود .
د ـ الأوسمة[1] .
ه ـ ترفيع الرتبة العسكرية[*] .

الفصل الثالث

العقوبات :

العقوبة قصاص على الأخطاء المرتكبة ، وغايتها تقويم ما اعوج من سيرة المجاهد ، ومنعه من نسيان واجباته . وتقسم أنواع الأخطاء في جيش التحرير الوطني إلى ثلاثة أقسام هي :

أ ـ الأخطاء البسيطة :

١ ـ الطبع الرديء .
٢ ـ كل شيء يدل على عدم احترام رفيق ما .
٣ ـ قلة التبصر (التسرع) .
٤ ـ تأخير العمل أو إهماله .
٥ ـ القذارة .
٦ ـ التكاسل .
٧ ـ الخصام .
٨ ـ لباس مشوش (غير نظامي) .
٩ ـ عدم الاعتناء بالمواد المحفوظة .

---

(١) لم تحدد الأوسمة ، أو طريقة منحها ، الا عندما صدر قرار عن مجلس الوزراء ـ الحكومة المؤقتة ـ بتاريخ ١٧ جانفي ـ كانون الثاني ـ ١٩٥٩ .
(*) حدد مؤتمر وادي الصومام تسلسل الرتب العسكرية في جيش الجزائر على النحو التالي : جندي ـ جندي اول ـ عريف ـ عريف اول ـ مساعد ـ ملازم ـ ملازم ثان ـ ضابط أول ـ ضابط ثان ـ صاغ أول ـ صاغ ثان ـ مقدم ـ عقيد .

ب ـ الأخطاء الخطيرة :

١ ـ محاولة الاغتيال .

٢ ـ العبث بحفظ النظام .

٣ ـ تضييع السلاح .

٤ ـ إفساد الذخائر عن عمد (بصورة اختيارية) .

٥ ـ الغش في المحاسبات ، واختلاس الأموال .

٦ ـ التزوير واستعماله .

٧ ـ تضييع رسالة أو عدم تسليمها .

٨ ـ التأخير في تنفيذ الأوامر .

٩ ـ السرقة .

١٠ ـ التعدي على السلم النظامي العسكري (التسلسل) .

١١ ـ التغيب في المناداة (الاجتماع) .

١٢ ـ السكر .

١٣ ـ الحط العلني من جيش التحرير الوطني أو من القادة

١٤ ـ التجاوز في السلطة .

١٥ ـ الامتناع عن أداء التحية .

١٦ ـ التنقل بدون إذن (إجازة) .

ج ـ الأخطاء الفاحشة :

١ ـ القتل المتعمد .

٢ ـ الفرار من صفوف الجيش .

٣ ـ التواطؤ مع العدو والخيانة .

٤ ـ تعمد كشف السر .

٥ ـ بث روح الهزيمة .

٦ ـ الانشقاق والتألب .

٧ ـ نشر الدعاية الطائفية .

٨ ـ شق عصا الطاعة .

٩ ـ الاعتداء على الحرمات .

١٠ ـ اللواط .

١١ ـ تبذير الأموال .

١٢ ـ إخفاء أرزاق الثورة .

١٣ ـ التخلي عن المركز .

١٤ ـ الجبن أمام العدو .

١٥ ـ العمل على حط معنويات الجيش .

١٦ ـ جريمة الزنا .

تحديد العقوبات

أ ـ الاخطاء البسيطة : (ويحدد المعاقبة عليها الجنود الأولون ، أو ضباط الصف)يقتص من الاخطاء البسيطة بما يلي :

* الانذار .
* تسخير المخطىء للقيام بأعمال متعبة .
* تعيينه للحراسة لوقت إضافي .
* اللوم .
* قطع المرتب .

ب ـ الأخطاء الخطيرة : (ويحدد المعاقبة عليها الضباط) .

* نزع السلاح .
* نقل الجندي .

* إلغاء الرخص (الاجازات) .
* خفض الرتبة .
* نزع الرتب كلها .

ج ـ الأخطاء الفاحشة :

تجر الأخطاء الفاحشة الذين ارتكبوها أمام المحاكم العسكرية ، ويقتص من المخطئين بعقوبات تبتدىء من السجن ونزع الرتبة العسكرية ، وخلع الجنسية الوطنية ، إلى حكم الاعدام .

لا يصدر حكم الاعدام إلا في الجرائم التي ثبت اقترافها ، وكل شك ـ مهما كان ضئيلاً ـ يكفي ليتوقف صدور هذا الحكم .

تصدر المحاكم العسكرية أحكامها على كل جزائري ارتكب خطأً فاحشاً ، سواء كان ذلك الجزائري مقيماً على التراب الوطني أو خارجه .

تنظر محكمة الولاية في جريمة الزنا والاعتداء على الحرمات ، مهما كانت رتبة المتهم .

الباب الثالث

القضاء العسكري

١ ـ المحاكم العسكرية :

تصدر المحاكم العسكرية أحكامها على الذين اقترفوا الأخطاء الخطيرة جداً .

٢ ـ المحاكم المختلطة :

أ ـ المحكمة القضائية العليا (لمحاكمة الضباط الساميين ـ القادة) .

ب ـ محكمة الولاية (لمحاكمة الضباط ـ الأعوان) .
ج ـ محكمة المنطقة (لمحاكمة ضباط الصف والجنود) .

٣ ـ كيفية تشكيل المحاكم :

أ ـ المحكمة القضائية العليا : (تتكون بقرار من هيئة القيادة بعد الحصول على اذن من لجنة التنسيق والتنفيذ) وتتشكل من :

* رئيس (برتبة صاغ ثان ـ رائد) .
* ضابطان ساميان (كلاهما عضو في المجلس الوطني للثورة الجزائرية) .
* ثلاثة حكام مساعدين (تكون لكل منهم رتبة ضابط) .
* مفوض عن الجيش .
* كاتب قضائي .
* محام (مدافع) يختاره المتهم ، أو يعين بدون استشارة .

ب ـ محكمة الولاية : (تتكون بقرار من مجلس الولاية ، بعد موافقة هيئة القيادة) وتتشكل محكمة الولاية من :
* رئيس (برتبة صاغ أول ـ نقيب) .
* ضابطان .
* ثلاثة حكام مساعدين (أحدهم ضابط والآخر صف ضابط والثالث جندي) .
* مفوض عن الجيش .
* كاتب قضائي .
* مدافع (محام) .

ج ـ محكمة المنطقة : (وتتكون من) :
* ضابط أول ، أو ملازم ثان للمنطقة .

* ضابطان (ملازم ثاني - أو ملازم) .
* ثلاثة حكام مساعدين (ضابط وصف ضابط وجندي) .
* مفوض عن الجيش .
* كاتب .
* مدافع (محام) .

٤ - شكوى للاحالة أمام المحكمة العسكرية :

إذا اقترف الجندي خطأ خطيراً ، يجب على رئيسه المباشر أو السلطة التي اكتشفت الخطأ (عاينته) أن ترسل بأسرع ما يمكن إلى المسؤول الذي له حق تعيين أعضاء المحكمة العسكرية ، شكوى ترمي إلى إحالة المتهم على المحكمة العسكرية .

(أنموذج الشكوى (رقم - ١) موجود مع هذه النسخة)

وتكون الشكوى مصحوبة بتعزيز مفصل عن الخطأ ، أو الأخطاء ، المرتكبة . وفيما اذا انعدم ذلك ، تصطحب الشكوى بوثائق مؤيدة للتهمة . ومن المتحتم أن يحتوي التقرير على المسائل التالية :

* الأعمال المؤاخذ عليها ، أو الخطأ الخطير الذي ارتكب .
* سوابق المتهم .
* ملاحظة حول كيفية قيام المتهم عادة بواجبانه .
* تضاف الى التقرير مجموع العقوبات التي تعرض لها المتهم في السابق ، وكذلك خلاصة عن شهادة مدة الخدمة (قدمه - أوسمته - الشهادات التي يحملها) .

٥ - البحث :

فور وصول شكوى إحالة أمام المحكمة العسكرية الى السلطة التي يهمها الأمر ، يعين ضابط بحث يساعده كاتب قضائي لدراسة

القضية . وتسلم القضية والتقرير الخاص بالمتهم أو المتهمين الى ضابط البحث (التحقيق) الذي يتولى استجوابهم (استنطاقهم) طول المدة التي يراها ضرورية لتثبيت الحقيقة . وستوزع أوراق مطبوعة خاصة في كيفية استنطاق المتهمين والشهود ، الذين يوقعون على تلك الأوراق . كما يوقع عليها (ضابط البحث ـ التحقيق) والجندي الذي قام بمهمة كاتب قضائي . ويحمل محضر البحث ، حتماً ، ملاحظات ضابط البحث حول ثبات التهمة ، أو براءة المتهم .

يجب أن يكون الاستنطاق خالياً من كل ضغط حسي أو معنوي . وأن التعذيب بجميع أنواعه محرم بتاتاً . ويرسل كل ملف انتهى بحثه (درسه) الى المسؤول الذي أمر ببحث القضية ، وهو يسلمه بدوره الى الضابط المعين لرئاسة المحكمة . ويتصل أيضاً بالملف كل من الضابط المعين كمفوض عن الجيش ، ولسان الدفاع (المحامي) الذي اختاره المتهمون .

المحكمة العسكرية :

تتولى السلطة التي يدخل في اختصاصها تعيين المحاكم العسكرية ـ بتقرير كتابي ـ تعيين أعضاء المحكمة ، لمحاكمة المتهم أو المتهمين ، وموضوع الشكوى (نموذج التعيين ـ رقم ٢ ـ يوجد مع هذه النسخة) . ويستدعى المتهم أمام المحكمة العسكرية في التاريخ الذي تحدده السلطة التي عينت المحكمة المذكورة . وبعد فتح الجلسة من طرف رئيس المحكمة ، يؤتى بالمتهم محاطاً بجنديين اثنين ، ثم يقرأ الكاتب القضائي على مسمعه قرار الاتهام ، وبعد ذلك تلقى عليه الأسئلة من طرف رئيس المحكمة أو مساعديه إذا وجدوا . كما تلقى الأسئلة على الشهود إذا كان هناك شهود . ثم

تحال الكلمة إلى المفوض عن الجيش فتتلوه مرافعة لسان الدفاع .

كيفية القضاء :

بعد سماع المتهمين والشهود ولسان الاتهام ولسان الدفاع ، ينفرد رئيس المحكمة بمساعديه فيتشاورون ، ثم يصرحون بادانة المتهم أو براءته . وفي الحالتين يحاط من يهمهم الأمر علماً ـ في الحال ـ ويكونون قد عادوا إلى مقر المحكمة .

كل حكم صدر عن المحاكم العسكرية لا إعادة فيه .

المحكوم عليهم بالإعدام ، لا يجوز ذبحهم ، بل ينفذ فيهم الحكم رمياً بالرصاص .

لا حق لكل محكمة عسكرية قد تتكون بصورة مخالفة للترتيبات والتوجيهات المنصوص عليها آنفاً ، في الانعقاد ، ولا في إصدار أي حكم .

الأحكام .

يسلم المحكوم عليهم إلى مركز حراسة المساجين حالاً لتنفيذ الأحكام التي صدرت ضدهم . واذا كان في هؤلاء من حكم عليه بالاعدام . فعلى الضابط المكلف بتنفيذ الحكم أن يقدم محضراً متعلقاً بتنفيذ حكم الاعدام .

المحاضر :

والخلاصة ، يجب أن تحتوي ملفات القضاء العسكري على :

الشكوى :

أ ـ شكوى تقدم على ورق عادي .

ب ـ الوثائق المؤيدة للتهمة إن كانت هناك وثائق .

ج ـ شهادة عن مدة الخدمة (تاريخ التحاقه ـ انخراطه ـ بجيش

التحرير أو بالجبهة ، الجراح التي أصيب بها في ميدان الشرف ، الأوسمه أو الشهادات التي يحملها) .

د ـ تقرير عن كيفية قيام المتهم بواجباته في الماضي ، وكذلك عن سوابقه .

٢ ـ طلب باحالة أمام محكمة عسكرية . (نموذج رقم ١) .
٣ ـ محضر تعيين محكمة عسكرية . (نموذج رقم ٢) .
٤ ـ محضر تعيين ضابط بحث ـ تحقيق ـ . (نموذج رقم ٣) .
٥ ـ محضر استنطاق ـ استجواب ـ الشهود. (نموذج رقم٤).
٦ ـ محضر استنطاق المتهم . (نموذج رقم ٤ ـ مكرر) .
٧ ـ محضر الجلسة . (نموذج رقم ٥) .
٨ ـ محضر تنفيذ حكم الاعدام ـ إن وقع ذلك ـ (نموذج رقم٦).

يجب تنظيم هذه المحاضر على ثلاث نسخ، تحفظ إحداها في خزانة المحفوظات ، وترسل الأخريان إلى القيادة العسكرية ، وإلى لجنة التنسيق والتنفيذ .

في ١٢ ـ افريل ـ نيسان ـ ١٩٥٨
عن لجنة التنسيق والتنفيذ ،
المسؤول عن دائرة الشؤون العسكرية .
التوقيع : كريم بلقاسم .

٢ ـ المبادىء العشرة لجيش التحرير الوطني*

أولاً: مواصلة الكفاح الى أن تتحرر البلاد ويتحقق استقلالها التام.

ثانياً: مواصلة تحطيم قوات العدو، والاستيلاء على الموارد والأدوات الى أقصى حد ممكن.

ثالثاً: تنمية المقدرة المادية والمعنوية والفنية في وحدات جيش التحرير الوطني.

رابعاً: الجنوح بأقصى ما يمكن إلى الحركة والخفة، والى التفرق ثم الاجتماع بعد ذلك والهجوم.

خامساً: تقوية الاتصالات ما بين مراكز القيادة ومختلف الوحدات.

سادساً: توسيع شبكة الاستخبارات في وسط العدو، ووسط السكان.

سابعاً: توسيع الشبكة العاملة على إقرار وتعزيز نفوذ جبهة التحرير الوطني لدى الشعب، لتجعل منه سداً أمنياً وثابتاً.

ثامناً: تقوية روح الامتثال للأوامر، والملازمة للنظام في صفوف جيش التحرير الوطني.

تاسعاً: تقوية روح الاخوة والتضحية والعمل المشترك في نفوس المجاهدين.

عاشراً: مراعاة المبادىء الإسلامية والقوانين الدولية في تحطيم قوات العدو.

(*) وثائق الثورة الجزائرية ـ الارشيف.

مراجع البحث الرئيسة

١ ـ الثورة الجزائرية ـ احمد الخطيب ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ١٩٥٨ .

٢ ـ ثورة الجزائر ـ جوان جليبي ـ ترجمة عبد الرحمن صدقي أبو طالب .
الدار المصرية للتأليف والترجمة ـ ١٩٦٦ .

٣ ـ الثورة الجزائرية والقانون ـ محمد البجاوي ـ دار اليقظة العربية ـ

٤ ـ الجهاد الأفضل ـ عمار اوزيغان ـ دار الطليعة ـ بيروت ـ ١٩٦٤ .

٥ ـ مجلة (المجاهد) الجزائرية . ووثائق المحافظة السياسية والمتحف الوطني للمجاهد .

الفهرس

الموضوع	الصفحة